مقدمة

تسهم هذه الدراسة بشكل إيجابي في جهود مواجهة ظاهرة أطفال الشارع في مصر. فالتصدي للمشكلة لا بد أن يبدأ بدراسات متعمقة، وأبحاث متعددة تحيط بالموضوع من أبعاده المختلفة. فهو بالفعل متعدد الأبعاد. وهذا المفهوم وارد بوضوح في الاستراتيجية القومية التي أعلنتها السيدة الفاضلة/ سوزان مبارك، رئيس اللجنة الفنية الاستشارية للمجلس القومي للطفولة والأمومة، والتي بدأ على إثر إعلانها تحرك مجتمعي وجهود صادقة، وإن كانت متناثرة، للتعامل مع المشكلة. ولذا شرع المجلس في استكمال ما بدأه من وضع الاستراتيجية إلى وضع برامج للعمل تحدد دور كل جهة حكومية أو أهلية، في تنفيذ هذه الاستراتيجية القومية.

ولقد اتصفت الدكتورة/ سارة لوزا دائماً بجدية العمل وعمق البحث وواقعية الاستنتاجات. وهي صفات تدعو إلى الاهتمام بما تقدمه من أعمال، وما يقدمه معها فريق الشباب الذي يحذو منهجها.

ولا يسعني إلاّ الترحيب بالتعاون مع الدكتورة/ سارة لوزا ومكتب "سپاك" الاستشاري، ومنظمة اليونيسف في إصدار هذه الدراسة، والأمل في أن تكون خطوة على الطريق، وإسهاماً له قيمته.

السفيرة/ مشيرة خطاب

أمين عام المجلس القومي للطفولة والأمومة

كلمة اليونيسف

تتنامى فى مصر ظاهرة أطفال الشارع بدرجة تنذر بالخطر. وكما تتنامى هذه الظاهرة يتعاظم أيضاً الاهتمام بها على المستوى القومي. وقد ظهر ذلك جلياً فى إعلان سيدة مصر الأولى سوزان مبارك فى شهر مارس ٢٠٠٣ عن الاستراتيچية القومية لحماية وتأهيل أطفال الشارع.

وهؤلاء الأطفال الذين يدفعهم المجتمع إلى الالتجاء إلى الشارع يحرمون من كافة حقوقهم الأساسية كما يتعرضون لمخاطر هائلة. وقد نجحت الدراسة التى بين أيدينا اليوم فى كشف النقاب عن أنواع المخاطر التى يتعرض لها هؤلاء الأطفال فى الشارع وفى رسم صورة واقعية عن حقيقة حياتهم اليومية. وتمكنت الدراسة أيضاً من عرض أسلوب له مصداقية للتعامل مع الظاهرة بناءً على دراسة متعمقة وتجربة مباشرة مع أطفال الشارع أنفسهم.

ونود أن ننتهز هذه الفرصة لتهنئة المجلس القومي للطفولة والأمومة على جهوده الضخمة والمتواصلة فى التعامل مع هذه الظاهرة، وموافقته على إصدار هذه الدراسة تحت رعايته.

كما نعبر عن تقديرنا لفريق العمل بمكتب "سپاك" الاستشارى الذى بذل الجهد بإخلاص من أجل إصدار هذه الدراسة التى هي بين أيدينا اليوم.

ومن دواعي اعتزاز منظمة اليونيسف أن تسهم فى إصدار ونشر هذه الدراسة آخذة فى الاعتبار فائدتها التى ستعود على المهتمين بهذه القضية. ونحن نأمل أن تسهم هذه الدراسة فى توسيع دائرة الاهتمام وتعبئة جهود المجتمع من أجل تهيئة مستقبل أفضل لهؤلاء الأطفال المحرومين.

الدكتورة / إرما ماننكور

ممثل منظمة اليونيسف بمصر

المحتويات

مقدمة المجلس القومي للطفولة والأمومة	أ
كلمة اليونيسف	ب
المحتويات	ج
شكر وتقدير	و
فريق الدراسة	ز
الملخص التنفيذي	ح
الفصل الأول	
خلفية عن الدراسة وأهدافها ومنهجيتها	١
• خلفية عن الدراسة	٢
• الأهداف الأساسية للدراسة	٢
• منهجية الدراسة	٣
• بدء العمل الاستكشافي بالشارع	٤
• خلفية اجتماعية عن بعض الحالات التي تم دراستها	٦
الفصل الثاني	
العوامل المتداخلة التي تؤدي إلى تواجد الطفل بالشارع	٧
• المقدمة	٨
• أولاً: دور الأسرة:	٨
– غياب الأب وتفكك الأسرة	٨
– العنف الأسري	٩
– الخوف	١١
– الأعمال الهامشية بالشارع من الأب أو الأم	١١
– تواجد أخوة أو أخوات بالشارع	١٢
– التسيب والإهمال والافتقار إلى القدوة السوية	١٢
• ثانياً: دور المدرسة	١٣
• ثالثاً: دور العمل بالورش الحرفية	١٤
• رابعاً: الأصحاب والجيران	١٥
• الخلاصة	١٦
الفصل الثالث	
ظروف التواجد بالشارع	١٧
• المقدمة	١٨
• أنماط التواجد بالشارع	١٨
• مصادر الدخل بالشارع	١٩

- مغريات الشارع ٢١
- المشكلات بالشارع ٢١
- موارد المساندة بالشارع ٢٣
- استراتيجيات البقاء بالشارع ٢٥
  - منطقة (أ) ٢٥
  - منطقة (ب) ٢٨
  - منطقة (ج) ٣٢
  - منطقة (د) ٣٤
  - منطقة (هـ) ٣٥
- التحرك بين المناطق ٣٦
- الخلاصة ٣٦
- خريطة التحرك المستمر وراء موارد المساندة ٣٧

الفصل الرابع

رؤى الأطفال بالشارع لذاتهم والمجتمع وتطلعاتهم المستقبلية واحتياجاتهم الأساسية ٣٩
- المقدمة ٤٠
- رؤية الأطفال بالشارع لذاتهم ٤٠
- تقييم المحيط الاجتماعي ٤٢
- احتياجات أساسية يصعب الحصول عليها ٤٣
- الأسلوب الأمثل لتلبية هذه الاحتياجات ٤٤
- تطلعات المستقبل ٤٤
- الخلاصة ٤٥

الفصل الخامس

تحليل وتفسير نتائج الدراسة ٤٧
- المقدمة ٤٨
- أولاً: المفاهيم النظرية ٤٨
- ثانياً: تحليل وتفسير النتائج الرئيسة ٥٢
- ثالثاً: استنتاجات خاصة بالتدخلات ٦٠

الفصل السادس

توصيات منهجية التدخل والخلاصة ٦٥
- المقدمة ٦٦
- ١ – العمل في الشارع واستراتيجية الوصل ٦٦

٢ – ديناميكيات العمل في الشارع ومنهجية التدخل داخل البيئة ٦٨
٣ – مركز الاستقبال كمدخل لإعادة التنشئة الاجتماعية ٧٠
٤ – مدخل التعليم غير النظامي ٧١
٥ – استخدام قدرات شباب وأطفال الشارع ٧٢
• الخلاصة ٧٣

الملاحـــق

• **ملحق رقم (١): حالات ونماذج من قيادات الشارع بالمكان الأول بمنطقة (ب)** ٧٧
– الحالة الأولى من قيادات الشارع بالموقع ٧٨
– الحالة الثانية من قيادات الشارع بالموقع ٧٩
– الحالة الثالثة من قيادات الشارع بالموقع ٧٩
– الحالة الرابعة من قيادات الشارع بالموقع ٧٩

• **ملحق رقم (٢): حالات ونماذج متفرقة لأطفال وشباب الشارع** ٨١
– المقدمة ٨٢
– الحالة الأولى: "ماهر" ٨٢
– الحالة الثانية: "محمود" ٨٣
– الحالة الثالثة: "أشرف" ٨٤
– الحالة الرابعة: "رمزي" ٨٦
– الحالة الخامسة: "حسين" ٨٨
– الحالة السادسة: "زينب" ٩٠
– الحالة السابعة: "ميرفت" ٩٢
– الحالة الثامنة: "ليلى" ٩٣
– الحالة التاسعة: "مصطفى" ٩٥
– الحالة العاشرة: "نوال" ٩٨
– الحالة الحادية عشرة: "سيد" ١٠٢
– الحالة الثانية عشرة: "زكي" ١٠٤
– الحالة الثالثة عشرة: "دولت" ١٠٨

شكر وتقدير

لا يمكن إنجاز مثل هذا العمل العلمي إلا من خلال الدعم والتعاون المثمر المقدم من مختلف الفئات والجهات فقد شارك الكثير من الأجهزة والمؤسسات والأفراد بوقتهم وخبراتهم ومالهم. قدمت مؤسسة فورد الدعم المالي لإخراج هذا التقرير، كما شارك في تمويل المراحل الأولى من المشروع منظمة اليونيسف ومؤسسة أكسفام والسفارة الهولندية بالقاهرة. وساندت توفير فرص العمل الميداني الجمعية المصرية لسلامة المجتمع بعد أن استقلت عن الجمعية المصرية للتنمية الشاملة. واعتمد العمل الميداني على مهارات والتزام وإيمان مجموعة أخصائي العمل بالشارع والأطفال والشباب بالشارع الذين وثقوا بهم واحترموهم وأحبوهم وأشركوهم بكل حماس في قصص حياتهم وخبراتهم وآمالهم وآلامهم- واعتمد تنظيم المعلومات وتحليلها على مجموعة من باحثي مكتب "سياك" امتازوا بالصبر والجلد والمداومة على تنظيم الكم الهائل من معلومات متعمقة. وقاد هذا العمل المميز الدكتور/ كمال فهمي بوصفه متخصصاً في منهجية العمل مع المجموعات المهمشة وخصوصاً أطفال وشباب مصر في مثل هذه الظروف الصعبة.

وأخيراً وليس آخراً توج هذا العمل المجلس القومي للطفولة والأمومة بقيادة السيدة السفيرة مشيرة خطاب بموافقتها على نشر الدراسة تحت رعاية المجلس بتمويل من منظمة اليونيسف، كما أصدر المجلس مشروع استراتيجية حماية وتأهيل الأطفال بلا مأوى (أطفال الشارع) في جمهورية مصر العربية تحت قيادة وتوجيهات السيدة الفاضلة/ سوزان مبارك حرم السيد/ رئيس الجمهورية. ونحن نقدم خالص شكرنا وتقديرنا لكل من ساند وأضاف لإتمام هذا العمل العلمي وأضاف إلى أهميته أما المساءلة العلمية فمسئوليتها تقع علينا.

الدكتورة / سارة لوزا

رئيس مجلس إدارة مكتب "سياك" الاستشاري

فريق الدراسة

• خبراء استشاريون:

– د. سارة لوزا	"المسئول الرئيسي عن الدراسة"
– د. كمال فهمي	"الباحث الرئيسي للدراسة"
– أ. أشرف حسين	"المسئول عن إدارة المعلومات"
– د. سامي عصر	"مساعد التحليل والعرض"

• أخصائيو العمل الاجتماعي في الشارع:

- أ. رياض حسين أحمد
- أ. سلوى رفعت حافظ
- أ. حنفي عبد المنعم حنفي
- أ. أحمد كامل علي
- أ. محمد عبد التواب
- أ. أشرف إبراهيم علي

• فريق إدارة المعلومات:

- أ. صباح الورداني
- أ. إيمان بدري عيد
- أ. هبه عبد المجيد
- أ. عز الدين إمام

الملخص التنفيذي

خلفية عن الدراسة

بنيت هذه الدراسة على برنامج عمل ميدانى له شق بحثى وشق آخر عملى تداخلى يكمل كل منهما الآخر. وكان الغرض الأساسى للدراسة التعمقية هو زيادة قدرة المجتمع على التعامل مع هذه الظاهرة بمنهجية تضمن حماية حقوق هؤلاء الأطفال من الجنسين فى الرعاية المتكاملة الصحية والجسدية والاجتماعية والنفسية والأمنية مبنية على أساس علمى وبمشاركتهم الحقيقية لتفهم ظروفهم واحتياجاتهم وقدراتهم وآمالهم.

أهداف الدراسة

استهدفت هذه الدراسة تفهم واقع أطفال الشارع وذلك من خلال:

١ – التعرف على العوامل التى تدفع الطفل إلى الشارع والعوامل التى تغرى الطفل وتجذبه للتواجد فى الشارع.

٢ – تحديد العلاقات والأنظمة والفرص المتواجدة بالشارع والتى تساند قدرة الطفل على التعايش فى الشارع.

٣ – تفهم الأنماط المختلفة لتواجد الطفل بالشارع وعوامل قوتها وضعفها فى الحفاظ عليه فى الشارع.

منهجية الدراسة

- الحصول على بيانات ومعلومات جدية وصادقة من الأطفال كان مرهوناً ببناء علاقات ثقة متبادلة بجامعى البيانات والأطفال وموضوع البحث للتوصل إلى تفهم واقعهم وأنماط التواجد بالشارع وإلى التعمق فى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأخلاقية والثقافية المتعددة الأشكال والتفاعلات والتى تجعل أطفال الشارع ظاهرة مركبة ومتداخلة العوامل والعلاقات.

- وقد تم تجميع البيانات على فترات متقطعة من اللقاءات من خلال فريق عمل تم تدريبه تدريباً خاصاً فى منهجية العمل الاجتماعى فى الشارع، وفى منهجية الملاحظة بالمشاركة، ومنهجية تدوين المعلومات المجمعة فى كل لقاء مع كل حالة. وقد استخدمت الحوارات المفتوحة، والحوار المنظم، ورصد مشوار الحياة والمسار الاجتماعى والملاحظة بالمشاركة بوصفها أساليب بحثية ساعدت على التعمق فى فهم الأبعاد المختلفة المتعلقة بالحالة بطريقة فعالة، وشملت الحالات التى تم تجميع المعلومات منها الإناث بالإضافة إلى الذكور، وكذلك بعض العناصر المؤثرة المحيطة بالأطفال فى الشارع من الشباب والبالغين.

- ولتحليل البيانات والمعلومات المجمعة خلال ١٩٩٤ حتى ١٩٩٨ فتحت ملفات لكل حالة تم اللقاء بها، لحفظ كل المعلومات المستمدة من اللقاءات المتتابعة حسب حدوثها، كما تم تفريغ شرائط اللقاءات التى تمت بمركز الاستقبال مع بعض الحالات لرصد مشوار الحياة والمسار الاجتماعى وإدخالها الملفات الخاصة بها، وكذلك عقدت عدة لقاءات مع مجموعات من الأطفال والشباب والعاملين والعاملات الميدانيين المتخصصين للتعرف على الأوضاع والعلاقات والفرص المختلفة المتواجدة لأطفال الشارع بالمواقع المختلفة بالقاهرة الكبرى التى يتوافدون إليها.

وكانت مخرجات إدارة المادة المجمعة وتنظيمها وتحليلها ما يلى:

- تحليل كمى لبيانات من ١٩١ حالة.
- تحليل تعمقى عن ٣١٥ حالة من داخلها الحالات التى دخلت التحليل الكمى وحالات دراسات الحالة.
- دراسات حالة متعمقة مع ١٣ حالة.
- تقارير وصفية عن موارد المساندة والجذب لخمس مناطق بالقاهرة الكبرى تم العمل بها أعطت صورة لمجتمع الشارع والفاعلين الرئيسيين به.

النتائج الأساسية للدراسة

- لا يوجد "سبب" أو "أسباب" معينة لتواجد الطفل أو الطفلة بالشارع، لأن الطفل لا يترك أسرته فجأة وينزل إلى الشارع كنقطة تحول درامية. فإن عوامل وظروفاً متداخلة أساسها الأسرة ويدعمها النظام التعليمى بالمدارس ونظام صبية الورش وثقافة المناطق الشعبية العشوائية وهذه الظروف المختلفة تهيئ الطفل أو الطفلة للنزول إلى الشارع والتعرف عليه والتشبع بقيم ومهارات مجتمع الشارع وتذوق إيجابيات التواجد به وتعلم المهارات المطلوبة للتعايش فيه.

- هناك تباين كبير فى أنماط التواجد بالشارع بالنسبة لعلاقة الطفل أو الطفلة بالأسرة والشارع، فهناك من قطعوا علاقتهم تماماً بأسرهم واختاروا الشارع لمعيشتهم ولمأواهم وهناك من يتواجدون بالشارع مع علاقات غير مستقرة مع أسرهم تتفاوت فيها فترات البعد عن الإقامة مع الأسرة حسب اختلافات العلاقات معها وهناك من خرجوا إلى الشارع بمعرفة الأسرة وبدافع منها للحصول على المال لمساعدة معيشة الأسرة وهناك نمط نزول الطفل أو الطفلة مع الأسرة بالشارع وغالباً ما تكون الأسرة مكونة من الأم فقط والأبناء. فالشارع محيط اجتماعى يوفر فرص العمل والكسب واللعب والترفيه ويحقق لهم غريزة حب الاستطلاع.

- ولكن كل هذه المغريات المتواجدة بالشارع تصاحبها مشكلات ومخاطر يتعرضون لها من مطاردة الشرطة لهم ومن الشباب كبار السن بالشارع، فالعنف سمة من سمات الحياة بالشارع. هذا بالإضافة إلى الممارسات الخطرة التى ينخرطون فيها من ممارسات جنسية وتعاطى المخدرات.

- لكن الاستمرارية بالشارع دليل على أن مشكلات ومخاطر التواجد به غير طاردة بسبب المغريات المتواجدة بالشارع، ولسبب المساندة التى يحصلون عليها بشكل أو بآخر، تساعد على استمرار البقاء بالشارع مع ضعف مغريات البقاء مع الأسرة. وموارد المساندة للبقاء بالشارع تتفاوت ما بين الأسرة ورجال الشرطة وأصحاب المحال وبعض المواطنين وتواجد المرافق العامة. أما أكثر مساندة للتواجد بالشارع فهى من الأشخاص البالغين المتواجدين بالشارع والمتمكنين من حياة الشارع ، فهم مصدر لتوفير الاحتياجات والحماية والمعلومات، والتدريب على أساليب التعايش بالشارع وعلى استراتيجيات البقاء. فإن مجتمع الشارع مجتمع موازٍ للمجتمع الأصلى الرسمى بقيمه وتقاليده ومؤسساته، والتحرك المستمر من مكان لآخر حسب الاحتياج والموارد المتوفرة الجاذبة للمكان من الاستراتيجيات المهمة للتعايش والبقاء بالشارع.

- ومن ذلك كله يتضح أنه لجذب الطفل أو الطفلة أو الشاب أو الشابة من الشارع لإعادة إدماجهم فى المجتمع الأصلى. يجب تفهم فرص ومغريات الشارع ومشكلاته وأخطاره من وجهة نظرهم هم لتحديد ما يمكن توفيره لهم لجذبهم إلى مجتمع به إطار للحماية، أى المجتمع الأساسى الذى ينافسه مجتمع الشارع بمغرياته وموارده.

- وتوضح النتائج التنوع والتباين والاختلافات فى ظاهرة أطفال الشارع مما يحد من القدرة على التوصل إلى تعريف واحد محدد ودقيق وملائم، كما يحد من القدرة على تحديد منهجية واحدة ملائمة للتدخل لتوفير الحماية. كما أن تواجد أطفال وشباب الشارع هو ضمن نسيج اجتماعى متماسك لمجتمعات الشارع اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً يساندهم على التكيف والبقاء بالشارع مما يحد من القدرة على "إنقاذ" أو "انتشال" سريع لهؤلاء الأطفال والشباب من محيط الشارع إلا فى حالات قليلة من أطفال حديثى التواجد بالشارع ويقابلون مصاعب فى التكيف على حياة الشارع ويترددون فى الرجوع إلى التفكك و/أو العنف المتواجد بأسرهم المعيشية.

التوصيات

- أكثر احتياج لأطفال وشباب الشارع هو توفير حقوقهم الأساسية فى الحصول على الموارد المطلوبة لحمايتهم والارتقاء بعمليات نموهم الاجتماعية والنفسية والفكرية والصحية والثقافية. واستخدام الأساليب التأديبية والتأهيلية بالإكراه لا يجدى فى توفير مثل هذه الاحتياجات التنموية، لذلك فالمنهجية المقترحة هى منهجية بناء علاقات مع الأطفال والشباب بالشارع تتسم بالثقة والاحترام والتقبل بوصفهم أفراداً لهم كرامتهم وقادرين على تغيير مسارات حياتهم.

- يحتاج الأطفال والشباب فى الشارع إلى بناء علاقات ثقة واحترام ببالغين يهتمون بهم ويحاورونهم ويصغون إليهم ويوفرون لهم فرص التعلم غير النظامى الذى يوسع مداركهم ووعيهم الاجتماعى ويمكّنهم من الاختيار الإرادى لنوعية حياة أفضل. وهذا يتطلب من البالغين المهتمين بهم عدم فرض الحلول على الأطفال ولكن يتطلب المصاحبة المستمرة لهم فى حياتهم اليومية بالشارع مع تقديم المساندات للتصدى لمشكلات الحياة اليومية دون شروط مسبقة ولاستثمار مهاراتهم وقدراتهم فى تمهيد الطريق لإعادة التنشئة الاجتماعية للمساندة فى إعادة دمجهم فى سياق المجتمع.

- إن ظاهرة أطفال وشباب الشارع ليست من الظواهر التي يمكن القضاء عليها بسهولة ولكن هناك احتياج إلى التخفيف من وطأتها بالاهتمام بالآتي:
  - تدخل الجمعيات الأهلية في مساندة الأسر لزيادة تماسكها ولتعميق مبادئ التنشئة السليمة للأبناء الخالية من العنف والمبنية على مبادئ حقوق الأبناء على الوالدين، وأهمية دور القدوة من الآباء والأمهات.
  - زيادة قدرات الإدارات المدرسية على متابعة التلاميذ عن قرب من حيث غيابهم وتسربهم وضعف إنجازاتهم وربط التعليم بالتربية، وجعل العملية التعليمية متعة لتحقيق الذات.
  - تفعيل قانون الطفل من حيث إتاحة فرص نظام الصبية للتدريب المهني في بيئة مناسبة صحياً ونفسياً واجتماعياً.
  - زيادة الدعم والخدمات والعناية بمجتمعات المناطق العشوائية والشعبية بالمدن مع التركيز على فرص متاحة للأطفال والشباب لتنمية قدراتهم الذهنية والبدنية والإبداعية والاجتماعية بوصفها بدلاً لمغريات الشارع.

الفصل الأول

خلفية عن الدراسة وأهدافها ومنهجيتها

خلفية عن الدراسة

تعتبر ظاهرة أطفال الشارع واحدة من أهم الظواهر الاجتماعية الآخذة في النمو والتزايد، ليس فقط بين بلدان العالم الثالث، وإنما أيضاً في بعض الدول الصناعية المتقدمة، وإن كان ذلك بدرجة أقل حدة. ولهذه الظاهرة العديد من المشكلات والأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأسرية، والتي يكون الطفل ضحية لها وعليه أن يتعايش معها. إلا أن معرفتنا بالظروف المحيطة بهذه الظاهرة حتى يمكن التعامل معها من منطلق علمي هي معرفة ضحلة، ينقصها العمق والتكامل، مع انتشار هذه الظاهرة بالمجتمع المصري، وخصوصاً بالمدن الكبيرة.

أكثر التقديرات تحفظاً بجمهورية مصر العربية، قد تشير إلى أن واحداً من كل ثلاثة من قاطني المدن في مصر يعيشون تحت خط الفقر، مما يعني أن القاهرة الكبرى بها حوالي خمسة ملايين فقير، منهم خمسون بالمائة أطفالاً تحت سن الثامنة عشرة، أي أن هناك مليونين ونصف المليون طفل تقريباً يعيشون تحت خط الفقر، ويشكلون مصدراً لإفراز ظاهرة أولاد الشارع. وفي أمريكا اللاتينية قدر عدد الأولاد بالشارع ويمثل ما يقرب من عشرة بالمائة من أعداد الفئة المعرضة لهذا الخطر، أي أطفال الأسر الفقيرة في أعمار تحت سن الثامنة عشرة عاماً. وبناء عليه فإن عدد أولاد الشارع في القاهرة الكبرى يمكن أن يقدر بحوالي ٢٥٠ ألف طفل وطفلة.

ومن هذا المنطلق بدأ العمل مع أطفال الشارع بالقاهرة الكبرى في بحث عملي منذ أواخر عام ١٩٩٣، وتم العمل به على ثلاث مراحل: اعتبرت المرحلة الأولى مرحلة تمهيدية استكشافية تمت من خلال مكتب "سياك" الاستشاري، بتمويل من منظمة اليونيسف. ومن خلال هذه المرحلة تم اختيار وتدريب متخصصين للعمل بالشارع للتعرف على الأطفال وعمل علاقات معهم للتفهم المبدئي لهذه الظاهرة. وكانت من أهم نتائج هذه المرحلة زيادة القدرة على التخطيط المنظم للمرحلة الثانية التي اتسمت بتكثيف العمل في الشارع، وزيادة المقابلات الفردية مع الأطفال ذكوراً وإناثاً، من خلال مركز استقبال لهم بدأ العمل به في إبريل ١٩٩٧. وتمت المرحلة الثانية للبحث بتمويل من مؤسسة أكسفام البريطانية، والسفارة الهولندية بالقاهرة. وكانت أهم نتائج هذه المرحلة هي الحصول على معلومات تعمقية من أعداد كبيرة نسبياً من أطفال وشباب الشارع، والتعرف الدقيق على ظروف حياتهم مع أسرهم وفي الشارع، والإحساس باحتياجاتهم الأساسية المختلفة التي قدمها لهم المركز من مأكل وملبس وأماكن استحمام، وخدمة طبية يومية قدمت بتمويل من جمعية أطباء بلا حدود الفرنسية. ووفر المركز أيضاً أنشطة موجهة إلى احتياجاتهم الترفيهية والرياضية والثقافية والتعليمية.

وفي المرحلة الثالثة التي بدأت في مايو ١٩٩٨ وبنفس فريق العمل في الشارع الذي أصبح يمتلك القدرة المهنية اللازمة لمواصلة واستكمال العمل على نفس المنوال، وخلال هذه الفترة تم تنظيم ومراجعة المعلومات المجمعة من كل حالة مع الطفل أو الطفلة الخاص بهذه المعلومات للتأكد من صحتها ولتعريفهم بما تم معرفته عنهم خلال السنوات الطويلة معهم احتراماً لخصوصية العمل معهم ولحقهم في هذه المعرفة، وكذلك تم تجميع معلومات متكاملة عن المناطق المختلفة التي يتردد عليها الأطفال والشباب الذين تم التعارف عليهم ومحادثاتهم.

وتم تحليل مضمون هذه المعلومات واستخراج النتائج وكتابة التقرير النهائي من خلال منحة مقدمة من مؤسسة فورد.

الأهداف الأساسية للدراسة

استهدفت هذه الدراسة تفهم واقع أطفال الشارع وذلك من خلال:

١ – التعرف على العوامل التي تدفع الطفل إلى الشارع والعوامل التي تغري الطفل وتجذبه للتواجد في الشارع.

٢ – تحديد العلاقات والأنظمة والفرص المتواجدة بالشارع والتي تساند قدرة الطفل على التعايش في الشارع.

٣ – تفهم الأنماط المختلفة لتواجد الطفل بالشارع وعوامل قوتها وضعفها في الحفاظ عليه في الشارع.

وكان الغرض الأساسي لمثل هذه الدراسة التعمقية هو زيادة قدرة المجتمع على التعامل مع هذه الظاهرة بمنهجية تضمن حماية حقوق هؤلاء الأطفال من الجنسين في الرعاية المتكاملة الصحية والجسدية والفكرية والاجتماعية والنفسية والأمنية مبنية على أساس علمي وبمشاركتهم الحقيقية بتفهم ظروفهم واحتياجاتهم وقدراتهم وآمالهم.

منهجية الدراسة

اتضح بعد مراجعة الدراسات والأبحاث المختلفة محلياً ودولياً أن الصعوبات المنهجية المرتبطة بدراسة ظاهرة أطفال الشارع تكمن في صعوبة الحصول على بيانات ومعلومات جدية وصادقة من الأطفال، وكذلك صعوبة تواجد علاقات ثقة متبادلة بين جامعي البيانات والأطفال موضوع البحث. لقد أكد الغالبية العظمى من العاملين مع أطفال الشارع، بأن من أهم السمات البارزة لدى هؤلاء الأطفال هي القدرة الفائقة على التحايل والتسويف بخصوص الإفصاح عن هويتهم وسيرتهم الذاتية. وهذه القدرة لا تعكس بالضرورة مدى انحراف هؤلاء الأطفال بقدر ما تعكس استخدامهم أسلوب التحايل بوصفه وسيلة تكتيكية ضرورية للتمكن من البقاء والتأقلم على حياة الشارع في ظل ظروف قاسية لا يستطيع تحملها أغلب أفراد المجتمع.

كما أن الأطفال بالشارع كثيرو الحركة بين المناطق المختلفة، ويصعب تواجدهم بمكان واحد لفترة طويلة. وفي نفس الوقت فإن جمع البيانات المعتمدة على ملء استمارة استبيان بعد مقابلة واحدة تنحصر فائدته في بعض الإحصاءات والأرقام التي قد تشير إلي الوضع العام للظاهرة وليس إلي تفهم واقعها وأنماطها، ولا تتيح فرصة التعمق في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأخلاقية والثقافية المتعددة الأشكال والتفاعلات والتي تجعل ظاهرة أطفال الشارع ظاهرة مركبة ومتداخلة العوامل والعلاقات.

لذلك بنيت الدراسة على برنامج ميداني له شق بحثي وشق آخر عملي تداخلي، يكمل كل منهما الآخر ويعتمد عليه اعتماداً أساسياً. وقد بدأ تنفيذ البحث منذ عام ١٩٩٤ طبقاً لمنهج علمي صمم بشكل خاص يتيح دراسة المجتمعات المهمشة عن قرب وبمشاركة الأطفال موضوع البحث أنفسهم، مما ساعد على التغلب على الصعوبات المنهجية.

ومن حيث مصداقية البيانات، فقد تم تجميعها على فترات متقطعة من اللقاءات من خلال فريق عمل تم تدريبه تدريباً خاصاً على منهجية العمل الاجتماعي في الشارع، وفي منهجية الملاحظة بالمشاركة، ومنهجية تدوين المعلومات المجمعة في كل لقاء مع كل حالة. ومن خلال تداخلاتهم في الحياة اليومية لأطفال وشباب الشارع في الشق التداخلي للبرنامج، وتعرفهم على الأطفال ومصاحبتهم المستمرة لهم في الزمان والمكان، تم تدريجياً بناء علاقة ثقة متبادلة بين الطفل والطفلة والعامل الميداني تمكن من خلالها التعرف بعمق على العوامل والملابسات التي أدت بهؤلاء الأطفال إلي الشارع والعوامل التي تجذبهم وتجعلهم يستمرون في حياة الشارع.

وقد استخدمت الحوارات المفتوحة، والحوار المنظم، ورصد مشوار الحياة والمسار الاجتماعي والملاحظة بالمشاركة كأساليب بحثية ساعدت على التعمق لفهم الأبعاد المختلفة المتعلقة بالحالة بطريقة فعالة، وشملت الحالات التي تم تجميع المعلومات منها الإناث بالإضافة إلي الذكور وكذلك بعض العناصر المؤثرة المحيطة بالأطفال في الشارع من الشباب والبالغين.

ومن خلال الملاحظة أتيحت فرصة التعرف عن قرب على الديناميكيات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية غير النمطية التي يتعرض لها طفل الشارع في إطار كيانات مجتمعية حقيقية تمثل ما سمي "بمجتمع الشارع" بأنماطه المختلفة بالمناطق المختلفة التي تم تجميع البيانات فيها.

وفتحت ملفات لكل حالة تم اللقاء بها، لحفظ كل المعلومات المستمدة من اللقاءات المتتابعة حسب حدوثها ، كما تم تفريغ شرائط اللقاءات التي تمت بمركز الاستقبال مع بعض الحالات لرصد مشوار الحياة والمسار الاجتماعي وإدخالها الملفات الخاصة بها، وكذلك عقدت عدة لقاءات مع مجموعات من الأطفال والشباب والعاملين والعاملات الميدانيين المتخصصين للتعرف على الأوضاع والعلاقات والفرص المختلفة المتواجدة لأطفال الشارع بالمواقع المختلفة بالقاهرة الكبرى التي يتوافدون إليها.

وقد تم مراجعة كل ملف على حده وتنظيم المعلومات والبيانات حسب قائمة استرشادية للموضوعات المطلوب تغطيتها، كما طلب من العاملين ميدانياً استكمال المعلومات المطلوبة لبعض الحالات، في حالة تواجدهم وتوافر إمكان مقابلتهم سواء بمركز الاستقبال أو بالشارع لإعادة فتح الحوار معهم.

واستخدمت قاعدة بيانات آلية لإدخال المعلومات عن كل حالة حسب تنظيم الموضوعات، وبذلك تم تحليل محتوى كل موضوع حسب ما تم جمعه من جميع الحالات. كما تم إعداد دراسة حالة متعمقة من ١٣ حالة ترصد مشوار حياتهم لتوضيح الظروف والعلاقات المختلفة التي تدفع الطفل إلي الشارع والتي تساندة للبقاء بالشارع.

هذا بالإضافة إلى أنه تم تفريغ بعض البيانات الأساسية عن كل حالة حسب قائمة بيانات تم تكويدها ومعالجتها آلياً للحصول على بعض المعلومات الكمية تضيف بعداً كمياً للمعلومات التعمقية التي توضح الأوضاع والظروف وتباينها والعوامل المتداخلة لحدوثها.

وعلى ذلك تعتمد هذه الدراسة على معلومات مجمعة ومنظمة من حوارات تلقائية جرت مع الأطفال والشباب في الشارع على فترات متباعدة، في أثناء وجودهم في الشارع أو بمركز الاستقبال، مع تدوين ما قاله الطفل أو الطفلة عن نفسه فى كل لقاء، أو ما ذكره عن آخرين، وكذلك انطباعات العاملين الميدانيين، وملاحظات ميدانية سجلها العاملون الميدانيون عما يشاهدونه أو يسمعونه من الأشخاص المحوريين في موقع اللقاء والعمل في الشارع، مثل الباعة الجائلين، وأشخاص بالغين مقيمين بالشارع ويحتكون بالأطفال، وأمناء شرطة، ومخبرين سريين، وأصحاب محال.... إلخ، وبيانات من مقابلات شبه مقننة مع كل طفل على حده، يتم إدارة الحديث بها حول موضوعات محددة، وبيانات سجلت صوتياً مع بعض الأطفال في مركز الاستقبال لتوضيح مشوار حياتهم.

ولقد تم فتح ٣١٥ ملفاً خاصاً بكل طفل وشاب على حده استخدمت في التحليل، ولكن في التحليل الكمي تم الاستعانة ببيانات ١٩١ حالة فقط كانت أكثر استكمالاً للمعلومات المطلوب تحليلها كمياً.

وبناء على التسجيل الصوتي مع الحالات، والحوارات العرضية والتلقائية في الشارع، تم إعادة بناء قصة الطفل بالشارع بدءاً من لحظة خروجه من المنزل وحتى لحظة إجراء الدراسة، وفي عملية بناء هذه القصص المتعمقة تم تدقيق المادة بناء على الحوارات العرضية ومطابقتها بالتسجيل الصوتي وملاحظات العامل الميداني المتابع لحالة الطفل.

وكانت مخرجات إدارة المادة المجمعة وتنظيمها وتحليلها ما يلي:

- تحليل كمي لبيانات من ١٩١ حالة.
- تحليل تعمقي عن ٣١٥ حالة من داخلها الحالات التي دخلت في التحليل الكمي وحالات دراسات الحالة.
- دراسات حالة متعمقة مع ١٣ حالة.
- تقارير وصفية عن موارد المساندة والجذب لخمس مناطق بالقاهرة الكبرى تم العمل بها أعطت صورة لمجتمع الشارع والفاعلين الرئيسيين.

بدء العمل الاستكشافي في الشارع

منذ بدأ التفكير في التعامل مع ظاهرة الأطفال بالشارع وقبل وجود أي كيان تنظيمي، حاول الباحث الميداني أن يتعرف على الظاهرة من خلال أحد بائعي أطعمة الشارع بالمنطقة التي نزل بها، وحيث إنه كان صديقاً لأحد أصحاب محال البقالة بالمنطقة كان أيضاً يمضي ساعات طويلة في المساء للتحدث مع صاحب المحل. وأخذ يلاحظ أن أعداد الأطفال يتزايد في المساء، ويقومون بتلميع زجاج السيارات، أو بيع المناديل لقائدي السيارات المارة بالمنطقة. وكان بعض هؤلاء الأطفال يترددون على نفس محل البقالة والمحال المجاورة له آخر الليل لتنظيف المحال نظير مبلغ ضئيل من المال، وبعضهم كان يقوم بتغيير الفكة التي حصل عليها إلى عملات نقدية ذات فئة أكبر. وقد لاحظ الباحث أن البعض يدخر جزءًا من المال الذي حصل عليه خلال اليوم لدى أصحاب هذه المحال، ومع تردد الباحث على نفس المكان عدة أيام، بدأ بعض الأطفال بعد أن يقل ضغط العربات الوقوف أمام المحل والتحدث مع الباحث، وبدأ الباحث في بناء علاقات الثقة بهم. قدم الباحث نفسه إلى الأطفال على أنه رياضي ومدرب كاراتيه وكانت هذه المعلومة جذابة للأطفال لاستمرار التحدث معه. كما ساعد الباحث الأطفال على زيارة أحد الأندية الرياضية التي كان الباحث يتمرن بها، وكانت هذه الفرصة الأولى بالنسبة

للأطفال لكي يتعاملوا مع مؤسسات كانوا مستبعدين منها. ومن خلال تجاذب أطراف الحديث مع الأطفال تم التعرف على الأماكن التي يفضلون التردد عليها والتعرف على أصحابهم بالمناطق الأخرى.

وبعد فترة من التعامل مع الأطفال بنفس المكان نزلت معه باحثة ميدانية بعد التدريب. ودخلا في مكان آخر مجاور للمكان الأول عبارة عن ميدان بحديقة. وركزت الباحثة على تعميق علاقاتها مع الإناث والشابات والأطفال الإناث، ومع بائعات المأكولات والمشروبات وبعض الفتيات اللائى كن ينمن بحديقة الميدان.

وكما تشير العديد من التجارب المماثلة، فإن اختراق مجتمع البحث المكون من فئات قليلة الحيلة هو أسهل من محاولة الدخول إلى عالم المسيطرين وحائزي السلطة. فالبالغون المحتكون بهؤلاء الأطفال وقادتهم كانوا أكثر تحفظاً من الأطفال في تعاملهم مع الباحثين مع أن الدخول إلى عالم الأطفال واكتساب ثقتهم لم يكن سهلاً. لكن الطفل الأصغر سناً والأقل انخراطاً في عالم الشارع عادة ما يكون أكثر ترحيباً وفضولاً بتجربة الحديث عن حياته لبالغين من "متعلمي الطبقة الوسطى". ولكن هذا الترحيب والفضول لا ينفي حكايات الأطفال المزيفة والمعلومات المضللة التي يعطونها عن أنفسهم حتى بالنسبة لأسمائهم فقد كانوا يقدمون في بعض الأحيان أسماء غير صحيحة.

وبتعميق العلاقات واكتساب الثقة بدأ الأطفال أنفسهم في تعريف الباحثين والباحثات العاملين بالشارع بأقرانهم وقادتهم في مناطق أخرى والحديث عن أنفسهم وظروفهم ومهاراتهم وآمالهم وآلامهم.

ومما يجدر ذكره أنه بالرغم من أن مركز الاستقبال بدأ نشاطه بعد حوالي عام منذ بدء توطيد العلاقات مع الأطفال ذكوراً وإناثاً بالشارع، وبعد النجاح في استقطاب ثقة بعض القادة الذين شاركوا في تأسيس المركز واقتراح أنشطته والخدمات التي تقدم به متضمنة أهمية إنشاء عيادة صحية، إلا أن فكرة المركز بعد إنشائه كانت مثيرة للريبة عند البعض وبدأت الشائعات تتردد حول المركز، فمثلاً قيل إن المركز يهدف إلى تجميع الأطفال من أجل تسهيل تسليمهم إلى "الحكومة" أو مؤسسات الأحداث، أو لإعادة الأطفال إلى أسرهم، بل وقد طرح البعض أن المقصود من عيادة المركز هو القيام بعمليات الاستيلاء على أعضاء من جسم الأطفال وبيعها للأغنياء و"الخواجات".

وقد يكون بعض البالغين والمستفيدين من هؤلاء الأطفال هم مروجى هذه الشائعات، ولكن هذا التوجه كان تعبيراً عن عدم ثقة الأطفال بالمجتمع وفي رغبة المجتمع الحقيقية في تقديم العون لهم.

كان وضع العيادة في أول شهرين من إنشاء المركز تعبيراً واضحاً لعدم الثقة، إذ أن الطبيب المتفرغ كان يقضي اليوم كله دون زيارة واحدة رغم حاجة الأطفال الشديدة لمثل هذه الخدمة. وبمرور الوقت توطدت الثقة بين الأطفال والمركز، واعتمد العاملون بالمركز لتوطيد هذه الثقة على تقديم خدمة طبية متميزة، لا تتضمن أي أحكام أخلاقية حول سلوك الأطفال. فالطفل الذي يذهب إلى العيادة لخياطة جرح في وجهه لم يكن مضطراً أن يشرح أسباب الإصابة أو يبررها للطبيب، وبذلك لم يلعب الطبيب دور السلطة المهنية والأخلاقية التي تمثل المجتمع وقيمه، والتي تمثل صورة سلبية عند الأطفال، وبدأ يزور العيادة يومياً أعداد كبيرة من الأطفال والشباب بالشارع لمعالجة جروح طارئة وخطيرة أو لأسباب أخرى ليست على هذا المستوى من الخطورة.

في العلاقات الحميمة والثقة والاحترام والتضامن المتبادل والتساؤلات غير المتطفلة، والتواجد المستمر بالمركز وبالشارع من العاملين والعاملات مع الأطفال والشباب، تم الاندماج في مسارات الحياة اليومية بالشارع، وأصبح العاملون في الشارع رفقاء أعزاء، وشخصيات مرجعية متواجدة لهم، وسهل الوصول إليهم، يقدمون لهم العون في وقت الشدائد والطوارئ ويمنحونهم الدعم الاجتماعي الأصيل لإعادة تنشئتهم لطرح ثقتهم بنماذج من المجتمع الأصلي، والتى كانوا قد فقدوا الثقة بهم.

ومن هذا المنطلق جمعت كل المعلومات التي بنيت هذه الدراسة عليها، واشتملت عينة الدراسة ليس فقط على الأطفال بل شملت الفتيات والشبان والشخصيات الرئيسة التي تعيش في محيط الأطفال ويؤثرون بطريقة أو بأخرى فى الحياة اليومية لهؤلاء الأطفال بالشارع.

خلفية اجتماعية عن بعض الحالات التي تم دراستها

الحالات التي تم تحليلها كمياً (١٩١ حالة) ٧٠٪ منها ذكور و٣٠٪ منها إناث أي أقل من ثلث العينة، مما يؤكد شمول ظاهرة التعايش في الشارع بين الذكور والإناث. وحيث إن هذه العينة تشمل الأطفال والشباب وقياداتهم بالشارع من الذين أمضوا شبابهم بالشارع، فإن أعمارهم تتفاوت ما بين ٧ سنوات و٤٥ سنة، و٢٠٪ منهم تقع أعمارهم ما بين ٧ و١٢ سنة، و٥٤٪ أعمارهم تقع ما بين ١٣ و١٧ سنة و٢٠٪ منهم أعمارهم ما بين ١٨ و٢٦ سنة. وثماني حالات فقط أعمارهم أعلى من ٢٦ سنة بوصفهم قيادات لهؤلاء الأطفال بالشارع، و٤ حالات لا يوجد بيانات أكيدة عن أعمارهم.

ومن الحالات التي لها بيانات عن مكان مسكن أسرهم وعددهم ١٧٩ حالة حوالي نصفهم فقط (٥٢,٥٪) من مناطق القاهرة الكبرى والباقي أسرهم إما من مدن أخرى (١٥,١٪) بالجمهورية أو من قرى محافظات أخرى (٣٢٪).

وقد تم اختيار الحالات للتحليل الكمي من جميع الحالات التي تم التحدث معها (٣١٥ حالة) والتي بها كم من المعلومات المطلوبة لإعطاء بُعد كمي لبعض موضوعات التحليل.

قام بإجراء هذه الدراسة مكتب مستشارو الإدارة والتحليل والتخطيط الاجتماعى "سپاك" بالتعاون مع عدة شركاء فى الفترة من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٩ ، وتم إعداد التقرير النهائي فى عام ٢٠٠٢ .

ولأهمية النتائج والتوصيات التى خرجت بها الدراسة لكل المعنيين بالعمل مع أطفال الشارع ، وافق المجلس القومي للطفولة والأمومة على نشر هذه الدراسة تحت رعايته وبتمويل من منظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونيسف" .

وتم نشر هذه الدراسة فى ٢٠٠٥ .

This study was undertaken by the Social Planning Analysis & Administration Consultants (SPAAC) in collaboration with several partners during the period starting 1994 and ending 1999. The final report was prepared in 2002.

Due to the importance of the findings and recommendations of the study for all those concerned with the issue of street children, the National Council for Childhood and Motherhood has agreed to print this study under its auspices, funded by UNICEF.

This study was printed in 2005.

العوامل المتداخلة التي تؤدي إلى تواجد الطفل بالشارع

المقدمة

تلعب عوامل مختلفة مرتبطة بالأسرة والمدرسة والورش مكان عمل الأطفال وكذلك الجيران والأصحاب في تعرض الطفل لأوضاع الشارع والتعود عليها مما يجعل الشارع ملاذا لهم يعوضهم عما يتصدون له من صدمات وأزمات نفسية وجسدية واقتصادية. فهناك عوامل متداخلة تطرد الطفل إلى الشارع وعوامل بالشارع تجذبه إلى التواجد بالشارع.

أولاً: دور الأسرة

الظروف التي يتعرض لها الطفل أو الطفلة بالأسرة، ونوعية العلاقات سواء مع الأب، أو الأم، أو زوج الأم، أو زوجة الأب، أو الأخ الكبير، أو الجدة والجد، أو العم والخال، كثيراً ما تعرض الأطفال إلى معيشة الشارع وتزجهم إليه.

غياب الأب وتفكك الأسرة

ومن العوامل الطاغية في أغلب ما يفصح به الأطفال عن ظروف تواجدهم بالشارع ترجع إلى غياب دور الأب في الأسرة، سواء بالوفاة، أو السجن، أو بالانفصال، أو الزواج من زوجة أخرى، أو للغياب المعنوى سواء من المرض، أو من إدمان الخمر والمخدرات.

من أقوال الأطفال عن غياب الأب وتفكك الأسرة:

- طفل ١٣ سنة: "أبويا مش فايق لحد فينا، كفاية عليه البانجو".
- شاب ١٦ سنة: "كنت بشتغل ولما كنت أقبض الفلوس وأقول له عايز أجيب هدوم، يقول لي ما تجبش أنا أجيبلك. ياخد الفلوس ويروح يشرب بيها ويبرشم بيها".
- شاب ١٥ سنة: "أصل أبويا غاوي شرب خمرة، كان بيجي كل يوم متأخر ومش شايف قدامه وكانت أمي تتخانق معاه علطول علشان الشرب ده".
- شاب ١٧ سنة: "أبويا كان عنده ورشة ميكانيكي وباعها بسبب شرب الخمرة والخمرة سبب طلاق أمي من أبويا".

ويعطي جدول رقم (١) مدلولاً كمياً عن الحالات التي بها الأب غير متواجد أو لا يعمل أو يتعاطى مخدرات أو سبق له دخول السجن، أو الأم تعمل في أعمال هامشية.

جدول رقم (١) خلفية عن الوالدين بأسر العينة

إجمالي العينة	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
وضع الأب والأم	٪	٪	٪
الأب غير متواجد	١٤,٩	٤٧,٤	٢٤,٦
الأب لا يعمل	٨,٩	٨,٨	٨,٩
الأب يتناول مخدرات	٨,٢	١,٨	٦,٣
الأب سبق له دخول السجن	٣,٧	١,٨	٣,١
الأم غير متواجدة	١١,٩	٢٢,٨	١٥,٢
الأم تعمل عملاً هامشياً	١١,٢	٥٤,٤	٢٤,١

(*) إجابات لأسئلة مختلفة.

فغياب الأب لأي سبب من الأسباب يعرض الأسرة في أغلب الأحيان إلى أزمات اقتصادية وخصوصاً في حالة وجود أعداد كبيرة من الأبناء. وإذا تغيب الأب في حالة عدم تواجد ابن كبير السن يحل محل الأب في توفير المال لمعيشة باقي أفراد الأسرة، فإن ذلك يفرض على الأم النزول إلى الشارع سعياً للرزق أو يعرض الأطفال إلى العمل بالشارع لتوفير سبل المعيشة للأسرة.

وفي حالة انفصال الأبوين وإعادة الزواج من أخرى للأب، أو من زوج آخر للأم، يتعرض الأطفال للعنف من زوج الأم أو زوجة الأب، أو للإهمال وعدم الاهتمام بهم، أو للمعاملات التي تفرق بين الأبناء من الزواج القديم أو الجديد. كما أن هذه الأوضاع قد تعرض الأطفال إلى التنقل للمعيشة مع أقارب من الأسرة الممتدة مثل الجد والجدة، أو الخال أو العم، أو الأخوة المتزوجين.

وهذه الظروف والأوضاع المختلفة تعرض الأطفال إلى:

- العنف الجسدي والمعنوي.
- الإحساس بالإهمال والتسيب.
- النزول إلى الشارع لالتقاط الرزق.
- عدم الاستقرار والتشتت في المعيشة بين الأقارب.

ومن بعض الأمثلة لذلك من قصص الأطفال ما يلي:

- طفلة ١٣ سنة من بني سويف: "سبب نزولي إلى الشارع هو أبونا ربنا يتعبه زي ما تعبنا كان بيضرب أمي، وسابها واتجوز واحدة تانية ومهتمش بالصرف علينا واضطرت أمي تنزل القاهرة كل يوم لبيع السميط وبعض الخضراوات بالميدان وأخدتني معاها وده اللي علمني إزاي أعيش بالشارع".
- طفل ١١ سنة: "أمي هي اللي جبرتني على الشغل عند (..) عشان إحنا فقرا وما فيش عندنا فلوس عشان أبويا سايب أمي من ٨ سنين وما فيش أي اتصال بينهم. وأمي خلتني أعمل زي زميلي (..) واشتغل بالشارع وإن ما عملتش كده كانت تضربني".
- شابة ٢٠ سنة: "أمي أطلقت من أبويا وكل واحد فيهم اتجوز، أبويا كان على طول يضربني وكمان مرات أبويا كانت تضربني وتهينني وتبعتني أشتري لها حاجات وساعات كنت أشحت في الشارع وأديها الفلوس لأنها كانت بتفرح قوي لما أديها الفلوس.. وسبت أبويا ورحت أعيش مع خالي وكان خالي يقول لي روحي أشحتي وهاتي فلوس أنا مش هصرف عليكي ورحت أعيش مع أمي .. جوز أمي طردني من البيت وقال مش عايزها تقعد هنا. ولما رجعت لأبويا تاني ضربني بسلك الكهرباء عشان كده نزلت الشارع وما بقتش أرجع البيت".
- شاب ٢٠ سنة: "أبويا طلق أمي وأنا وأخواتي اتبهدلنا ودفعنا الثمن. وراح متجوز واحدة ولما خلفت بنت بقت تخلي أبويا يضربنا وكانت تخلينا نشيل الجلة من تحت البهايم ومكنش في حد حنين علينا ولقينا نفسنا ماشيين في طريق كله عذاب فروحت سبت البيت".

ويوضح الجدول رقم "٢" أن تكوين الأسرة بين الحالات التي تم تحليلها كمياً سواء الأسر التي يعيشون بها أو كانوا يعيشون معها فإن أقل من النصف (٣٧,٢٪) عائلاتهم الأصلية من أب وأم وأخوة أشقاء. أما الباقون فإما لهم أب أو أم فقط (٢١,٥٪) وأغلبهم مع أم فقط وليس الأب، أو لهم زوج أم أو زوجة أب (٢٢٪) أو عائلتهم من أقارب مثل الجد أو الجدة أو الخال أو العم .. الخ (٥,٢٪) أو أنماط أخرى من الأقارب (٦,٣٪) وخصوصاً للإناث. وهذا يوضح تعرض الكثير من الأطفال بالشارع لعدم استقرار العلاقات المعترف بها في مفهوم الأسرة من أب وأم وأشقاء.

جدول رقم (٢) نمط الأسرة الأصلية

إجمالي العينة	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
أنماط الأسرة	٪	٪	٪
أب وأم وأخوات أشقاء	٤١,٨	٢٦,٣	٣٧,٢
أب أو أم فقط وأخوات	٢٢,٣	٢٢,٨	٢١,٥
زوجة أب أو زوج أم	٢٠,١	٢٦,٣	٢٢,٠
أقارب آخرون	٦,٠	٣,٥	٥,٢
أخرى	١,٥	١٧,٥	٦,٣
غير مبين	٨,٢	٣,٥	٦,٨

العنف الأسري

تخللت أغلب حكايات وقصص الأطفال عن تعرضهم للعنف، سواء الجسدي أو النفسي، أو تعرضهم لعلاقات عنيفة بين الأب والأم، أو زوج الأم مع الأم، أو الأب مع زوجته، أو مع الأخوة. والمعاملات القاسية مع الأطفال غالباً ما تكون من الأب وخصوصاً إذا كان "صاحب كيف"، أو من زوج الأم أو زوجة الأب. ولكن في بعض الحالات، حتى الأم تقسو على الأطفال وتضربهم ضرباً مبرحاً خصوصاً في حالة عدم جديتهم في جلب المال من الأعمال الهامشية والتسول.

والأطفال يعاملون بالعنف لأسباب كثيرة منها فشلهم في الدراسة، أو تركهم العمل في الورش، أو عدم فائدتهم من حيث جلب النقود، أو لشرب السجاير، أو للتسكع بالشوارع.. الخ من سلوكيات مختلفة قد تصل إلى حد سرقة الأهل حيث تصل العلاقات الأسرية من كثرة العنف إلى علاقات نفعية لا تتخللها المشاعر والاحترام والهيبة.

من أقوال الأطفال عن العنف الأسري

- فتاة ١٩ سنة: "جوز أمي كان بيعاملني معاملة وحشة وكان بيهددني إن ابنه ياخدني وبيبهدلني وكان بيبهدل أختي (..) وأمي كانت بتضربني وتسبني بسبب جوزها. وكانت بتضربني بكعب الجزمة على ظهري وكانت تحرقني بالمعلقة وخلوا رجلي وارمه وقررت أسيب البيت وأمشي وكان عندي ١٢ سنة".

● طفل ١٤ سنة: "أنا بهرب من البيت علشان الضرب بتاع أبويا (..)، عرف أني بشد كلّة ومن يوميها وهو بيضرب فيّ عشان خاطر أبطل الكلّة وكان يفضل يربطني في السرير بتاعي طول الليل والنهار. دي كانت أمي كمان معاه مش أبويا بس، لا دي أمي كمان".

● شابة ١٨ سنة: "أبويا كان بيعاملني وحش جداً. كل شوية كان بيضربني ويبهدلني وكان بيشتمني شتايم وسخة جداً بس لما كان بيشتمني كنت بأرد عليه الشتيمة بشتيمتها، وكان لما يضربني أروح مصوتة ومصرخة وأجري على الشارع ألطم وأصوت وأحط على راسي التراب وأبويا يروح مكتفني. ولو بصيتي في جسمي راح تلاقيه كله حروق ومطرح ربط الحبل بيبقى متعلم. وإضايقت وفكرت أسيب البيت وسبت البيت ومشيت وكان عندي حوالي ٩ سنين أو عشرة، مش متأكدة من السن قوي أول مرة سبت البيت".

● طفل ١٤ سنة من الفيوم: "أمي بتضربني وبتبهدلني وجوزها يقولي متخافش منها، البيت ده بتاعك ولما أروح عند أبويا يدور في الضرب حتى مراته وعياله".

● طفلة ٩ سنوات: "جوز أمي بيخلينا نوزع له المخدرات اللي هو بيتاجر فيها وهو بعيد عن الخطر وفي واحد من صحابه اعتدى عليا أنا وأختي".

كما أن كثرة الشجار بين الأبوين، وضرب الزوج الزوجة خصوصاً الأم، من الصدمات التي تؤثر على نفسية الأطفال. فمثلاً طفلة عمرها ١٠ سنوات تحكي أن سبب نزولها للشارع هو لاستعطاف الناس لتوفير المصروفات الضرورية لأسرتها حيث كانت طلبات الأم لا توافق القدرة المالية للأب وتزيد من توتر الأسرة من الشجار المستمر بين الأب والأم التي تنتهي بضرب الأب الأم.

وطفل آخر عمره ١٣ سنة هرب من البيت لأول مرة وهو عمره ٦ سنوات من قسوة الأب وتكرار ضرب الأب له بصورة مستمرة. وكان الأب كثيراً ما يضرب الأم حيث وصف الطفل عدم قدرة الأم على حمايته: "أمي عايشه ملهاش دعوة بحاجة، ده حتى لما أبويا بيقعد يضرب فيها كل شوية ما بتعملش حاجة".

ومن أنواع العنف الذي نادراً ما يذكر من الأطفال هو العنف الجنسي. فالأب المتزوج من غير الأم قد يحث بناته على الدعارة، أو قد تتعرض الطفلة للاغتصاب من الأقارب أو أولاد الجيران، أو يتعرض الأبناء لسلوك أم مشين مع صديقها، وحتى الأولاد الصغار قد يواجهون صدمة الاغتصاب من الأقارب.

من أقوال الأطفال عن العنف الجنسي

● طفل ١٤ سنة: "كنت قاعد عند ستي وأنا نايم هناك جنب عمي، اسمه (..)، أصحى ألاقي البنطلون مفتوح روحت أقول لعمي الكبير لاقيته راح قعد يضربني أنا وساب عمي (..) ومحدش اتكلم معاه، رحت سبت البيت ومشيت على مصر".

● شاب ١٦ سنة: "أمي ربنا ياخدها هي السبب في اللي أنا فيه، في مرة وأنا راجع من المدرسة فضلت أخبط على الباب وفتحت بعد مدة ولابسة قميص نوم وقالتلي يالا خش علشان تستحمى ولقيتها عمالة تبص على أوضة النوم وفتحت باب الحمام شوية لقيتها خرجت راجل. ومرة أبويا سافر صحيت بالليل سمعت صوت أمي وهي بتضحك ومعاها نفس الراجل وبيشربوا سجاير ولما شافتني غطت نفسها بسرعة والراجل لبس القميص، ومن ساعتها صورة الراجل ده فضلت في دماغي مش عايزة تروح. ولما كنت أمشي ألاقي الناس بتتكلم على أمي وحش دي مش كويسة ومشيها وحش".

ويعطي جدول رقم "٣" بعداً كمياً من قصص الأطفال بالشارع عن نوعيات الإساءة والعنف التي يتعرضون لها داخل الأسر فالإساءة من الأب هي أعلى نسب من الإساءة، خصوصاً للأبناء الذكور يليها إساءة الأم وزوجة الأب وزوج الأم وإساءة الأقارب. وثلث الأطفال والشباب فقط لم يستدل من قصصهم عن مشكلات عنف أسري في علاقاتهم مع أسرهم.

جدول رقم (٣) مشكلات العلاقات الأسرية

إجمالي العينة	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
(*) إجابات لأسئلة مختلفة.	٪	٪	٪
الأب يسيء إلى الطفل	٦٤,٣	٢٢,٨	٣٩,٣
الأم تسيء إلى الطفل	١٨,٧	٢١,٨	١٩,٤
زوجة الأب تسيء إلى الطفل	١١,٢	١٢,٣	١١,٥
زوج الأم يسيء إلى الطفل	٣,٧	١٣,٠	٦,٨
الأقارب يسيئون معاملة الطفل	٩,٧	١٢,٣	٥,٢
لم يستدل على مشكلات في العلاقات الأسرية مع الطفل	٢٧,٦	٤٧,٤	٣٣,٥

(*) أكثر من إجابة فالمجموع أعلى من ١٠٠٪

الخــوف

يتبع العنف أيضاً الخوف من العقاب فإذا أضاع الطفل شيئاً، أو تسبب في إتلاف شىء، أو تأخر في تلبية طلب، أو تقاعس عن أداء عمل، وارتبط ذلك بالعقاب العنيف فهو يدفع إلى الكذب خوفاً من المواجهة، خاصة إذا تكرر ما يوجب العقاب. إن العقاب غير المبرر أو غير المقنع للطفل نفسه وفقاً للظروف والملابسات يجعل الطفل يعيش في رعب قد يدفعه للهروب للشارع. حيث ذكر بعض الأطفال أنهم تركوا منازلهم خوفاً من العقاب وأحياناً خوفاً من موقف معين يخشى مواجهته.

من أقوال الأطفال عن الخوف:

- شاب ١٥ سنة: "الراجل بتاع الفرن إداني ٤٠ جنيه أجيب بيهم عيش، وقعوا مني خفت أروح، فهربت وأنا عندي ١٤ سنة وبقالي دلوقتي سنة ولسة قاعد بره البيت ومحتار أروح ولا أقعد في الشارع".
- طفل ١٤ سنة: "كان نفسي اشتغل على المكنة بس مكونتش لسة وصلت للدرجة دي. وفعلاً في مرة من المرات شغلت المكنة وحسيت إن في ريحة دخان وطلعت شرار وروحت جاري على الشارع. مرضتش أروح البيت عارف اللي هيحصل من أمي واشتغلت في الشحاتة".

الأعمال الهامشية في الشارع من الأب أو الأم

كثير من الأطفال، سواء الذكور أو الإناث، يتعرضون لحياة الشارع ومجتمع الشارع من خلال مساعدتهم أولياء أمورهم على كسب العيش من أعمال متصلة بالشارع، ومن أمثلة لعمل الأب الذي يعرض الأطفال للشارع ما يلي:

من الأعمال الهامشية للأب أو الأم في الشارع:

- أب ماسح أحذية و"الفلوس اللي بيجيبها مش كفاية" والإلحاح على الطفل "إنه يجيب فلوس".
- سبب الظروف المالية والأب بائع حلويات بالقطار فالطفلة تقوم بمساعدة الأم في بيع باذنجان.
- الأب يعمل حارس "لنافورة عمر أفندي" فتعرف الطفل على منطقة بالشارع ومن بها وعمره ٨ سنوات.
- الأب بائع على عربية فاكهة جعلت الطفل "يعرف الشارع كويس".
- الأب بياع للفل والورد في إشارات المرور وعوّد الطفل على نزول الشارع والعمل به.
- الأب يعمل مبيض محارة والطفل كان يساعده ولكن الطفل لم يستمر في الشغل مع أبوه "أصل أبويا زي ما هو من ساعة ما اشتغل الشغلة دي وهو كده زي ما هو مش بيتقدم خالص"، ونزل إلى الشارع لكسب العيش.
- الأب حاوي والطفل خرج معه لمساعدته ولكنه لم يعجب بهذه المهنة وبدلها بعمل آخر بالشارع.
- الأب بياع جرائد "كنت بخرج مع أبويا بس أنا ما كنتش بحب بيع الجرائد، فكنت أبيع مناديل في الشارع ومرة على مرة كنت أركب الأتوبيس ولغاية دلوقتي وأنا في الشارع".
- الأب يعمل في قهوة والابن يساعده في الطلبات "وده خلاني قريب من الشارع".
- الأب يعمل بالمحطة والبنت وعمرها ٨ سنوات كانت بتشتغل معاه في عمل الشاي على نصبة شاي.

وعندما تنزل الأم إلى الشارع لتعيل أبناءها – وخصوصاً في حالات وفاة الزوج، أو مرضه، أو سجنه، أو إدمانه، أو تركه الأسرة بالانفصال والزواج – يتعرض الأبناء للنزول إلى الشارع مع الأم إما للتسول، أو على فرشة شاي أو بيع سميط أو طعمية .. الخ. وكثيراً ما يضطر الأبناء إلى النزول للشارع بدلاً من الأم للمساعدة على المعيشة.

من أقوال الأطفال عن نزولهم الشارع مع الأم:

- طفلة ١٠ سنوات: "وأنا عندي خمس سنين اشتغلت مع أمي كنا بنلم الورق من عمر أفندي. ودخلت المدرسة وكنت أروح المدرسة وبعد ما أخلص أروح اشتغل مع أمي في لم الورق. من نزولي الشارع مع أمي وأختي أنا كنت بروح أمشي في الجيزة وكنت بأروح الجنينة واتعرفت على بنت اسمها (..) إتعرفت على واحد اسمه (..). أمي دايماً تتخانق مع أبويا، منين ما يجيله شغل يشتغل معندوش شغل مش بيشتغل. وأمي هي اللي بتصرف علينا، وأخويا هو اللي بيضرب فينا على طول ولما نتضايق منه بنسيب البيت ونمشي".

- طفل ١٤ سنة: "أنا أبويا ميت وأمي بتشتغل بياعة خضار وكانت بتخليني أبيع أكياس وتاخد هي الفلوس مني. كانت أمي تقولي انزل أبيع وكان أخويا ياكل على الجاهز، ما كانش بيشتغل ولا حاجة كان عايش بلطجي علينا، فكنت أبيع خضار مرة وكنت أبيع أكياس مرة. مرة على مرة ما كنتش عايز أنزل اشتغل أشمعنى أنا اشتغل وأخويا لأ مع أنه هو الكبير. فكانت أمي تحرقني في دراعي وفي رجلي وكانت تنزلني الشغل بالعافية بالذوق بأي طريقة. بعد مدة ابتديت أخرج من البيت أنام في السوق مرة في المحطة مرة في الجناين مرة تانية. كنت بتنقل في النوم كتير عشان محدش يعرف مكاني، بس كدة وما بقتش أرجع البيت وسبتهم خالص".

- طفلة ٩ سنوات: "أنا بابا سبنا وإحنا لسة صغيرين قوي وراح اتجوز واحدة تانية وسبنا من غير فلوس، وماما خدتنا معاها الشغل أصلها بتشوي درة في الشارع أمي من ساعة ما أبويا اتجوز وهي اتجننت وبتزعق فينا على طول وبتضربنا وعلى طول تتخانق مع الناس وبيقولوا عليها مجنونة. وبعد كدة راحت اتجوزت من (..). فضلنا بردك نشتغل في الشارع بس غصب عننا وبالضرب من أمي وجوز أمي".

تواجد أخوة أو أخوات في الشارع

بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية المتدنية للأسر التي تفرض على الأطفال النزول إلى الشارع في أعمار صغيرة لمساندة الأسرة في المعيشة، سواء وحدهم أو مع أولياء أمورهم، أو سواء بمحض إرادتهم أو بالعنف، إلا أنه في بعض الأحيان فإن الأخوة الكبار أنفسهم يشجعون الأطفال على النزول إلى الشارع للهروب مما يعانونه من أوضاع أسرهم، والابتعاد عنها، أو يكونون قدوة للأطفال لتقليد سلوكهم. فمن بين ١٣٤ طفلاً من الذكور ذكر ١٦,٤٪ منهم تواجد على الأقل أخ لهم بالشارع في سياق حديثهم عن الظروف التي أدت إلى تواجدهم بالشارع، كما ذكرت ٤٩,١٪ من الإناث وعددهن ٥٧ طفلة نفس الوضع كما هو مبين في جدول رقم "٤".

جدول رقم (٤) ظروف التواجد بالشارع

إجمالي العينة	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
تواجد أخ/أخت أو أكثر بالشارع	١٦,٤	٤٩,١	٢٦,٢
عدم تواجد أخوة بالشارع	٧٦,١	٣٥,١	٦٣,٩
ليس لديه أخوة	٠,٧	١,٨	١,٠
غير مبين	٦,٧	١٤	٨,٩

ومن أمثلة ذلك ما قاله طفل ١٠ سنوات:

- "أنا عرفت الشارع من أخويا، كان بينزل الشارع ويجيب فلوس وييجي يديني ويدي أمي وأبويا فلوس".

التسيب والإهمال والافتقار إلى القدوة السوية

لم يذكر أي من الأطفال أو الشباب أو أي من قياداتهم بالشارع شيئاً عن التسيب بالأسر أو الإهمال أو الافتقار إلى القدوة. ولكن بغض النظر عن ما يواجهه هؤلاء الأطفال في أسرهم من ضرب مبرح، وتعذيب في بعض الأحيان، والسب، إلا أنهم في سرد القصص المختلفة والظروف التي أدت بهم إلى أحضان الشارع نادراً ما ذكروا أي شيء دال على الرعاية أو الاهتمام. فالطفل أو الطفلة قد يمكث في الشارع ساعات طويلة أو أياماً أو شهوراً، أو حتى سنوات وما يرجع به من نقود للأسرة يكون المتغير المهم. كذلك قصص تحرك الطفل أو الطفلة من بيت إلى بيت ومن أسرة إلى أسرة سعياً وراء الراحة والاستقرار له دليل آخر على عدم توفر الرعاية والمتابعة والاهتمام بهم كأبناء أو كأحفاد، فيفتقدون الحنان والصداقة والقدوة خصوصاً الأبوية التي هي عصب مفهوم الأسرة وأساس التنشئة السليمة. وما يفتقده الطفل أو الطفلة بالأسرة قد يوجد بالشارع. والأطفال يقدرون الرعاية والحنان والحماية ويحتاجون إليها. الدليل على ذلك القلة القليلة التي ذكرت مثل هذه الأوضاع مثل:

من أقوال الأطفال عن التسيب والإهمال والافتقار إلى القدوة السوية:

- طفل ١١ سنة: "في البيت مرات أبويا بتطلب مني حاجات كتير زي ما كون خدام تحت إيدها، وبتظلمني في أي حاجة وأبويا مش بيخاف عليا علشانها. علشان كده بطفش. ولما أمي كانت بتبقى قاعدة معانا مابتبهدلنيش خالص، قلب الأم أحن من قلب الأب".
- شابة ١٧ سنة: "لو كانت أمي لسة عايشة مكنش ممكن أنزل أشتغل ولا اتبهدل في الشارع. مرات أبويا الحرباية وديتني عند ولية زي (..) وضحكوا عليا وزنوا على وداني، هتكسبي فلوس كتير، وخدتني لبلد عربي وهي عارفة إيه اللي بيحصل للبنات. واتفاجأت لما سافرت باللي بيحصل والمصيبة كمان أبويا دخل السجن وبيتعاطى ماكس، ولما نقوله على اللي بتعمله مراته فينا إما ما يسألش أو يشتمنا ويهزئنا".
- شابة ١٨ سنة: "كنا عايشين عيشة كويسة جداً، بس لما أمي ماتت البيت اتغير، بقى كله نكد وأخواتي يعملوا زي ما هما عايزين لإن أبويا كان علطول مشغول. بعد كده بشوية أبويا مات ملقناش حد يصرف علينا. وكان في واحدة صحبتنا بتشتغل في بيع المناديل، ملقناش حل غير إننا نشتغل معاها أنا وأختي في بيع المناديل".

ثانياً: دور المدرسة

نسبة كبيرة من الأطفال والشباب بالشارع أتت لهم فرصة دخول المدرسة وخصوصاً الأولاد ولكن نسبة كبيرة أيضاً من الذين دخلوا المدرسة تركوها قبل الحصول على الابتدائية ويوضح جدول رقم "٥" الوضع بالنسبة للخبرة بالمدارس.

فبينما التعليم بالمدارس يعتبر من العوامل الأساسية لتكوين الأطفال، وإكسابهم المهارات الحياتية لتكملة دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، كانت المدارس عنصر طرد للكثير من الأطفال، بدلاً من أن تكون عنصر جذب لهم، تعوضهم عما يفتقدونه في أسرهم.

وقد ترك البعض المدرسة بسبب فشلهم وتكرار رسوبهم، إما لعدم رغبتهم وكراهيتهم التعليم، أو لانشغالهم بالحصول على المال لمعيشة الأسرة. والبعض تركوها تحت ضغط من الآباء حتى يساندوهم في إدرار الدخل أو حتى يخف من عليهم حمل

جدول رقم (٥) أوضاع الأطفال بالنسبة للدراسة

إجمالي العدد	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
الموقف بالنسبة للدراسة	٪	٪	٪
دخل المدرسة وترك	٥٧,٥	٣١,٦	٤٩,٧
ما زال في المدرسة	٣,٧	٥,٣	٤,٢
لم يدخل المدرسة	٢٦,١	٥٠,٩	٣٣,٥
غير مبين	١٢,٧	١٢,٣	١٢,٦
عدد من دخل المدرسة	٨٢	٢١	١٠٣
عدد سنوات الدراسة لمن دخل المدرسة:	٪	٪	٪
سنة واحدة	١٥,٨	٤,٨	١٣,٦
سنتان	١٨,٣	١٩,١	١٨,٤
٣ سنوات	٥٢,٤	٦٢,٠	٥٤,٤
ابتدائي	١١,٠	١٤,٣	١١,٦
تأهيل مهني	١,٢	–	١,٠
غير مبين	–	–	١,٠
مشكلات الطفل في المدرسة:	٪	٪	٪
يضرب بالمدرسة	٧,٣	٤,٨	٦,٨
يرسب باستمرار	١١,٠	٢٣,٨	١٣,٦
عدم دفع المصاريف	١٢,٢	٤,٨	١٠,٧
لا يحب المدرسة	١,٢	–	١,٠
لا توجد مشكلات	٦٥,٨	٥٧,١	٦٤,١
غير مبين	٢,٤	٩,٥	٣,٩

تكلفة الدراسة. والبعض ترك المدرسة بسبب سوء المعاملة والضرب أو إغراء الأصحاب للنزول إلى الشارع. ومن أمثلة ذلك ما يلي من مقولات الأطفال أنفسهم:

أقوال الأطفال عن المدرسة:

- طفل ١١ سنة: "أنا كنت في مدرسة وكنت بحبها بس كنت بليد شوية، فجيت عند سنة خامسة ورحت خارج من المدرسة لأني بقيت على طول بنضرب من المدرسين".
- طفل ١٤ سنة: "أنا كنت في مدرسة وفي يوم من الأيام هربت منها وكان أول مرة أهرب ووالدي عرف إني هربت راح واخدني وربط رجلي وإيدي في رجل السرير، وفضل يضربني بالعصاية لغاية ما اتعورت في كل حتة في جسمي".
- شاب ١٩ سنة: "بعد ما أبويا سافر ومفيش حد يسأل عليا هربت من المدرسة وروحت مع العيال على محطة القطر نلعب، راح الناظر هو اللي طردني عشان الغياب. ولما أبويا جه من السفر كان يوديني المدرسة وبعد ما يسافر أهرب. وبعدين عمي راح المدرسة بناء على طلب أمي وعرف بهروبي، راح ضربني وفضل رابطني وقالي خليك كده لغاية ما أبوك ييجي ويشوف صرفة، وبعدين هربت على القطر وسافرت إلى رمسيس".
- شاب ١٥ سنة: "أنا دخلت المدرسة لغاية سنة خامسة ابتدائي والمدرسة هي سبب هروبي من البيت لأني سقطت في المدرسة سنتين وكنت بانضرب، عشان كده هربت من البيت ومن المدرسين في المدرسة".
- طفل ١٤ سنة: "خرجت من المدرسة من سنة تالتة ابتدائي بمزاجي، ماكنش ليا مزاج اتعلم، ممكن تقول أرف من المدرسة حبس وحاجات بتتحكم فيك. بصراحة اتشديت لشغل أبويا، كان شغال بيبيع ورد وفل في الإشارة".
- شاب ١٦ سنة: "مكنتش بذاكر ومحبتش المدرسة وكنت آجي من المدرسة أروح أقعد جنب أمي وهي بتبيع فاكهة، وعدت سنة أولى وتانية. وفي سنة تالتة كنت بهرب علطول من المدرسة أنا وأخويا على الجنينة لحد ميعاد المدرسة ونروح. وبعد كده أمي سألت عليا في المدرسة عرفت اني بهرب، ضربتني وودتني المدرسة وبقيت أهرب فطلعتنا من المدرسة".
- شاب ١٦ سنة: "أنا كنت في المدرسة وخرجت من سنة أولى إعدادي بس أصل أنا معرفش اكتب غير اسمي. وسبت المدرسة عشان خاطر مدرسة العلوم كانت بتسمع لنا الدروس بالضرب، عشان كده كرهت العلوم والمدرسة".

- طفل ١٤ سنة: "طلعت من تانية ابتدائي عشان خاطر الأستاذ كان غبي (ابن ..)، كان في الرايحة والجاية يضربني من غير سبب. ولماقولت لوالدي قالي خليه يضربك علشان تتعلم، عشان كده سبت البيت".
- شاب ١٥ سنة: "أنا طلعت من المدرسة في سنة ثالثة ابتدائي عشان ما كنتش بحبها، كانت وحشة، كل يوم كان في واجب وأبويا وأمي يضربوني في البيت عشان أذاكر وأعمل الواجب، والمدرسة كانت تضربني عشان مبعملش الواجب. كان يوم طويل وما بيخلصش. مرة ما كنتش عامل الواجب وأمي ودتني المدرسة الصبح بالعافية وأنا رايح المدرسة لقيت عيال لسة خارجين من المدرسة وبيلعبوا كورة في الجنينة، دخلت الجنينة وفضلت اتفرج عليهم، خلص ميعاد المدرسة روحت بيتنا ومحدش عرف. فضلت أعمل كده كل يوم وساعات أروح المدرسة يوم وأعمل كده اليوم التاني".
- طفل ١٢ سنة: "أنا طلعت من المدرسة من سنة خامسة ابتدائي. كنت بأحب المدرسة بس كنت بليد شوية، وكنت عشان أكمل في المدرسة لازم أدخل درس أو مجموعة بس أبويا ما كنش معاه فلوس إلا على أد الأكل والإيجار وكان الدرس والمجموعة غاليين قوي. كنت على قد ما أقدر أذاكر وفي المدرسة الأساتذة مش بيفهموا حد كل همهم الدروس والمجموعات. جيت في سنة خامسة خرجت من المدرسة عشان بقيت على طول بنضرب من المدرسين وأبويا كمان كان بيضربني عشان بليد في المدرسة. ريحت نفسي وخرجت من المدرسة وقعدت في البيت".

فالتسرب من التعليم يزيد فرص التواجد بالشارع وهو مرتبط بطريقة أو بأخرى بظروف الأسرة ووضع الطفل أو الطفلة بها. كما يرتبط بالنظام التعليمي نفسه وعدم قدرة المدرسة على إشباع احتياجات الأطفال أو رغباتهم، كما يرتبط بغفلة إدارة المدارس عن متابعة التلاميذ ومتابعة غيابهم أو خروجهم من المدرسة فى أثناء الدراسة.

ثالثاً: دور العمل بالورش الحرفية

كانت خبرة الأطفال في العمل بالورش الحرفية من العوامل الإضافية التي دفعت إلى تواجد الطفل في الشارع. فالطفل يعمل بالورش بتشجيع من الأسرة من واقع الاحتياج المالي الناتج عن

غياب الأب، أو من عدم قدرة الأب على سد احتياجات الأسرة بسبب الحالة الصحية، أو الإدمان، أو محدودية المهارة والانسياق إلى الأعمال الهامشية. وقد عمل بالورش حوالي ثلث عينة الأولاد (٣٠,٦٪) في وقت ما من حياتهم.

وينخرط الطفل في العمل بالورش، وغالباً ما يتعرض لسوء المعاملة والضرب من صاحب الورشة، بجانب مخاطر العمل الصحية. كما أن دخل الطفل من العمل المضني، والساعات الطويلة بالورش، وحصول الأسرة على هذا الدخل، يقلل من أهمية مثل هذا العمل مقارنة بما يحصل عليه غيره من فرص بالشارع. فيهرب الطفل من الورشة إلى الشارع. وفي حالات أخرى، يكلف صاحب الورشة الطفل بالقيام بأعمال تافهة، أو يكلفه مسئوليات تعطيه الفرصة للتسكع بالشارع، والتعرف عليه ومن أمثلة ذلك:

أقوال الأطفال عن العمل بالورش الحرفية:

- شاب ١٥ سنة: "أنا اشتغلت استورجي ونجار وميكانيكي. كل واحد من اللي اشتغلت عندهم ضربني بالشاكوش اللي عمري مش هنساه."

- طفل ١٢ سنة: "الشغل في الورش وحش والأسطوات بيفضلوا يضربوا ويشتموا. اشتغلت عند حلاق كان يضربني ويكسرني وروحت لأمي ضربتني، سبت البيت ونزلت الشارع".

- طفل ١٤ سنة: "كنت بجيب طلبات السكان لأبويا ومرة وقعت فلوس ضربني ووداني عند نجار أشيل خشب وأودي خشب. وبعدين ورشة ميكانيكي، في الأسبوع ٢ جنيه، وعلطول معاه العصايا بيضربني ويشتمني، واشتغلت في بيع بلاستيك في السوق مع أبويا، وكان بيضربني ويكسر الكوباية على دماغي واتعالجت في المستشفى".

- طفل ١٤ سنة: "الظروف صعبة وكمان أخواتي كتير وأبويا راجل غلبان شغال في ورشة بيصنع سلالم، وكانت أمي مصممة أنزل أي ورشة عشان أعرف صنعة. ونزلت ورشة ميكانيكي وسبتها من ضرب وشتيمة صاحب الورشة وروحت ورشة خراطة. أمي بتاخد كل الفلوس وأنا آخد مصروف بسيط، أمي نفسها أجيب فلوس وخلاص مش مهم هشتغل إيه. وكان نفسي اشتغل على المخرطة ومرة شغلت المكنة طلعت دخان وريحة، هربت على الشارع خوف من صاحب الورشة وأمي".

- شاب ١٥ سنة: "أمي شغلتني عند واحد بتاع شنط من ٩ الصبح وبرجع الساعة ٧ بالليل، أودي شنط للمخزن وأجيب جلد وكل أسبوعين ١٥ جنيه وأتضرب واتشتم. لكن دلوقتي بمسح العربيات ممكن أطلع ١٥ جنيه في اليوم واشتغل براحتي ولا حد يشتمني ولا يضربني".

- طفل ١٤ سنة: "بعد ما رسبت مرتين في رابعة ابتدائي أبويا طلعني اشتغل في ورشة سمكرة السيارات وكان علطول يضربني اما بالشاكوش أو بحديدة، ويقول للأسطى ده مش ابني أضربه دغدغه، ويرفض يديني فلوس للأكل ويقول لما تروح كل في البيت، بقيت أسيب البيت كل شوية لحد ما اتعودت بقيت أسيب البيت علطول".

رابعاً: الأصحاب والجيران

أغلب أطفال وشباب الشارع الذين تم التعرف عليهم إما من أحياء عشوائية بالقاهرة الكبرى أو من محافظات ريفية من الوجه البحري أو القبلي. والمناطق الريفية والحضرية العشوائية تشكل بيئة نسبة كبيرة من الأطفال مثل أبو النمرس، البراجيل، أبو قتاتة، أرض اللواء بامبابة، ميت عقبة، بهتيم. والأطفال الذين أصلاً من خارج القاهرة الغالبية منهم من بني سويف والفيوم والمنيا وأسيوط. وهذه أقرب مناطق للأمكنة التي تم بها العمل الميداني.

وفي هذه المناطق العشوائية الفقيرة كثافة مجتمع الشارع متوغلة. فكثير من الأطفال نزلوا إلى الشارع إما للهو، أو للحصول على المال، وذلك من خلال تشجيع أصحابهم وجيرانهم في نفس الحي. وتأثير الأصحاب يكون عاملاً مهماً للأطفال بالمدارس أو للعاملين بالورش. أي الأطفال الذين في حاجة إلى مساعدة أسرهم مالياً أو الذين يعملون ولكن بأجر رمزي قليل بالنسبة لما يمكن أن يحصلوا عليه في يوم تسول واحد من منطقة المهندسين مثلاً. كذلك الأصدقاء والجيران قد يصطحبون الطفل أو الطفلة إلى أماكن اللهو وشرب السجاير ويعرفونهم بقيادات ممكن أن توفر لهم فرصة العمل مثل بيع مناديل أو غسل السيارات.

وبالنسبة لأطفال المحافظات فقد كانت محطة السكة الحديد والمنطقة الحضرية حولها منطقة للترفيه أو كسب الرزق، وترددوا عليها مرات عديدة مع الأصحاب قبل أن يغامروا ويأتوا إلى القاهرة الكبرى. وفي هذه المناطق الحضرية بالمحافظات الريفية تدرب الطفل على أنماط التفاعل والتعامل في بيئة حضرية، وتعرف طرق كسب الرزق. وكثير من الأطفال الذين أتوا من المحافظات القريبة من القاهرة الكبرى كانوا ينزلون للعمل وكسب الرزق بالجيزة أو رمسيس طوال اليوم ويعودون في آخر اليوم إلى الأهل. وبالتدريج تحول وجودهم إلى القاعدة و"زياراتهم" للأهل هي الاستثناء.

الخـلاصة

لا يوجد "سبب" أو "أسباب" معينة لتواجد الطفل أو الطفلة بالشارع، لأن الطفل لا يترك أسرته فجأة وينزل الشارع كنقطة تحول درامية. فإن عوامل وظروفاً متداخلة أساسها الأسرة ويدعمها النظام التعليمي بالمدارس ونظام صبية الورش وثقافة المناطق الشعبية العشوائية وهذه الظروف المختلفة تهيئ الطفل أو الطفلة للنزول إلى الشارع والتعرف عليه والتشبع بقيم ومهارات مجتمع الشارع وتذوق إيجابيات التواجد به وتعلم المهارات المطلوبة للتعايش معه.

ظروف التواجد بالشارع

المقدمة

المفهوم العصري للشارع هو الطريق الذي يصل بين نقطتين ليوفر أساساً خط الحركة لنقل الأشخاص والبضائع. ولكن بالمجتمعات الحضرية خاصة بالدول النامية، فإن الشارع عادة ما يكون له وظائف اجتماعية متنوعة، ويمثل امتداداً لمجالات عديدة متعلقة بمعيشة الأسر واقتصادياتها ووسائل الترفيه.. الخ. وهذه المجالات تكون موازية للمجتمع الرسمي المعترف به.

فالمنزل بالمناطق الحضرية العشوائية لا يسمح بأكثر من النوم، والساحة والحارة تعد امتداداً للمنزل. والمؤسسات الترفيهية الاجتماعية مثل السينما، والنادي الاجتماعي أو الثقافي أو الرياضي أو الأنشطة المدرسية المتنوعة، تعجز عن استيعاب سكان المدن بالمناطق الفقيرة ويكون الشارع هو مكان إشباع هذه الأنشطة. كذلك الكثير من الأنشطة الاقتصادية تمارس بالشارع. فمثلاً بائعو الأطعمة والمشروبات بالشارع، وبائعو الملابس، والنظارات، وسوق الرصيف بالشارع، يشبعون جزءاً مهماً من الاحتياجات الغذائية لسكان المدن. وكذلك الجراجات وأماكن انتظار السيارات تعجز عن استيعاب الأعداد المتزايدة من السيارات، وتحتل ركناً مهماً من الشارع بما يستلزمه ذلك من عمالة مثل منادي السيارات، وماسحي السيارات. كما أن إشارات المرور مجال خصب لبيع السلع المختلفة.

هذا الضغط المتزايد على الشارع جعله بلغة الاقتصاديين "موردا نادراً"، والصراع حول استخدامه يتم عبر آليات متنوعة تنظم إلى حد كبير عمليات الاستخدام، من خلال شبكات وعلاقات وتفاعلات ومفاوضات اجتماعية غير رسمية بين المتعاملين الذين يشكلون ما يمكن تسميته بمجتمع الشارع. وهو مجتمع له طابع شديد السيولة كثير الحركة والتنوع وغني فيما يقدم من فرص وموارد وإمكانات.

والأطفال والشباب بالشارع جزء من هذا المحيط الاجتماعي، الذي يتفاعلون معه، ويستمدون هويتهم من خلال علاقاتهم به.

أنماط التواجد بالشارع

إن الفكرة الدارجة عن مفهوم أطفال الشارع هي أنهم الأطفال "المتشردون" والهاربون من أسرهم، أو هم من قطعوا علاقاتهم تماماً بأسرهم، واختاروا الشارع لمعيشتهم ولمأواهم. ولكن من خلال العمل الميداني في الشارع لم يكن هذا النمط الوحيد للتواجد في الشارع ولا هو النمط الغالب، فهو نمط من أربعة أنماط لتواجد الطفل في الشارع.

وهذا النمط الذي تكون فيه علاقة الطفل أو الطفلة مقطوعة نهائياً مع الأسرة يكون له ظروف متعددة مثل توهان الطفل في صغره، أو الهروب المتكرر، وعدم الرغبة في العودة إلى الأسرة خشية التعرض للعقاب. وأحياناً تنقطع العلاقة مع تسليم من الأسرة بهذا الواقع للتخلص من مشكلات الطفل أو الطفلة، وخصوصاً في حالات كثرة عدد الأبناء والأبناء غير الأشقاء.

والنمط الثاني للتواجد بالشارع هو نمط التواجد بالشارع مع علاقات غير مستقرة مع الأسرة، تتفاوت فيها فترات البعد عن الإقامة مع الأسرة حسب اختلاف العلاقات معها، وحسب تواجد المال لدى الطفل حتى يظهر أمام أسرته بصورة "الراجل" الناجح ذي الزي الأنيق والمال الوفير وليس بصورة "المتشرد" أو المهزوم.

والنمط الثالث يتمثل في فئة الأطفال ذكوراً وإناثاً الذين خرجوا إلى الشارع بمعرفة الأسرة، وبدافع منها للحصول على المال لمساعدة معيشة الأسرة. فالطفل أو الطفلة يبقى بالشارع لساعات طويلة بالنهار أو الليل، ويرجع للإقامة مع أسرته، وفي بعض الأسر يعاقب الطفل جسدياً إذا لم يحصل على مال كاف من وجوده بالشارع. وهذا النمط من التواجد بالشارع يمكن أن يتدرج إلى النمط الثاني، وهو نمط العلاقات غير المستقرة، إذ بدأ الطفل في التغيب عن الأسرة لبعض الأيام، وإذا انجذب مع الأقران إلى حياة المعيشة بالشارع.

أما النمط الرابع فهو نمط نزول الطفل أو الطفلة مع الأسرة بالشارع وغالباً ما تكون الأسرة مكونة من الأم فقط والأبناء.

ويوجد في هذا النمط بعض الإشراف على الأطفال بالشارع، ولكن قد يسرح الطفل أو الطفلة بمعرفتهم ويوطدون علاقاتهم بمجتمع الشارع.

ويوضح الجدول رقم (٦) أبعاد الأنماط الأربعة بين بعض الأطفال والشباب الذين تم توطيد العلاقات معهم فى أثناء إجراء هذا البحث. وعلاقاتهم مع أسرهم. فالنسبة العليا من الذكور (٨٢,٨٪) يعملون بمفردهم بالشارع ويبيتون بالشارع. والنسبة الكبرى من الإناث (٦٦,٧٪) يبتن مع أسرهن ولكن حوالي الثلث يعملن بمفردهن بالشارع ولكن يبتن مع أسرهن (٣١,٦٪) وحوالي الثلث فقط من الإناث يعملن وحدهن ويبتن بالشارع والقليل منهن (٧٪) يعملن ويبتن مع الأسرة بالشارع.

والأطفال الذين يبيتون بالشارع (٦٧,٥٪ من العينة) بعضهم يزور الأسرة بانتظام (١٢,٩٪) ونسبة أكبر تزور الأسرة أحياناً (٣٦,٤٪) أو في المناسبات فقط (٣,٨٪). ولكن ٤٢,٤٪ لم يزوروا أسرهم على الأقل من ٦ أشهر من وقت أخذ المعلومة وهذا دليل على أن ليس كل طفل أو طفلة متواجد بالشارع قد قطع علاقته بالأسرة تماماً. بل لقد صرح ٧٧,٣٪ منهم أنهم حاولوا أكثر من مرة ترك التواجد بالشارع والرجوع إلى أسرهم، لكن باءت هذه المحاولات بالفشل إما بسبب العوامل الطاردة بالأسرة، أو لعوامل الجذب المتواجدة بالشارع. كما أن الكثير من العينة الإجمالية (٥٧,١٪) ما زال يدعم الأسرة مالياً حتى لو كان ذلك بدون انتظام.

مصادر الدخل بالشارع

يوفر الشارع فرصاً كثيرة للتربح قد يمارسها الطفل بذاته، أو من خلال تشجيع وتوجيه أو تنظيم من آخرين. ومن أهم هذه الفرص هي فرص التسول فهي أقدم وأشهر وأسهل مهنة للدخول فيها، وأغلب الأطفال بالشارع يمارسون التسول إما تلقائياً، أو بتشجيع من الأهل، أو من خلال قيادات بالشارع. فمن خلال التسول بالطريقة المناسبة وفي الأماكن المناسبة يحصل الطفل على مبالغ كبيرة لا يحصل عليها من أي مهنة أخرى، ويوضح ذلك جدول رقم (٧) حيث ذكر ٨٠,٢٪ من الأطفال الذين يعملون بالشارع بدون أسرهم أنهم

جدول رقم (٦) نمط التواجد بالشارع والعلاقة مع الأسرة

إجمالي العينة	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
نمط التواجد بالشارع	٪	٪	٪
يعمل بالشارع ويبيت مع الأسرة	١٤,٩	٣١,٦	١٩,٩
يعمل ويبيت مع الأسرة بالشارع	٠,٧	٧,٠	٢,٦
يعمل مع الأسرة بالشارع ويبيت بالمنزل	٠,٧	٢٨,١	٨,٩
يعمل وحده ويبيت بالشارع	٨٢,٨	٣١,٦	٦٧,٥
غير مبين	٠,٧	١,٨	١,٠
عدد من لا يبيت مع الأسرة	١١٢	٢٠	١٣٢
العلاقة مع الأسرة	٪	٪	٪
يزور الأسرة بانتظام	١١,٦	٢٠,٠	١٢,٩
يزور الأسرة أحياناً	٣٨,٤	٢٥,٠	٣٦,٤
يزور الأسرة في المناسبات فقط	٤,٥	-	٣,٨
لم يزر الأسرة آخر ٦ شهور	٤٠,٢	٥٥,٠	٤٢,٤
غير مبين	٥,٤	-	٤,٥
تكرر محاولة الخروج من الشارع إلى الأسرة بفشل	٧٧,٧	٧٥,٠	٧٧,٣
لا يدعم الأسرة مادياً من إجمالي العينة	٥٠,٠	٢٦,٣	٤٢,٩

يقومون بالتسول، أو قد مارسوه في وقت ما. ولكن التسول لا يدوم عند كبر السن. ومن يستمر في التسول بعد غياب مظاهر الطفولة يحاول استعطاف المارة بإظهار العاهات ولكن الأغلبية عند كبر سنهم يستقطبون الأطفال الجدد بالشارع، ويوفرون لهم الحماية والرعاية، ويدربونهم على مهنة التسول، ويتقاسمون معهم ما يحصلوا عليه.

جدول رقم (٧) الأنشطة المختلفة بالشارع بدون الأسرة

إجمالي العينة	ذكور ١٣٠	إناث ٣٧	جملة ١٦٧
(*) الأنشطة	٪	٪	٪
تسول	٨٠,٨	٧٨,٤	٨٠,٢
دعارة	١٦,٩	٤٨,٦	١٨,٠
صندوق ورنيش	١٠,٠	٢,٧	٨,٤
بائع متجول في إشارات المرور	١٥,٤	٣٢,٤	١٩,٢
مسح عربيات	٦٤,٦	٥,٤	٥١,٥
يعمل في ورشة	١٥,٤	٢,٧	١٣٢,٦
يعمل في التبخير	٣,١	-	٣,٠
يعمل في الفاعل	٣,٨	-	٢,٤
يعمل في فرشة شاي	٢,٣	١٦,٢	٥,٤
يعمل في قهوة أو كافيتريا	٤,٦	-	٣,٦
السرقة	١٣,١	٨,١	١٢,٠
بيع جرائد	١,٥	٢,٧	١,٨
بيع سميط وخضراوات	-	٨,١	١,٨
يسرح أطفال	٢,٣	٢,٧	٢,٤
أعمال أخرى هامشية	٤,٦	٥,٤	٤,٨

(*) أكثر من إجابة فالمجموع أعلى من ١٠٠٪

ومسح السيارات بالشارع وخاصة للذكور يعتبر نوع نشاط بديل للتسول في كثير من الأحيان خصوصاً عند إشارات المرور، أو يكون من خلال تنظيم يقوده شاب أكبر سناً يقوم بعمل المنادي أو حارس للسيارات يساعده الأطفال نظير الرعاية والحماية.

ونشاط بيع السلع بالشارع وعند إشارات المرور من الأنشطة المتوفرة للأطفال بالشارع، تحت قيادة وتنظيم من هم أكبر منهم سناً من القيادات سواء كانوا من الذكور أو الإناث، ومن السلع المباعة بواسطة الأطفال والشباب بالشارع بيع السميط والخضراوات والعيش، وبيع الجرائد، وبيع المناديل الورقية، والفل والورد .. الخ. وبيع هذه السلع يسمح بالحركة بين إشارات المرور ووسائل النقل كما ينتشر في الأماكن المزدحمة وعلى الأرصفة.

ومن الفرص الأخرى للعمل المتقطع وغير المنظم أنشطة مثل العمل بصندوق ورنيش لتلميع الأحذية، والعمل في التبخير، أو العمل كحاوٍ، والعمل على فرشة شاي، والعمل كفاعل، والعمل في قهوة أو كافيتريا، وكل هذه الأعمال من الأنشطة المفتوحة التي توفر الحركة والتحرك، ومن أكثر الأعمال خطورة والتي قد يمارسها الأطفال هي الدعارة التي تمارس أكثر من البنات والسرقة في بعض الأحيان وبيع الكلّة والمخدرات. كما يقوم الأكبر سناً بتسريح الأطفال. ومن مصادر المال أيضاً بيع الدم.

فالشارع موارده كثيرة، وكسب الرزق به متعدد ومتنوع، وكلها أعمال سهل الدخول فيها والخروج منها حسب الاحتياج، ومن يقدمون العون به كثيرون من أصحاب الأعمال الرسمية والهامشية، ومن المواطنين الشرفاء وغير الشرفاء مما يعطي الطفل والطفلة الحرية في التنقل من عمل إلى آخر، ويعطيه الشعور بالأمان حيث إنه لن يترك بمفرده في حالات الحاجة إلى المال أو الطعام.

هذا بالإضافة إلى أن بعض الأعمال مثل التسول والبيع والدعارة ومسح السيارات قد توفر كمية من المال أكثر بكثير من أي فرص عمل قد تتوفر لهم خارج الحياة بالشارع. وقد قال شاب بالشارع عمره ٢١ عاماً كان يعمل بالشحاذة من صغره وحالياً يعمل في مسح السيارات وعندما وجد له عملاً في مطبعة بخمسة جنيهات يومياً قال:

"أعمل بيها أيه الشغلانة اللي بخمسة جنيه، وأنا بأشرب سجاير وبأصرف على نفسي هنا ومطلوب مني أبعت لأمي وأخواتي في البلد فلوس. ولا عشرة جنيه تعمل حاجة. خلاص اللي خد على السهل يفضل على السهل على طول لغاية ما يموت".

كما يوضح الجدول رقم (٧) أن أكثر الأنشطة المدرة للمال إغراءً للفتيات هي التسول، ويليها الدعارة، ثم البيع عند إشارات المرور. أما بالنسبة للذكور فالتسول ومسح السيارات من أكثر الأعمال التي يمارسونها.

مغريات الشارع

للشارع بريق خاص للأطفال إذا قورن بأوضاعهم مع أسرهم، فالشارع يوفر لهم الحصول على المال بوسائل تربح كثيرة ومتنوعة، كما أن الشارع يوفر لهم الشعور بالحرية، من حرية حركة من مكان إلى مكان، وحرية عمل الطفل فيما يريده وقتما يريد، ويشبع رغباته المكبوتة دون حساب أو رقيب.

والطفل يحقق بالشارع غريزة حب الاستطلاع، فالحياة بالشارع تسهل ركوب القطارات والتنقل بين المدن وزيارة أماكن متنوعة، والتعرف على أنماط مختلفة من البشر، وبذلك يكتسبون الخبرات، ويتعرضون للنضج المبكر من كثرة وتعدد الخبرات، والشعور بالاستقلالية وفي الشارع فرص مصاحبة الأقران الذين غالباً ما يكون التواجد بالشارع بتشجيع منهم، حيث يوفرون لهم الحماية، ويوفرون لهم سبل العيش، وكسب المهارات المطلوبة للتعايش بالشارع، ويهيئون لهم سبل التسلية والمرح.

وبين الأقران يحصل الأطفال والشباب بالشارع على أسماء شهرة قد تكون محببة إليهم أو غير محببة، ولكنها في الغالب تشتق من صفات أو من بطولات وهمية لا يجدون غضاضة من النداء بها، ويتم إطلاق هذه الأسماء فيما بينهم وأحياناً يكون ذلك للتمويه. ومن أمثلة ذلك: جنرال، البرص، الاصلحجي، السلعوة، بليه، الحاوي، التركي، عورة، البرنس، بيرة، سيراميك، القص.

كما أن بالشارع فرص اللعب والترفيه بأنواعه من ركوب عجل وموتوسيكلات، إلى لعب الكرة بالشارع، ودخول السينما ومشاهدة الأفلام وقتما شاءوا طالما معهم نقود، والتردد على المقاهي ولعب الورق ولعب الأتاري وألعاب الفيديو جيم بالقهاوي المتخصصة.

لذلك فالشارع بالنسبة للطفل أو الطفلة فيه تعاطف بين أفراده فهناك حماية للضعيف، وسؤال عن المريض أو المحجوز بقسم الشرطة، وفيه فرص للتعلم والاعتماد على النفس والإحساس بالمسئولية والرجولة والأنوثة المبكرة. وفيه الإحساس بالراحة النفسية، فلا يوجد تحكم أو مسئولية، ولا طلبات والتزامات، ولا قيود على ممارساتهم سواء في ممارساتهم الجنسية أو تعاطي المخدرات أو ممارساتهم العنف والبلطجة، ومن أمثلة الإغراءات بالشارع ما قاله شاب ١٥ سنة:

• "اليوم بتاعي في الشارع حلو ما فيش حد يضربني وأشرب سجاير براحتي وأصرصر براحتي ويبقى معايا فلوس كتيرة من الشحاتة ومسح العربيات. بقوم من النوم ممكن يكون معانا فلوس نروح نفطر على طول، لو معناش فلوس من امبارح نروح نشحت ونجيب فلوس عشان نشتري الأكل. بعد كده نروح القهوة الفيديو نشرب شاي ونتفرج على التليفزيون. نرجع المغرب نروح نجيب صراصير من الإسعاف منها نجيب برشام الصراصير ومنها نتفسح في الميكروباص. ولما نرجع ناخد الصراصير ونفضل نهزر مع بعض وممكن نضرب بعض بهزار لما ميبقاش في ناس في الشارع، ونروح الجنينة أو تحت السلم بتاع السنترال".

المشكلات بالشارع

مع كل المغريات المتواجدة بالشارع، فإن حياة الشارع ممتلئة بالمشكلات، رغم راحة المقيمين به، وحبهم له، وتفضيلهم حياة الشارع في أحيان كثيرة على الحياة مع الأسرة. وعند الحديث عن مشكلات وأخطار الشارع يبدأ الأطفال بالشعور بالمرارة ويرددون ألواناً عديدة من المشكلات.

ومن أهم المشكلات التي يتعرض لها الأطفال والشباب بالشارع هي مطاردة الشرطة والمخبرين "الحكومة" والمعاملات العنيفة مع الأطفال وكما ذكرت فتاة: "ممكن وأنت نايمة الشرطة تاخدك غير الضرب والشتيمة" ومطاردة الشرطة مستمرة، وقد يفرض البعض على الأطفال إتاوات مقابل تركهم ليمارسوا التسول، أو تعاطي المخدرات أو البيع بالشارع.. الخ. وهذه الإتاوات تتفاوت، قد تكون إتاوات مال، أو الحصول على خدمات أو أطعمة أو مشروبات بالمجان مثل شرب الشاي، ومسح الأحذية، وتنظيف القسم، وغسل سيارات البوليس. وقد تصل هذه الإتاوات إلى حد الممارسات الجنسية و"تسريح" البنات، والحصول على المخدرات منهن، وحثهن على السرقات لهم. وهذا كله "يضايق" الأطفال، ولكن أكثر خوف هو الخوف من المطاردة ومن الضرب والقبض والمعاملة السيئة بالقسم "بيعاملونا كأننا كلاب مش بني آدمين". ثم ينتج عنه تحرك الأطفال باستمرار من مكان إلى مكان لتجنب هذه المخاوف.

• شاب ١٥ سنة: "الحكومة بتمسكني وبتعورني قوي لكن دلوقت لأ، بأهرب منهم وإذا اتمسكت أبويا بيجي يستلمني من نقطة بولاق تاني يوم".

وخبرة الأطفال بالشارع مع "الحكومة" هي مطاردة مستمرة، وقبض وتحر بالأقسام، مع المعاملة القاسية التي قد تصل إلى استخدام "الكهرباء" كما ذكر بعض الأطفال للوشاية وللقبض على أقرانهم، وقد يستمر هذا الحال لمدة يوم أو بضعة أيام، أو يتم الحجز حتى الحكم إما بالحبس، أو التسليم لمؤسسات الأحداث، أو تسليم للأهل، وبما في ذلك "الترحيل إلى البلد". وفي أغلب الأحيان يتم هروب الطفل أو الطفلة من الأهل بعد الاستلام.

وقد تكسب الأطفال مهارة التحرك السريع والهروب، ومهارة تقصي الأخبار عن الأماكن التي تتعرض لهجمات الشرطة فيبتعدون عنها، كما تكسبوا مهارات استجداء العطف، واستقطاب الحماية، وتحمل الآلام الجسدية ببلع "البرشام" في الوقت المناسب، وكذلك المهارات المطلوبة للتعود كما قال واحد منهم وعمره ١٥ سنة قبض عليه أكثر من مرة سواء تحرٍ أو تسول:

• "أول مرة كنت عمال أعيط وكنت خايف قوي ساعتها خرجت تاني يوم. بعد كده بقت حاجة عادية ممكن كل ساعة نتمسك".

وأيضاً من مشكلات الشارع الأساسية ما يتعرض له الأطفال من الشباب الكبار بالشارع أو من يسمونهم "بالسوس" أو "البلطجية" الذين يضربونهم أو "يرخموا" عليهم للحصول على مالهم، ويقومون بإرهابهم بالمطاوي والأمواس "البشل" ويعملون عليهم "فردة". وهذا بالإضافة إلى استخدام العنف لمحاولة الاعتداء عليهم، ولتطويقهم وللممارسات الجنسية سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً.

والضرب والشتيمة والسب والمعايرة والتهديد من الشباب والشابات والقيادات والقواد بالشارع، وكذلك أصحاب المحال والبائعين بالأسواق.. الخ، سمة من سمات الحياة بالشارع، والذي لا يمكن أخذه بالرضا يؤخذ بالعافية وكما قال طفل ١٣ سنة:

• "العيال في الشارع بترخم عليّ وبتاخد مني الكلَّة كل شوية. والعساكر في الشارع دايماً ورانا وسط العربيات وبنتخبط ونتعور، والعيال السوس الكبار دايما يرفعوا علينا الموس علشان ياخدوا الفلوس مننا".

ومن مشكلات الحياة بالشارع التعرض للسرقة و"التقليب" وخصوصاً في أثناء النوم، حيث تسرق الفلوس والملابس، وأحياناً التعرض للاعتداء الجنسي، النوم في الشارع بالإضافة إلى مخاوف السرقة يعرض الطفل والطفلة للبرد والصقيع والتعب من التنقل في المبيت.

• "أنا مش بلاقي مكان أنام فيه على طول وتعبت من كتر تغيير مكان النوم".

وبعض الأطفال بالشارع يشتكون من النظرة السيئة لهم من الآخرين، ومن الشتائم والعنف الذي يتعرضون له، ومن الجوع في حالة عدم وجود نقود ومن عدم تواجد أماكن للاستحمام، ومن التعرض للتحرش وللاعتداء الجنسي بالعنف وإلحاح الآخرين بضرورة تعاطي الكلَّة وبرشام "الصراصير".

وبالنسبة للمجتمع، فإن أكثر الممارسات خطورة على فئة الأطفال بالشارع هي ممارسات الجنس وتعاطي المكيفات والمخدرات، والاتجار بها، والانخراط في السرقات. ولكن ليس كل طفل بالشارع يتعرض لهذه الممارسات الضارة، كما هو موضح بالجدول رقم (٨).

فممارسة السرقات الصغيرة أكثر بين الذكور (٣٥٪) عنها بين الإناث (٨,٨٪)، وكذلك الانضمام إلى العصابات (١٢,٧٪ من الذكور و ٣,٦٪ من الإناث). وإنما ممارسة الدعارة أكثر بقليل بين الإناث (٣٨,٦٪) عنها بين الذكور (٢٧,٦٪) والقليل منهم تاجر في المخدرات أو البرشام (٤,٤٪ من الذكور و٨,٨٪ من الإناث). وما يجدر ذكره أن أكثر من ثلث عينة الإناث بالشارع (٣٥,١٪) لم يقمن بأي من هذه الممارسات.

وممارسة الجنس من إباحيات الحياة بالشارع بين بعض الذكور وبعض الإناث (٣٥,٨٪ و ٤٢,٦٪ للذكور والإناث على التوالي من مجموع الحالات التي لها بيانات). وبالنسبة للذكور، فأغلب ممارسات الجنس تكون مع ذكور مقابل النقد وبدون مقابل، كما هو موضح أيضاً بالجدول رقم (٨). أما الممارسات الجنسية للإناث فكلها مع ذكور إما بمقابل نقدي أو بدون مقابل.. ولكن من الطبيعي أن ممارسات الجنس للإناث لها مخاطر الحمل والإجهاض، وولادة أطفال أبرياء بدون هوية أو نسب، وفي بيئة خطرة على صحتهم ومستقبلهم، مما يوضح النظرة غير المتساوية للمجتمع بين الذكور والإناث من حيث مثل هذه الممارسات، مع أن مخاطر الأمراض المنقولة جنسياً وخصوصاً مرض خفض المناعة AIDS أساسها الممارسات الجنسية للذكور مع ذكور مثلهم.

ومع أن ممارسات الجنس للنوعين بالشارع من مصادر الدخل، ومصادر المتعة، إلا أنها أيضاً من مخاطر ومشكلات التواجد بالشارع، ليس فقط بالنسبة لنتائج مثل هذه الممارسات، ولكن أيضاً بالنسبة لتواجد عنصر الاستغلال والعنف من الكبار على الصغار ومن الذكور على الإناث.

ونسبة تعاطي المخدرات والمكيفات بين الذكور أعلى منها بين الإناث، ولكن الإناث أكثر من الذكور تعرضاً لشرب السجاير والبانجو وتعاطي البرشام ويليهم الخمر ودواء الكحة. والذكور أكثر تعرضاً لشم الكلَّة من الإناث. ومثل هذه الممارسات تعتبر أيضاً من مغريات التواجد بالشارع، وكذلك من أخطاره. حيث إنه تحت مفعول هذه المخدرات تحدث الكثير من ممارسات العنف، تصل إلى حد العنف على النفس بالجروح، ومن مثال ذلك طفل عمره ١٣ سنة يتعاطى الكلَّة والسجاير والبرشام بكميات كبيرة يقول:

- "أخذت برشام بكميات كبيرة، عورت عيل في عينه بالزجاجة، كسرتها وروحت مديها له في عينه عشان بياخد الفلوس من العيال، وعورت نفسي كذا مرة عشان الظابط يمشيني. وكنت أجري ورا العيال وأرميهم بالطوب لما ياخدوا مني الكلَّة ونطيت في النيل كذا مرة من فوق كوبري قصر النيل". كما يقول: "باخد برشام صراصير والكلَّة علشان أعيش في دنيا تانية ومش عايز أفتكر حاجة، وعلشان ما احسش إني أقل من الناس اللي بمسح ليهم العربيات".

وإذا كانت كل هذه المشكلات والمعاناة متواجدة منفردة أو مجتمعة، فإن ذلك يتعارض مع الاستمرارية في الشارع وتفضيله على البقاء مع الأسرة -إن وجدت- ولكن لا بد أن تكون هذه المشكلات غير طاردة إما لسبب مغريات الشارع أو لتواجد مساندة بشكل ما تساعد على استمرار البقاء بالشارع.

موارد المساندة بالشارع

من دوافع الاستمرارية والبقاء بالشارع وجود مساندة من مصادر مختلفة، تدعم بقاء الأطفال والشباب بالشارع، وتسهل حياتهم، وتيسر بقاءهم. فالطفل أو الطفلة بالشارع جزء من مجتمع يتعامل ويتفاعل مع عناصره المختلفة. ومن واقع آراء وقصص الأطفال

جدول رقم (٨) ممارسات ضارة من مخاطر التواجد بالشارع

إجمالي العدد	ذكور ١٣٤	إناث ٥٧	جملة ١٩١
ممارسات ضارة ذكرت من الأطفال	٪	٪	٪
ممارسة سرقات صغيرة	٣٥,٠	٨,٨	٢٧,٣
ممارسة دعارة	٢٧,٦	٣٨,٦	٣٠,٩
الانضمام لعصابة	١٢,٧	٣,٦	١٠,٠
تاجر في المخدرات أو برشام	٤,٤	٨,٨	٥,٧
لم يقم بأي من هذه الأنشطة	٨,٢	٣٥,١	١٦,٢
عدد الحالات التي بها بيانات	١٠٦	٥٤	١٦٠
ذكر ممارسة الجنس:	٣٥,٨ (٣٨)	٤٢,٦ (٢٣)	٣٨,١ (٦١)
مع نفس الجنس	٧٨,٩	–	٤٩,٢
مع جنس مغاير	١٠/٥	١٠٠,٠	٤٤,٣
الاثنان معاً	١٠,٥	–	٦,٦
لمقابل نقدي	٣٩,٥	٢٦,٨	٣٤,٤
بدون مقابل	٥٥,٣	٣٤,٨	٤٧,٥
الاثنان معاً	٥,٣	٣٩,١	١٨,٠
إناث تعرضن للحمل	–	٢٦,١	٢٦,١
إناث تعرضن للإجهاض	–	٢٠,٠	٢٠,٠
عدد الحالات التي بها بيانات	١٠٩	٤٦	١٥٥
تعاطي المكيفات:	٪	٪	٪
لا يتعاطى أي شيء	١٣,٨	٥٢,٢	٢٥,٢
يتعاطى شيئاً (*)	٨٦,٢ (٩٤)	٤٧,٨ (٢٢)	٧٤,٨ (١١٦)
كلَّة	٦١,٧	٤٥,٥	٥٨,٦
برشام	٥٥,٣	٨١,٨	٦٠,٣
بانجو	٥٥,٣	٨١,٨	٦٠,٣
سجاير	٨٨,٣	٩٥,٤	٨٩,٧
حشيش	١,١	٤,٥	١,٧
خمر	٤,٢	٢٧,٣	٨,٦
دواء كحة	١,١	٩,١	٢,٦

(*) أكثر من إجابة فالمجموع أعلى من ١٠٠٪

والشباب عن أنفسهم وتجاربهم تمكن التعرف على عدة مصادر تساند البقاء بالشارع سواء عن طريق تعليم المهارات، أو توفير الخدمات والحماية، أو التعريف بالفرص.

والأسرة قد تكون مصدراً من مصادر المساندة في البقاء بالشارع، وخصوصاً الأطفال الذين نزلوا إلى الشارع بتشجيع من الوالدين أو الأخوة. فالأب كان المعلم الأول للنزول والترغيب في العمل فيه في بعض الأحيان. وقد تكون الأم هي القوة الدافعة للنزول والبقاء بالشارع للعمل والحصول على المال، وكذلك زوج الأم أو زوجة الأب. وقد تعيش الأسرة بأفرادها معظم أوقاتها في الشارع لجلب الرزق، أو حتى للإقامة في بعض الأحيان. وقد تكون المساندة من الأخوة والأخوات عن طريق التشجيع، أو تعليم بعض المهارات التي تساعد على البقاء في الشارع مثل أعمال التبخير وبيع المناديل والتسول. وفي كثير من الأحيان تبقى الصلة قائمة بشكل أو بآخر مع الأسرة. فقد تعرف الأسرة مكان عمل وإقامة الأبناء، بل وتزورهم، أو يكون هناك نوع من التردد على الأسرة أو الإقامة معها مما يشجع ويساند الاستمرار والتواجد بالشارع.

وأحياناً رجال الشرطة من مخبرين أو أمناء شرطة يساعدون ويساندون الأطفال كنوع من العطف أو من الاستغلال. وتتمثل هذه المساندة حسب أقوال الأطفال والشباب المتواجدين في الشارع في المساعدة في إخفاء البضائع عن حملات شرطة المرافق، أو في التهريب من حملات شرطة الأحداث أو توفير الحماية من القائمين بالشارع، ويكون ذلك عن طريق تعميق العلاقات، أو نظير خدمات أو أموال.

كما أن المساعدة قد تأتي من أصحاب المحال أيضاً من باب العطف أو للاستغلال، حيث يعمل الأطفال في تنظيف المحال، أو نقل البضائع، أو قضاء الحاجات من خارج المحال، نظير الحصول على المال أو الطعام، أو على خدمات مثل حفظ البضائع المباعة، أو صناديق مسح الأحذية، أو حفظ المدخرات، أو تجميد الفكة من النقود أو تقديم المساندة الدفاعية في حالات المشاجرات. القهاوي الشعبية تمثل أماكن للتجمعات والترفيه بالتليفزيون والفيديو والأتاري، ومصدراً مهماً لتبادل المعلومات والخبرات، والمأوى في بعض الأحيان.

وغالباً ما يجد الأطفال المساندة من المرافق العامة متمثلة في المراحيض العامة، حيث يسمح لهم بالاستحمام وقضاء الحاجة، فالمساجد توفر الاستحمام والإقامة المؤقتة، كما أن المستشفيات تقدم العلاج والتسهيلات الطبية، والصيدليات من ناحية تقدم المساندة في شكل الإسعافات الأولية في حالة الجروح أو الحروق والإصابات الضئيلة بدافع العطف، ومن ناحية أخرى تقدم الأدوية والأقراص المخدرة. والحدائق العامة بالميادين والشوارع توفر فرصاً للتربح والترفيه والمبيت، وكذلك التشبيك الاجتماعي وعمل صداقات جديدة.

أما أكثر مساندة للتواجد بالشارع فهي من الأشخاص البالغين المتواجدين بالشارع، أو من شباب أكبر سناً والمتمكنين من حياة الشارع، فكل هؤلاء يمثلون أرضية خصبة لمساندة الأطفال، وتقديم التسهيلات لهم في شكل الحماية، أو توفير احتياجات أساسية مثل المأكل والملبس، والنقود والترفيه، كما يكونون مصدراً مهماً للمعلومات والتدريب على أساليب التعايش في الشارع. ونظير ذلك يكلف الكبار الأطفال الصغار، بالقيام بأعمال متعددة ومنها الحث على الشحاذة واستخدامهم للسرقة، أو النشل أو في أعمال الدعارة للأولاد والبنات، أو في توزيع المخدرات.. الخ مستخدمين أساليب الترغيب ثم الترهيب لتحقيق الاستفادة المرجوة للطرفين.

وكبار أطفال الشارع يقومون بمساندة الوافد الجديد إلى الشارع بالحماية، وتوفير الاحتياجات في البداية، حيث يكون في حاجة ماسة للمساعدة، ويتحول ذلك إلى الاستغلال المادي والجنسي، وفرض السيطرة لتوجيه الجدد إلى الأعمال التي يريدونها، والأقران والأصحاب يقدمون المساعدة والحماية في المشاجرات ويقدمون النصيحة والإرشاد لاستغلال الفرص. وتمتد المساندة في حالات الأزمات مثل القبض من الشرطة ودخول السجن والمرض والتواجد بالمستشفيات وفي تعليم المهارات وتوفير المخدرات وتعليم تعاطيها.

ومن المساندين المهمين لأطفال الشارع بعض المواطنين أنفسهم. فالمحسنون بدافع الشفقة ينظرون للأطفال المتواجدين بالشارع على أنهم ضحايا يستحقون الصدقة، فيزكون من أموالهم لمساعدتهم ويتفنن الأطفال في أساليب استعطاف المارة بالدعاء للمحسنين والإلحاح والحث على الإحسان. والمحسنون يدفعون المال أو بعض المساعدات المعينة كالملابس، وأحياناً توفير العمل. كما يساند المواطنون الأطفال من خلال شراء خدماتهم وبضائعهم ويكونون مصدراً مهماً لكسب العيش، والتخفيف من أوضاع تواجدهم بالشارع. هذا بالإضافة إلى أن بعض المواطنين والسياح والأجانب يجدون في أطفال الشارع ذكوراً وإناثاً مورداً سهلاً لإشباع غرائزهم الجنسية، فينفقون عليهم بالمال والطعام والملابس والخمر، لإغرائهم لتقبل توفير رغباتهم.

والقدرة على الحصول على المساندة المطلوبة من مصادرها المختلفة من القدرات والمهارات التي يحصل عليها الأطفال من تواجدهم بالشارع، ومرورهم في عمليات تنشئة تساعدهم على التعايش والبقاء والاستمرار بالشارع. فالطفل أو الطفلة بالشارع يتعلم مهارات التفاهم مع الآخرين، ومهارات تكوين الصداقات، ومهارات الادخار والحفاظ عليه، ومهارات البيع والجرأة واللحلحة، والتفكير والتصرف السريع، ومهارات القيادة والسيطرة والاهتمام بالمظهر، والقدرة على التكيف على جميع الأوضاع، والمشي مسافات طويلة، والتعبير عن النفس، والكذب لاستعطاف المارة ولحماية النفس، ومهارات استخدام العنف الجسدي واللفظي للحماية والسيطرة.

استراتيجيات البقاء بالشارع

إن ظروف التواجد بالشارع ومجتمعه، بمغرياته وموارده ومشكلاته، تحتاج إلى استراتيجيات للبقاء والتعايش مع هذا القدر الكبير من التنوع والتباين في العلاقات والأفراد والفرص والمشكلات والمخاطر. فالطفل لا يعيش بمفرده بالشارع بل يعيش في مجتمع له علاقاته وقيمه، وقنوات للتعلم وتقوية القدرات، وبه وسائل الترغيب والترهيب. مجتمع موازٍ للمجتمع الأصلي الرسمي بقيمه وتقاليده ومؤسساته. وبإلقاء نظرة على مجتمع الشارع نتفهم هذا المجتمع واستراتيجيات البقاء به.

لقد وفرت الدراسة التعرف على بعض المناطق في نطاق القاهرة الكبرى والتي يتحرك بينها الأطفال والشباب المشتركون في الدراسة، لأن التحرك المستمر من مكان لآخر حسب الاحتياج، والموارد المتوفرة الجاذبة للمكان، استراتيجية مهمة من استراتيجيات التعايش والبقاء بالشارع. وقد تم دراسة خمس مناطق وهي دون ذكر أسمائها:

أ. منطقة جديدة نسبياً في نطاق القاهرة الكبرى وهي منطقة جذب سكانية وتجارية مميزة.
ب. منطقة تمثل مدخلاً للقاهرة الكبرى.
ج. منطقة حي شعبي عريق بوسط القاهرة.
د. منطقة تمثل مدخلاً للقاهرة.
هـ. منطقة بوسط البلد.

منطقة (أ)

تتكون هذه المنطقة من ثلاثة أماكن متباينة: (١) مكان بجوار جامع ومستشفى، (٢) مكان بجوار منطقة تجارية مرتفعة المستوى، (٣) مكان تجاري أكثر شعبية.

ويتميز المكان الأول بمصادر جذب للأطفال والشباب عبارة عن حديقة تستخدم أحياناً مكاناً للنوم لبعض الفتيات في سن الشباب، ومكان ترفيه وقضاء الوقت من شباب وأطفال من مناطق أخرى خصوصاً منطقة (ب) لقربها وخصوصاً في فصل الصيف، حيث يختلطون بغيرهم من أفراد الجمهور المنتظر أمام المستشفى. ووجود الحديقة والزائرين أدى إلى وجود بعض الأنشطة والمهن التي تجذب شباب وفتيات الشارع، مثل عدد من فرشات بيع الشاي للزبائن ولشباب الشارع والبعض منهم يعمل في هذه الفرشات ويمتلكونها، كما أدى وجود المستشفى إلى وجود موقف غير رسمي للتاكسيات يقف السائقون لالتقاط الزبائن، وهم على صلة وطيدة بأطفال وشباب الشارع وبعضهم يقوم بدور الوسيط في توفير بنات من المقيمات في الحديقة "للزبائن" كما كان يوجد لوقت قريب قطعة فضاء مهجورة بجوار المستشفى كانت تستخدم كمقلب للمخلفات الصلبة وكانت تستخدم لنوم أطفال وشباب الشارع ذكوراً وإناثاً. كما كان يوجد لوقت قريب كشك لأمناء الشرطة كانوا يتغاضون عن وجود الفتيات بالحديقة إما لأنهم كانوا يمارسون الجنس مع الفتيات أو لأنهم كانوا يحصلون على مبالغ مالية منهن أو على هدايا رمزية مثل علبة سجاير.

ونمط الشباب الغالب في هذا المكان هو نمط الفتيات الكبريات سناً (١٦-٢٢ سنة) يعشن في الشارع أغلب الوقت، وأحياناً يعشن في حجرات بمنطقة عشوائية لبعض الوقت مع أحد شبان الشارع، بصفته زوجاً عرفياً ويقوم بحمايتها. وتتكسب هؤلاء الفتيات عيشهن أساساً من التسول وأحياناً من ممارسة الجنس نظير الحصول على المال فيتغير مظهرهن من فترة لأخرى تبعاً للمهنة التي يمارسونها، واستراتيجيات البقاء التي يطبقنها. فأحياناً يلبسن ملابس التسول الرثة ويقمن بشم الكلَّة وتعاطي البرشام علنا بالحديقة، وأحياناً يلبسن الملابس العصرية الرخيصة ولكن نظيفة نسبياً في حالة بيع خدماتهن الجنسية. وحتى يمكن الحفاظ على هذا المظهر النظيف يتوافر لهن مكان للمبيت إما في حجرة في أحد الأحياء العشوائية المحيطة بالمكان مع زوج عرفي، أو مع إحدى الصديقات المتزوجات عرفياً أو مع الأسرة ولو مؤقتاً. وفي حالة حدوث انهيار مفاجئ في العلاقة مع الزوج أو الصديقة التي تقيم معها الفتاة أو مع الأسرة، فإنها تعود مرة أخرى إلى صورة البنت المتسولة، ويسهل هذه الصورة وجود طفل رضيع يعد نتاجاً لهذا الزواج. ومظهر التسول لا يمنع شم الكلَّة، وتعاطي المخدرات، وممارسة الجنس مع شباب الشارع بدون أجر للحصول على الحماية، أو بناء على رغبتها أو بالغصب. وينعكس هذا النمط للتواجد بالشارع على التعامل مع الشرطة فيقبض عليهن أحياناً بتهمة التسول أو التشرد، وأحياناً أخرى بتهمة الدعارة، أو بتهمة الفعل الفاضح في الطريق العام، أو يتم مصادرة أدوات الشاي التي يعملن عليها أو عمل محاضر إشغال طريق، أو بتهمة تعاطي المخدرات أو الاتجار فيها.

ونتيجة لطبيعة النشاط بالمكان فإن مؤهلات القيادة للشباب الكبار تكتسب من خلال أن الشباب يكون لديه غرفة ويتزوج عرفياً من إحدى الفتيات بالشارع، ويكون على صلة معقولة بصديقاتها، ويستقبلهن في منزله، وتكون رغبة البنات في مكان له سقف يسترحن فيه من عناء حياة الشارع، دون تقيد بالمعيشة فيه، هي الدافع للصلة بهؤلاء الشباب. وعادة ما يكون لمثل هؤلاء الشبان خبرة ومعرفة بمفاتيح مجتمع الشارع من أمناء شرطة أو أصحاب فرشات الشاي وأكشاك السجاير بالأماكن المحيطة، وسائقي التاكسي الذين يترددون على المكان بانتظام، وبذلك يقوم الشاب بحماية الفتاة التي تعمل بالدعارة كما أن القيادة تكتسب من خلال القدرة المالية، حيث إن بعض الشباب يملكون فرشة للشاي مستقرة نسبياً وفي موقع استراتيجي وتدر عليهم دخلاً معقولاً يسمح لهم برشوة أمناء الشرطة، وشراء البرشام للفتيات، وشراء هدايا صغيرة. وكمثال لذلك شاب له فرشة شاي بالمكان ومتزوج من فتاة شارع ويقوم بالاتجار في الحبوب المخدرة (البرشام)، ودائم الزواج العرفي من الفتيات، ويقوم بتسهيل عمليات الدعارة.

ومن مقولة شاب من الشارع مهتم بمظهره وله علاقات مع المقيمين في الشارع رداً على سؤال عن طريقة التقاط البنات من الشارع ما يلي:

"همة مش ضروري يكونوا بنات شارع، دي بتبقى بنت هربانة من أهلها أول يوم بسبب مشكلة مع أهلها أو طلاقها من زوجها أو أي حاجة. أنا الأسبوع اللي فات شفت بنت قاعدة في الجنينة بتعيط، رحت سألتها إيه الحكاية قالت لي أنها سابت بيتها النهاردة عشان جوز أمها بيضربها، وعاوز يجوزها غصب عنها، سألتها انت منين؟ قالت ليّ من بولاق الدكرور. قعدت اتكلم معاها وعرفتها على بنات من منطقة (ب)، وسبتها معاهم وقلت لهم ياخدوا بالهم منها. الحقيقة سواق تاكسي شافني وأنا باكلمها من قيمة يومين في الجنينة، وقال ليّ إيه رأيك تجيبها معنا في مصلحة أنا واثنين من أصحابي لمدة ليلة، أنا طبعا رفضت لأن دي مش شغلانتي، أنا كل قصدي أساعد البنات دي وأحميهم".

ورداً على سؤال عما إذا كان يعرف شباباً يتصرفون غير ذلك ويعتمدون على تشغيل هؤلاء الفتيات قال:

"آه كتير، هو بياخد البنت وبيتفق مع السواق على المبلغ ٢٠-٣٠ جنيه بس دايماً البنت لما بتروح مع السواق بتلاقي إن معاه ٢-٣ صحابه. البنت هتعمل إيه لو ما كانش واقف وراها راجل ياخد حقها منهم".

وعند سؤاله عن نوعية "الزبائن" لهذا النوع من الفتيات رد قائلاً:

"همة بيبقوا ناس غلابة على قد حالهم، لو واحد عربي هياخد بنت من بتوع الفنادق يبقى حاجة تانية لكن دول أغلبهم سواقين تاكسي وصنايعية".

والمكان الثاني بمنطقة (أ) مكان تجاري به محال الملابس والأحذية والمطاعم، ويوازي المحال أماكن لوقوف السيارات، يعمل عليها عدد من الشباب البالغ، ويساعدهم على مسح العربات عدد من الأطفال الأصغر سناً، ونسبة لا بأس بها من البنات يقومون ببيع المناديل والسلع الهامشية.

وهذا المكان يمثل نمطاً مختلفاً لحياة الأطفال بالشارع إذ أن أغلبهم يعملون تحت الإشراف المباشر للوالدين أو أحدهما اللذين يعملان أيضاً غالباً بالتسول. ومن ملابس الفتيات يظهر الأصل الريفي عليهن، وأغلبهن يأتين من منطقة عشوائية وسكانها يعرفون "بالغجر" أو "البدو" نتيجة لعاداتهم وتماسكهم الأسري القوي. ورغم أن هؤلاء الأطفال يعملون بالقرب -جغرافياً- من العديد من أطفال الشارع منقطع أو ضعيف الصلة بالأهل، غير أنهم قليلو الاحتكاك بهم، إذ أنهم يعملون نهاراً ويبيتون في بيوتهم ليلاً. وهم يختلفون عن نموذج الأطفال المرتبطين بأسرهم ويعملون في أماكن أخرى بنفس المنطقة مثل المكان الثالث الذي تم بحثه في منطقة تجارية شعبية حيث إن فرصة تحولهم إلى أطفال شارع أضعف بكثير من أمثالهم من الأطفال المرتبطين بأهلهم في أماكن أخرى. كما يحضر إلى نفس المكان بشكل غير منتظم أطفال من مناطق أخرى للعمل وكسب الرزق، والحصول على المال عن طريق التسول أو مسح السيارات لبقائه ولتوفير المأكل والمكيفات ويقضي أغلب وقته بالترفيه- ويحكي أحد الشباب فيقول:

"أنا أصلاً قاعد في (منطقة هـ)، لما كنت بأنزل (منطقة أ) كنت بألم فلوس كتير، وأكون مستريح علشان أبويا مش هيعرف يمسكني ويرجعني البيت، عرفت (منطقة أ) كلها. كنت طول النهار اتمشى واشحت، ولما ألاقي ما فيش حد راضي يديني فلوس أمسك أي حتة قماش من على الأرض وامسح العربيات".

وتوجد حديقة مواجهة لمحال الأطعمة السريعة، يرتادها الرواد وخصوصاً في ليالي الصيف حيث يجلس الرواد بالحديقة يتناولون الوجبات المشتراه على فرشات شاي غير مرخصة، وبهذه الحديقة وضع العلاقات يختلف عما سبق إذ يرتاد هذه الحديقة الأطفال المتنقلون وغير المستقرين بالمكان وذلك لبيع الفل والمناديل أو الشحاذة، بها أكبر الشباب سناً ومقيمو فرشات الشاي والذين علاقاتهم مع الشرطة تتفاوت ما بين الجري لتخبئة عدة الشاي للهروب من شرطة المرافق، وما بين عمل علاقات مع رجال وأمناء الشرطة للتخفيف من أضرارهم.

أما المكان الثالث في هذه المنطقة وهو المكان التجاري الأكثر شعبية، والذي به مكان مشهور بالعصائر، وأمامه مكان لانتظار السيارات فهو أيضاً مكان يجذب الأطفال العاملين في مسح العربات، والقاطنين بالمناطق الفقيرة المحيطة بالمنطقة. وأغلب الحالات المشتركة في البحث من هذا المكان هم أطفال بين سن ١٠-١٦ سنة يعملون ليعولوا الأسرة أو يسهموا معها في الدخل. وكلهم يعملون في أثناء النهار ثم يعودون ليبيتوا مع أسرهم. وبعض الأطفال الأكبر سناً نسبياً قد يعملون بالليل أيضاً.

وأغلب الأطفال الذين يعولون أسرهم عرفوا المكان إما عن طريق أحد أفراد أسرتهم، أو عن طريق أحد الجيران الذين ينقلون إليهم خبراتهم. ولقد ذكر العديد منهم أن عليهم أن يحصلوا على مبلغ معين من المال لا يستطيعون العودة للمنزل بدونه. وهذا المبلغ يتراوح بين ١٥ و ٢٠ جنيهاً يومياً -وهذا المكان يوفر هذا المبلغ- فقد عبر العديد من المبحوثين من هؤلاء الأطفال أنهم لو قارنوا هذا العمل بالعمل في ورشة حيث يتعرضون للضرب من صاحب الورشة ويعملون طول النهار مقابل ١٠-١٥ جنيهاً في الأسبوع، فإن هذا العمل يوفر ما بين ١٥-٢٠ جنيهاً في اليوم. كما عبر

العديد منهم أن هذا العمل مرن جداً في أوقاته، لذلك فالأطفال المستمرون بالدراسة في المدرسة يرونه عملاً مناسباً جداً لهم، ونسبة شم الكلَّة وتعاطي المخدرات بين هذه الفئة من الأطفال قليلة جداً لأن أغلبهم تحت رقابة الأسرة ويحصلون على وجبتهم بالبيت ولا يتحكمون كثيراً في المال الذي يحصلون عليه.

وإلى جانب هذا النمط من الأطفال المرتبطين بأسرهم، يوجد في هذا المكان نمط الشباب المنقطع الصلة بالأسرة، والذي يبيت بالشارع، وهم يمثلون قادة الموقع إلى حد بعيد. وقد يحاول الأطفال المتحركون منقطعو الصلة بأسرهم أن يأتوا إلى هذا المكان للعمل بمسح العربات. ولكن نسبة لتواجد الكبار من القادة، فإن مسح السيارات في الأماكن الأخرى بالمنطقة تكون أسهل في الدخول فيها، حيث إن الطبيعة التنظيمية نسبياً للعمل في مسح العربات في هذا المكان ولمعرفة كل فرد بالآخر لا تسمح بسهولة دخول أطفال أو شباب جدد. ويفرض الشباب كبار السن إتاوات على كل طفل يعمل في مسح العربات بهذا المكان، في حدود ٢-٣ جنيهات في اليوم، أو علبة سجاير، وذلك نظير تنظيم العلاقات بين أصحاب المحال والكافيتريات والأطفال، ومن ناحية تنظيم العلاقات مع أمناء الشرطة المختصين بالمكان، حتى يتركوا الأولاد يعملون في سلام. كما أن شباب هذا المكان يكوّن علاقات مع فتيات لتسريحهن عند الطلب من زبائن مسح العربات.

إذاً هذه المنطقة (منطقة أ) بأماكنها الثلاثة، منطقة جذب للأطفال والشباب الذين يوفرون احتياجاتهم وخصوصاً المالية من الشارع كمنطقة تجارية لذوي الدخول المرتفعة، وللسياح خصوصاً العرب، وأصحاب السيارات. ويجعل أنشطة التسول ومسح العربات والممارسات الجنسية نظير الحصول على المال عمليات مربحة. كما أن هذه المنطقة محاطة بمناطق سكنية عشوائية وفقيرة، فتعتبر منطقة قريبة يعمل بها الطفل لمعاونة أسرته، أو يمر عليها الطفل عند هروبه من أهله، كما أن الطفل المستقل بالشارع ينجذب إليها للحصول على المال، وفي نفس الوقت قد يلجأ إلى الأحياء الفقيرة المحيطة لشراء طعامه لرخص سعره، أو لاستخدام القهاوي بها التي تعتبر مكاناً للترفيه الذي يشكل احتياجاً عالياً لدى الأطفال. هذا بالإضافة إلى أن هذه المنطقة توفر مصادر أخرى تجذب الأطفال من مناطق خارج المنطقة مثل:

- كثرة الحدائق بالمنطقة توفر أماكن للنوم وفرص كسب الرزق.
- تواجد مقلب مخلفات ضخم يجمع منها الأطفال اللعب البلاستيك ويبيعونها للتجار في منطقة الزرائب ومزلقان ناهيا حيث تستخدم في صناعات بعد إعادة التدوير.
- وجود مستشفى للموظفين ومستشفى أم المصريين يعالج بهما الأطفال من الحوادث والجروح.

منطقة (ب)

تم دراسة مكانين في منطقة (ب)، المكان الأول عبارة عن ميدان أمام البوابة الجنوبية للقاهرة الكبرى بالنسبة للقادمين من محافظات الصعيد، والمكان الثاني عند إشارة تؤدي إلى شارع كبير به الكثير من أماكن السهر الليلية.

المكان الأول يمثل مكاناً يصل إليه العديد من المواطنين وخصوصاً العمال الريفيين باحثين عن عمل في القاهرة، وكذلك يمثل مكاناً يصل إليه العديد من الأطفال الذين يتركون منازلهم في محافظات الوجه القبلي، ويأتون إلى القاهرة "للاستكشاف" أو للعمل. كما أنه يحيط بهذا المكان منطقة أسواق لمحدودي الدخل، بضائعه رخيصة الثمن نسبياً. ويوجد بجواره مجمع إداري يعمل به العديد من الموظفين الذين يشكلون طلباً واسعاً على باعة أطعمة ومشروبات الشارع حيث تتكاثر عربات بيع سندوتشات الفول، ونساء يبعن السميط، وفرشات الشاي. كما يوجد بالمكان موقف لسيارات الميكروباص، وسائقوها ومساعدوهم يشكلون جزءًا من البيئة البشرية بالمكان. كما يوجد بها مقاه يتجمع بها مقاولو الأنفار الذين يأتون لجلب العمالة من الأنفار الواردين.

وتتمركز في المكان نقطة بوليس تابعة لشرطة النقل والمواصلات، حيث إن المكان يساعد على جذب النشالين. كما يوجد عدد من المخبرين السريين يساعدهم بعض البائعين البالغين كمرشدين للشرطة، نظير التغاضي عن أنشطتهم غير المرخصة. وتواجد نقطة الشرطة يسمح بقدر من الضبط الاجتماعي، ويقلل ممارسات العنف والمشاجرات بين الأطفال والشباب. وفي نفس الوقت، تواجد الشرطة لا يمنع الأطفال من اتخاذ المكان كنقطة تجمع لأنه قانوناً ليس من مهام هذه الشرطة القبض على الأطفال أو إزالتهم من المكان، لأن مهامهم تقتصر على حدود الضبط الاجتماعي وتوفير الأمن. وقد ذكرت فتاة كتبرير لاختيارها هذا المكان للإقامة، تواجد أمناء الشرطة لأن هذا يعني حداً أدنى من العنف.

كما يوجد بالمكان دورات المياه العمومية الخاصة بالسكة الحديد، يستخدمها الأطفال والشباب في الاستحمام وغسيل الملابس، وبالحديقة نافورة مياه وحنفية تجعل المكان مناسباً من زاوية توافر المياه، وفرص المبيت بالحديقة.

وهذا المكان غني بنوعيات مختلفة من العاملين فيه، وكذلك العلاقات المختلفة بين كل فئة من فئات العاملين، مما يجعله مكاناً مهماً للأطفال والشباب بالشارع، ومنطقة جذب بسبب تباين العلاقات الاجتماعية أكثر من أنه مكان لجلب الرزق. فإن العديد من الأطفال عندما يبحثون عن بعض يجيئون إلى هذا المكان للسؤال عن أماكن تواجد أقرانهم وكذلك بعض الأهالي يأتون إلى المكان للسؤال عن مكان تواجد أبنائهم.

وهذا المكان يجذب الأطفال القادمين إلى القاهرة الكبرى، وقد يكون الطفل قد سبق له التعرف على هذا المكان من خلال الهروب من الأسرة لمدد قصيرة، لأن أسهل وسيلة للهروب من الأهل هي ركوب أحد القطارات. كما يجذب هذا المكان الأطفال من سكان المناطق العشوائية الفقيرة المجاورة، وقد يهربون من المدرسة لزيارة المكان والتعرف على من فيه، وقد يمارسون التسول بشكل عرضي، وتستهويهم الفكرة فيما بعد لكي يمارسوها باستمرار.

إن القدرة على الانخراط والتكيف في الشبكة الاجتماعية لهذه البيئة المجتمعية عادة ما تكون الفيصل في أن تتحول هذه الزيارات العرضية للميدان إلى إقامة مستمرة بالشارع. حيث يشير العاملون بالميدان إلى ظهور واختفاء العديد من الأطفال الذين يزورون المنطقة ونسبة قليلة هي التي تتخذ المكان مقراً شبه دائم، وهذا الاختفاء قد يكون نتيجة لعجز الطفل أو الطفلة عن التكيف ومن ثم قرار الرجوع للأسرة، أو أن يكون بسبب الانتقال إلى منطقة أخرى حيث يمثل المكان محطة "ترانزيت" يكتسب خلالها الطفل أو الطفلة المهارات اللازمة والمعلومات الضرورية للحياة بالشارع.

ويتواجد بالمكان إمكان ممارسة الأطفال بعض الأنشطة المدرة للدخل مثل بيع المناديل والسميط، وبيع الشاي، ومسح الأحذية، وبيع الأطعمة والمشروبات ومساعدة القهاوي والمحال وفرشات الشاي في غسل الصحون وشراء بعض المستلزمات للبائعين والمحال، وهذه الأنشطة شكلت عنصر جذب لبالغين يقومون بدور قادة الأطفال، ويعمل الأطفال تحت إشرافهم، كما يوجد على هامش هذه الأنشطة نشاط التسول المحدود والممارسات الجنسية وأحياناً يأتي إلى الحديقة بعض الحواة ويجذبون المارة والأطفال وأحياناً يستقطب الحواة أطفال الشارع للعمل معهم.

وجميع الفاعلين الاجتماعيين بالمكان من شرطة وبالغين مقيمين بالمكان والأطفال والشباب والشابات يدخلون في علاقات متبادلة مفيدة وظيفياً لجميع أطرافها. فباعة الأطعمة يستخدمون الأطفال كعمالة رخيصة نظير الحماية وتوفير الطعام، وفرشات الشاي يقوم بتشغيلها بعض من كانوا شباب شارع في السابق أو بالغين لهم صلة طويلة بالحديقة، وأصحاب فرشات الشاي يفضلون تشغيل الفتيات لجذب الزبائن وتسريح الفتيات في الممارسات الجنسية. ويوفر بعض القادة صناديق الورنيش للأطفال يعملون عليها نظير التقاسم في الدخل. كما يدفع بائعو الأطعمة والمشروبات إتاوات للمخبرين، والبعض يقوم بدور "عين الحكومة"، وسائقو سيارات الميكروباص يحصلون على الطعام والشراب رخيص الثمن، ويمارسون الجنس نظير المال مع الفتيات المتواجدات بالحديقة.

وإضافة لهذه العلاقات ذات المضمون الاقتصادي، فهناك نوع من الإشباع الاجتماعي والترفيهي. وتشير الحوارات والملاحظات الميدانية مع الباحثين إلى قصص لعلاقات غرامية بين هؤلاء الفاعلين، وقصص النميمة وتتبع أخبار الزواج والطلاق والانفصال والمشاجرات والجرائم، والقبض على البعض من الشرطة. وهناك أيضاً أمسيات السهر ولعب القمار وشم الكلَّة حين يسمح الوضع الأمني، والدور الترفيهي للمكان ليس فقط للمقيمين الدائمين بالحديقة بل إن توافر فرص الممارسات الجنسية والجو الاجتماعي والترفيهي، يجذب الكثير من الشباب من المناطق العشوائية القريبة.

ولكن هذا التكامل الوظيفي ليس مستقراً على الدوام، فكثيراً ما يختل توازن هذا النسق. فشم الكلَّة وتعاطي البرشام علناً ينتج عنه عنف ومشاجرات بين الأطفال وبين الشباب، مما يستدعي تدخلاً أمنيا. كما أن حدوث سرقة أو شكوى من سكان المنازل المحيطة بالمكان ومن أصحاب المحال وسيارات الميكروباص، تستدعي تواجداً أمنياً وحملات تمشيط. وعند حدوث هذه الحملات فإن باقي الأطفال يعلمون عنها من الباعة بالمكان أو من الأقران فيتجنبون المكان لفترة من الزمن ثم يعودون ثانياً بعد زوال "القلق".

والأطفال يوطدون علاقاتهم مع الشباب والبالغين في المنطقة كاستراتيجية للبقاء، لأنهم يفتحون لهم فرص التربح ويكسبونهم مهارات للتكيف على حياة الشارع ومجتمعه، ويوفرون لهم الحماية من الآخرين، ويتعاطفون معهم. وقادة الشارع بهذا المكان لهم خبرة كبيرة في استقبال أعداد كبيرة من الأطفال تسمح لهم بتقدير ما إذا كان الطفل سيستمر في الشارع من عدمه، وما إذا كان أهل الطفل سيبحثون عنه أم سيتجاهلون ذلك. وبناء على هذا التقييم يكون قرارهم إما باستخدام الطفل وحمايته وإما بتجنبه. وقد ذكر أحد القادة في إحدى الحوارات مع باحث أن تقييم وضع الطفل عند مقابلته لأول مرة ليست عملية صعبة على الإطلاق. فملابس الطفل غير المتسخة وخصوصاً ملابسه الداخلية عند "التقليب" (السرقة في أثناء النوم)، وعدم وجود جروح في الوجه والجسم يكون دليلاً على أن هذا الطفل "خام" وجديد على الشارع. وعند سؤاله بعض الأسئلة عن أماكن معينة قام بزيارتها ومدى معرفته بجغرافية القاهرة الكبرى يعرفون مدة تواجد الطفل بالشارع وما إذا كان سيتحمل الاستمرار بالشارع أم لا. فهناك تنافس بين القادة من الشباب والبالغين في استقطاب الطفل الجديد إلى المكان.

ولا تبدأ العلاقة مع الطفل بتشغيله في التسول أو على صناديق الورنيش، بل تبدأ عادة بأن يطلب منه القائد القيام ببعض المهام السهلة، تساعد الطفل تدريجياً على اكتساب الثقة بالمكان والجراءة من استمرار تعامله مع مجتمع أوسع من مجتمع الحديقة. وعادة رغبة الطفل في أن يبدو "رجلا" بالغاً يحاول أن يعطي الآخرين هذا الانطباع من خلال شرب السجائر وتجربة شم "الكلَّة". لأن الطفل الذي لا يفعل ذلك يعطي الانطباع أنه "خام" أي ضعيف وغير قادر على التكيف مع البيئة الجديدة. وما إن يتعود الطفل ذلك يصبح أسيراً بصورة ما لقائده أو لشبكة العلاقات حوله، لأنه يبدأ هذه الممارسات دون أن يعرف أماكن الحصول عليها، ودون أن يمتلك القدرة المالية لدفع ثمنها، فيزيد ذلك من اعتماد الطفل على شبكة العلاقات الاجتماعية القادرة على توفير هذا "الكيف" وحتى في حالات زيادة ثقة الطفل وتكيفه، بحيث قد يجمع مالاً أكثر من شاب في عمر ١٦ سنة فأكثر من التسول ومسح السيارات حيث شفقة المواطنين على الطفل أعلى بكثير من شفقتهم تجاه شاب أو شخص بالغ سليم الجسم، ويحمل وجهه علامات عنف جسدي مثل "سنجة" أو "بشلة". إلا أنه من النادر أن يمتلك طفل في سن ١٢ سنة أو أقل الجرأة في شراء السجاير، أو الكلَّة، أو الذهاب إلى صيدلية لشراء برشام مخدر. فأكبر البالغين سناً في محيط مجتمع الشارع يكونون المصدر الأساسي لحصول الطفل/ الطفلة على هذه المكيفات، وعادة بأسعار مبالغ فيها إذا توافر المال لدى الطفل.

وقيادات الأطفال بالشارع تحمل القيم والممارسات الاجتماعية لمجتمع الشارع فهم أكثر معرفة بأكثر الأماكن ربحية للتسول ومسح السيارات، وبأماكن المستشفيات العامة، والصيدليات التي تبيع البرشام المخدر والأدوية المخدرة بدون تدقيق، وبوسائل إخفاء هوية الطفل حينما يقبض عليه للتحرى لأول مرة بما يجنبه مصير العودة للأسرة، وأماكن التبرع بالدم للحصول على المال، وأماكن النوم، والأماكن التي يجب أن يتجنبها الطفل للتواجد الأمني المكثف بها. كما أن العديد من هؤلاء القادة يسكنون في حجرات يستأجرونها في المناطق العشوائية الرخيصة المجاورة للمكان وكثيراً ما يقيم الأطفال معهم بعض الوقت. ويوجد أربع أمثلة عن مثل هذه القيادات بالشارع لإعطاء فكرة أكثر تعمقاً. (أنظر ملحق رقم ١)

أما الموقع الثاني بمنطقة (ب) فيه نفق يؤدي مباشرة إلى شارع كبير به محال ملاهٍ ليلية. ويتجمع عند إشارة المرور مجموعة من الأطفال الذين يقومون بمسح العربات وفي نفس الإشارة يتجمع عدد من بائعي الشاي وسندوتشات الفول والطعمية، لذلك فإن النشاط الرئيسي في هذه المنطقة بالنسبة للأطفال هو مسح

العربات في إشارة المرور ويقوم بعضهم بالخدمات الصغيرة لأصحاب المحال المحيطة. ويتركز في هذا الموقع مجموعة من شباب الشارع، تتجاوز أعمارهم العشرين عاماً، ولهم خبرة طويلة بالمكان حيث إن أول واحد فيهم نزل إليه وهو في سن ١٢ عاماً. وهذا الجيل لم تتح لهم فرصة التعامل مع أندية شباب وأطفال الشارع المفتوحة من قبل الجمعيات الأهلية، وكانت بداية احتكاكهم بمثل هذه المنظمات من خلال الباحثين العاملين بالشارع من الجمعية المصرية لسلامة المجتمع. ويغلب على هؤلاء الشباب معرفتهم بعضهم بعضاً قبل النزول إلى هذا المكان فهم إما من بني سويف أو من أبو قتاتة.

وهذا الموقع ليس مفتوحاً لدخول عاملين جدد على خلاف الأماكن الأخرى لأطفال الشارع، فالذي يعمل في مسح العربات في الإشارات يجب أن يأخذ مكانه في الإشارة بناءاً على ترتيبات مسبقة مع الأقدم في الموقع، لذا يسيطر على مجموعة هذا الموقع الانتماءات الجغرافية. فإن من أحد الأسئلة الأساسية التي يطرحها أي شاب أو طفل على الوافد الجديد بالمكان هو: "أنت منين؟". وأصغر الأطفال سناً أكثر قدرة على جلب المال من مسح السيارات عند إشارات المرور عن الأكبر سناً. ومع تقدم العمر للطفل وتحوله إلى شاب لا يبقى أمامه سوى الاعتماد على أطفال أصغر سناً للقيام بالعمل مع تحصيل العائد منهم في مقابل الحماية، لأن المال الذي يحصل عليه الطفل ليس له أي قيمة في ظل عدم توافر الحماية ومكان آمن للحفاظ عليه.

وكلمة "سيس" تسمية معتمدة للأطفال والشباب بالشارع لوصف بعضهم البعض وتأتي من جمع كلمة "سايس" وهو الشخص الذي يعمل في مسح السيارات. وهذه التسمية شاعت بينهم بغض النظر عن ممارسة مهنة مسح السيارات لكي تدل على المعنى الاصطلاحي لكلمة طفل الشارع. وهذه التسمية مقبولة منهم ولا تحمل معنى سلبياً إلا عندما يتجاوز الطفل مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب فيصبح وصف "سيس" يحمل معنى مثيراً للاحتقار وعدم احترام النفس. ويفضل الأطفال وصف "سيس" عن وصف "تسول" لأن التسول يحمل لهم معنى سلبياً جداً.

ويبدو من التاريخ الشفوي للموقع أن ذروة التواجد به من حيث الأعداد كانت في بداية التسعينيات. وكان النشاط المنحرف الذي ميز هذه المجموعة في ذلك الوقت والأحداث المهمة مسئولاً عن الاهتمام الأمني به ومحاولة "تنظيفه". لقد توفى اثنان من أفراد هذه المجموعة في حوادث طرق أحدهما تناول كمية كبيرة من البرشام، والآخر تناول كحولاً مخلوطاً بعصير القصب. كما أن هذه المجموعة انخرطت سابقاً في عصابة لسرقة مواسير الزهر من مواقع البناء، وسرقة قضبان السكك الحديدية من مخازنها، وذلك تحت حث وتنظيم أحد تجار الحديد، تعرفوا عليه من خلال عملهم في تلميع العربات في إشارة المرور، وعلمهم هذه السرقة وكان يقوم هو بعملية تصريف ما قاموا بسرقته.

ومن مصادر الدخل في هذا الموقع التسول من خلال تطويق السيارات، وفرشات بيع الشاي، والعمل مع بائعي الفول والكبدة الذين يبيعون بعربات يد متنقلة لدى أصحاب المحال المجاورة في التنظيف وتحميل البضائع. واحد من المجموعة ذكر أنه يعمل سايس جراج في فندق قريب من الموقع، وثلاث حالات ذكور ذكروا أنهم مارسوا الجنس مقابل المال. كما أن من ضمن أنشطة هذه المجموعة النصب على العمال الريفيين القادمين للعمل بمجال بناء القطارات والذين يجلسون على فرشات الشاي في انتظار مقاولي الأنفار. وبالإضافة إلى عمليات النصب عليهم ففي حالات يسرقونهم بالإكراه أي "تثبيتهم".

وكل الأطفال والشباب في هذا الموقع يتحركون إلى مناطق ومواقع أخرى للعمل، فيتحركون مثلاً إلى منطقة (أ) بالموقع الثاني والثالث لتطويق السيارات، وإلى الموقع الأول للتسول والدعارة. ومثل العديد من مناطق تجمع الأطفال، فإن الحملات الدورية المستمرة من الشرطة تجبر الأطفال والشباب على تنويع أماكن العمل والنوم والترفيه.

وقد وصف أحد الشباب القدامى بالموقع بأن أغلب المباني الموجودة حالياً لم تكن متواجدة من قبل مما جعل النوم الآمن بالموقع مسألة غير سهلة. وقد ينام البعض بالجامع الملاصق وهو المكان الوحيد الآمن المتاح لأغلب أفراد المجموعة، ولكنه لا يكفي جميع الأعداد. لذلك بعض الأطفال والشباب ينامون في حديقة الميدان (الموقع الأول بالمنطقة).

ويربط هذه المجموعة علاقات تضامن قوية. فأفراد المجموعة يرتادون دور السينما سوياً، ويتشاجرون مع المجموعات الأخرى من الأطفال حماية لأفراد مجموعتهم. وفي حالات الجروح والإصابات فإنهم يحملون المصاب إلى المستشفى ولإعطاء صورة حية عن نمط علاقات التضامن والتشبيك الاجتماعي بهذا الموقع نسرد قصة يومية تصور ما يدور بالشارع على لسان شاب عمره ٢١ سنة:

"(..) مات امبارح في حادثة، وواحدة جت لأم (..) وقالت ليها أن فيه واحد اسمه (..)، عمل حادثة في مستشفى (..) ولقوا معاه بطاقة باسمه وودوه مستشفى أم المصريين. أنا كنت في شغلانة، رجعت لقيت أم (..) بتقول لـ (.. واحد من قادة الموقع) موضوع (..)، ورحنا نسأل عليه في أم المصريين قالوا لنا أنه في القصر العيني. قام (.. و ..) راحوا ليه القصر العيني ودخلوا المشرحة واتعرفوا عليه . إنت عارف يا كابتن ده كان معايا الجمعة وكان معاه برشام كومتال وبهمولار وشربنا أنا وهو بس هو مشي، قلتله خليك قاعد، قاللي لأ ومشي".

وهذا السيناريو يعطي قصة قد تحدث يومياً من حوادث وأحداث وتدل على عدة معطيات عن التواجد بالشارع:

١- هناك قنوات اتصال وتداول للمعلومات سريعة وتعتمد بشكل رئيسي على الأفراد المقيمين بالمواقع بصفة شبه دائمة من أم (..) التي استقبلت خبر ما حدث عن طريق سيدة تعرف مكانها وتعرف صلتها بالأطفال والأفراد بالمنطقة ونشرت الخبر سريعاً.

٢- مخاطر التواجد بالشارع تجعل علاقات التضامن وتداول المعلومات استراتيجية حاسمة للبقاء في الشارع موضوع هذه القصة هو حادث بالطريق وأحياناً أخرى قد يكون متصلاً بهجوم أمني على المكان، وقد يكون مرتبطاً بأحد أفراد أسرة شاب أو طفل في حاجة إلى الاستدلال على مكانه، فيقومون بتضليله أو بتقديم معلومات صحيحة بناء على تقديرهم الوضع.

٣- إن هؤلاء الشباب يشعرون بمسئوليتهم وتضامنهم تجاه بعضهم البعض، ويحسون بالتزام أخلاقي تمليه عليهم اعتبارات العضوية في الجماعة أدت إلى أن يقوموا بالتنقيب خلف ما حدث لصديقهم، رغم ما قد يجلبه ذلك عليهم من مشكلات مع الأمن وخلافه.

٤- هذه الأوضاع من الحوادث المستمرة تحتم كاستراتيجية في البقاء أن يكون كل طفل وشاب إناثاً كانوا أم ذكوراً أن يّربطوا بعلاقات كجزء من شبكة العلاقات مع بالغين مقيمين في الشارع، وفي هذه الحالة كانت أم (..) على فرشة شاي، وفي أحيان أخرى قد يكون أحد بائعي الأطعمة أو أحد أصحاب المحال القريبة أو أمناء الشرطة أو رجل المرور.

لذلك فإن التصور الشائع بأن طفل الشارع طفل مهجور تماماً ومنعزل ويواجه العالم بمفرده ويمكن سهولة إنقاذه من هذا الوضع لمعالجة ظاهرة أطفال الشارع، تصور مخالف للواقع كما تم فهمه من العمل معهم بالشارع.

ولإعطاء فكرة عن يوم في حياة مجموعة هذا الموقع، فقد حكى شاب من المجموعة أنه ينام طول النهار من الساعة ٨ أو ٩ صباحاً حتى الساعة السادسة مساءًا ومكان نومه خلف الجامع. وعند استيقاظه يقوم بالاستحمام في الجامع ثم يتقابل مع باقي العيال "السيس" يفطرون سوياً حيث يقوم كل واحد بدفع مبلغ معين لشراء الطعام معاً. ثم يشترون علبة كلّة ويأخذوا في شمها سوياً خلف الجامع ويأخذون في التسامر والحديث بجانب فرشة شاي أم (..) أمام الجامع حتى العاشرة مساءًا، ويبدأ الشاب في عمله من العاشرة مساءًا حتى الرابعة صباحاً في الصيف وقد يبدأ العمل وينتهي في الشتاء قبل ذلك.

منطقة (ج)

تمثل المنطقة (ج) حياً شعبياً عريقاً بوسط القاهرة وقد تم التعرف عليها من خلال أحاديث الأولاد في منطقة (ب) والمنطقة بالنسبة للأطفال عبارة عن شارعين متوازيين ومقام. والشارع الأول يتفرع من ميدان وهو نموذج لشارع رئيسي من الشوارع التجارية بحي شعبي فقير، على جانبه حوالي خمسة مقاه شعبية، بالإضافة إلى العديد من الورش والمحال. وقبل صدور قرار من السلطات بضرورة الحصول على ترخيص لشراء جهاز الفيديو جيم، كان هناك العديد من المحال التي تقوم بتأجير الفيديو جيم للأولاد نظير جنيه واحد للدور، وتجذب العديد من الأطفال.

ومثال للمقاهي في المنطقة قهوة تنقسم إلى جزئين. جزء من القهوة مخصص للرواد العاديين الذين يقضون الوقت في تجاذب الحديث وشرب المشروبات بالإضافة إلى لعب الطاولة وألعاب أخرى، والجزء الثاني خاص بعروض أفلام الفيديو يحضره عدد أكبر من الأولاد من عدد البالغين نظير خمسين قرشاً للفرد. وعندما جلس الباحث لمشاهدة الفيديو مع الأولاد، لاحظ أن الأطفال يحبون أن يسردوا ما سيحدث في المشهد التالي للفيلم، مما يدل على رؤيتهم الفيلم أكثر من مرة. ولاحظ الباحث أن أغلبية الأفلام التي تعرض بالقهوة هي أفلام عنف من أفلام كاراتيه، وأفلام مغامرات مثل جيمس بوند وخلافه. والأفلام كلها أجنبية وبدا عدم قدرة الأولاد على قراءة الترجمة، مما جعل خيالهم في فهم أحداث الفيلم أهم من الأحداث الحقيقية، وكان تفسيرهم للأحداث التي يشاهدونها يختلف في كثير من الأحيان عن حقيقتها..

ويوازي هذا الشارع، الشارع الآخر وهو شارع مهم يربط المنطقة بوسط البلد. ويسير فيه العديد من الأتوبيسات ويتراص على جانبيه العديد من المحال والمطاعم الشعبية. وفي هذا الشارع يستطيع المارة في أثناء النهار مشاهدة مجموعة من الأطفال بسهولة يجلسون بجانب إحدى العربات ويشمون الكلّة. ويتفرع من الشارع العديد من الحواري الضيقة التي يستطيع الأطفال الجري إليها في حالة تحرش أحد بهم. لذلك كان الشارع مكاناً ثانياً لتجمع أطفال الشارع بالمنطقة.

وإلى جانب هذين الشارعين يتصل بهما ميدان صغير فيه محل شهير لبيع المشروبات والحلوى، ويتردد عليه الأطفال أساساً لتسول الحلوى والشراب. ويشكل المقام الموجود في المنطقة والموالد مصدراً مهماً للحصول على الطعام المجاني من المتبرعين.

وهذه المنطقة ليست منطقة لجلب الرزق للأطفال ولا ينتشر فيها مسح الأحذية أو السيارات مثل المناطق الأخرى، ولا التسول إلا في موقع المقام، مع أنه يغلب فيه تسول الشحاذين المحترفين، وهم في الغالب من النساء المسنين مع أولادهن. أما بالنسبة للأطفال فتغلب على المنطقة تسول الأكل من أصحاب محال الأطعمة، لأن أصحاب المطاعم الشعبية أكثر كرماً مع الأطفال في هذه المنطقة عن أكثر المناطق تحضراً، والكثير من أصحاب المحال لا يرفضون إعطاء الطفل مثلاً حفنة من الكشري في كيس نايلون.

ويوجد نوع من ممارسة التسول بشكل عرضي أمام محل المشروبات والحلوى، وخصوصاً في ليالي الصيف، لأن كثرة الرواد تجذب بعض الأولاد إلى التسول. ولكن نمط التسول في هذا الموقع يمارس من قبل الأطفال لإشباع احتياجاتهم الأساسية من كلّة وطعام وليس من أجل الحصول على دخل للأسرة كما هو الوضع بالمنطقة (أ) في الموقع الثاني.

لذلك فإن المنطقة تجذب الأطفال صغيري السن أكثر من الشباب الكبار سناً لعدم وجود أنشطة اقتصادية مثل مسح السيارات والبلطجة أو الدعارة مثل المناطق الأخرى. وصغر سن الأطفال في المنطقة يجعل المخدرات والمكيفات السائدة هي أساساً الكلّة باعتبارها أرخص وأسهل في الحصول عليها بالنسبة للطفل صغير السن.

والموارد السائدة في المنطقة تجعل منها منطقة جذب ومنها توافر أماكن النوم. فبعد أحداث الزلزال تم إزالة العديد من المباني القديمة في المنطقة، وبعضها كان مازال خالياً، مما أتاح وجود العديد من "الخرابات" المهجورة والملائمة للنوم. وتوجد خرابة بالذات الكل يعلم ببيات الأولاد فيها ويعطف عليهم. كما ينام بعض الأولاد عند أبواب المحال المغلقة، ولكن عامة لا يحب الأولاد التحدث تفصيلاً عن أماكن نومهم.

والتواجد الأمني في المنطقة أقل من المناطق الحديثة بوسط البلد.

ويقول طفل عمره ٩ سنوات حول تفصيلاته لأماكن التواجد:

> "التحرير أحسن من (..) لأن فلوسه كثيرة، بس هو قلق شوية من ناحية الحكومة عن (..)".

ووجود عدد من الحواري الضيقة التي يعرفها الأطفال تجعل الهرب من التحرشات الأمنية سهلاً. كما أن تواجد أماكن للترفيه الرخيص، وتقبل وجود الأطفال فيها، يجعل المنطقة بيئة مهمة لعمل العلاقات الاجتماعية مع الأقران، ومقابلتهم وتبادل المعلومات والخبرات معهم، لأن المنطقة أكثر تقبلاً لأطفال الشارع وأصحاب القهاوي أقل تحرشاً بالأطفال من الكافيتريات الحديثة بوسط البلد. ويوفر المكان فرصاً لتسول الأطعمة.

هذا بالإضافة إلى انتشار الورش والمحال التي تعتمد على عمالة الأطفال مما يجعل تواجد الطفل بالشارع مقبولاً ومعتاداً لدى الجمهور. الطفل المتواجد بالشارع بدون مبرر يسهل عليه إدعاء أنه يعمل في إحدى الورش القريبة من المنطقة وأنه ذاهب لشراء شيء ما "للأسطى" لتبرير وجوده في الشارع أمام الجمهور. لذلك فمنظر طفل يرتدي ملابس ممزقة ويهيم على وجهه في الشارع لا يعتبر منظراً شاذاً من وجهة نظر سكان المنطقة أو مرتاديها. لذا فإن هذه المنطقة اعتبرت منطقة نموذجية للأطفال عندما يرغبون في شم الكلَّة أو قضاء وقت فراغ أو النوم السالم أو الحصول على بعض الطعام، ولكن عند الحاجة إلى المال يتم التحرك إلى منطقة (أ) أو وسط البلد:

"ساعات أروح (منطقة ج) لما يكون معايا فلوس وساعات الواحد يكون "أبيض" (ويقصد ليس معه أي نقود)، يقوم يفضل في التحرير يجيب قرش".

ويقول طفل عن صاحبه:

"بينام في (منطقة ج) بس كل يوم يروح لمقام السيدة أو للمنيل عشان الشغل في المنيل أحسن (يقصد التسول)، وبعد كدة فضل يروح ينام ويشتغل في (منطقة ب)".

فالتحرك من وإلى المنطقة مستمر مما لا يعطي هوية جغرافية أو انتماء للمكان كما هو الحال بالمناطق الأخرى، لذلك كان هذا النوع من الموارد بالمنطقة مؤثراً على نمط التواجد فيه وجاذباً لأنواع معينة من الأطفال، وهم مدمني الكلَّة وذوي العلاقات الضعيفة جداً بالأسرة وأطفال من الأحياء الفقيرة حول المنطقة يمكثون بالمكان يوماً أو يومين. إن ضعف فرص التكسب بالمنطقة لا يجذب الأطفال العاملين بالتسول أو مسح السيارات في الإشارات لكي يمد الأسرة بالدخل.

وحيث إن البيئة محافظة نسبياً، فإنها تجعل تواجد الأطفال الإناث أمراً نادراً. وهناك حالة طفلة ترتدي ملابس الأولاد حتى تتمكن من البقاء بالمكان بإخفاء هويتها، والاستثناء الوحيد لذلك هو فترات الموالد حيث تجذب الموالد أعداداً من البنات من مناطق أخرى خصوصاً المنطقة (ب) لأنها فرصة للحصول على الطعام المجاني والترفيه. وزحمة المولد لا تضعهم في موضع تساؤل، كما أن أنماط القادة في هذه المنطقة يختلف عن المناطق الأخرى، وقادة الأطفال من بين الأطفال أنفسهم. لا يوجد بالمنطقة نموذج الشاب البالغ الذي يقوم بتسريح الأطفال أو تشغيلهم في ظل علاقة مستقرة في مسح السيارات نظير حصوله على دخل مالي منهم كما هو الحال في منطقة (أ)، ولكن هناك بالقطع اعتماد من أكبر الأولاد سناً، على أصغر الأولاد سناً في الحصول على نقود أو ملابس أو غيره، ولكن يتم ذلك بالإكراه والعنف والسرقة "التقليب". وبينما سلطة البالغين بالشارع في المناطق الأخرى تنظم وتقنن عرفياً ممارسات العنف الذي يمارس ضد أصغر الأطفال سناً فذلك غير متواجد بهذه المنطقة. حتى عندما يمد القائد البالغ الطفل بالكلَّة أو البرشام بالمناطق الأخرى فإن خبرتهم تسمح لهم بتحديد حدود التعاطي فمثلاً قال طفل عن المنطقة:

"أنت عارف يا كابتن الخرابة إللى هناك دي مليانة عيال ومنها بلاوي قد كده. العيال بتقعد فيها معاهم بطاريات وكشافات ويبقعدوا يشموا كلَّة طول الليل، ده سمعت أنهم صحيوا لقيوا عيال ميتين من شم الكلَّة".

منطقة (د)

المنطقة تعتبر بوابة شمالية للقاهرة، فهي تشكل أول محطة انتقال للطفل الهارب من أسرته في المحافظات الشمالية مثل الإسكندرية والقليوبية وطنطا. وكما تجذب الأطفال القادمين من خارج القاهرة، فهي تجذب أيضاً الأطفال القادمين من مناطق القاهرة المحيطة بالمكان، وهذه الطبيعة الجغرافية للموقع تجعله يقوم بدور محطة "ترانزيت" بالنسبة لطفل الشارع الهارب حديثاً من الأسرة. ويحكي إحدى الحالات عن تجربة هروب له من المنزل إلى هذه المنطقة كالتالي:

"لقيت نفسي في رمسيس في وسط الناس والناس كانت كتيرة قوي. كانت دي أول مرة أهرب فيها من البيت وكنت خايف قوي وقعدت ساعتها ألف واتفرج على البياعين في المحطة، والوقت عدى بسرعة والساعة جت ستة بالليل كده، ولقيت نفسي جعان قوي. ما كانش معايا فلوس ووقفت قدام

واحد بتاع فول بعربية كبيرة في الميدان وفجأة لقيت اتنين حطوا إيديهم على كتفي وبص عليهم لقيتهم اتنين من العيال "السيس" وكانوا في سني أو أكبر مني بشوية. قالوا لي أنت بتعمل أيه هنا قلت لهم أنا هربان من البيت وحكيت لهم حكايتي لقيتهم عيال جدعان قوي. راحوا لما ملقيوش معايا فلوس وجعان جابوا أكل وقعدنا ناكل مع بعضينا وبقينا صحاب قوي. وكنا بنام كده في جنينة جنب الأتوبيسات. المهم قعدنا هناك مع العيال دي وكان فيه عيال غيرهم كتيرة كبار وصغيرين، لكن همة الأتنين دول أفضل عيال شفتهم هناك، وكنا بنجيب فلوس من الشحاتة ومن مسح العربيات، وكنا بناكل أكل كويس. قعدت معاهم مدة شهر ونص لحد لما رجعوني لجوز أمي".

وخلف الموقع مباشرة موقع آخر كان به موقف للسيارات والميكروباص وقبل إزالة الموقف كان يشكل مكاناً مستقراً للأطفال حيث ينامون بالحديقة القريبة وبعضهم يقوم بأنشطة هامشية حول الاقتصاد غير الرسمي بالموقف. كما أن تواجد عدد ضخم من المحال التي تقدم وجبات سريعة للمسافرين تساعد على تجمع الأطفال حولها لتسول الطعام.

وبالمكان نفق به مكان غير ظاهر يسمونه الأطفال "الطاقة" يستخدم للاختفاء وشم الكلَّة وممارسة الجنس بين الأولاد بعضهم مع بعض بعيداً عن أعين الشرطة. لذلك يعتبر الموقع بطبيعته الخطيرة نسبياً غير مغرٍ للأطفال حديثي السن نسبياً وحديثي الخبرة في عالم الشارع، ومن ثم يغلب على المكان أكبر الشباب سناً، والأطفال يتواجدون في شارع مجاور تكثر به المحال، أو يتحركون إلى منطقة وسط البلد حيث يتوفر الطعام. ولا تسمح طبيعة الموقع من تواجد جمهور غفير نسبياً وتواجد أمني بممارسة العنف فيما بينهم وخاصة من قبل أكبر الأولاد سناً ضد أصغر الأولاد سناً.

وبمقارنة هذه المنطقة بالمنطقتين (ب) و(د) نجد أن منطقة (ب) محدودة إلى حد كبير والعاملون فيها يعرفون بعضهم بعضاً أما المنطقة (د) فهى مفتوحة وأكثر ازدحاما نتيجة لكثرة الأفراد من المارة ومن سيارات ومسافرين. وينعكس ذلك على عدم وجود شبكة علاقات اجتماعية محددة وقوية مما يجعلها أقل رسوخاً واستمرارية من منطقة (ب) وتعتبر مدخلاً مؤقتاً للطفل حديث الهروب من الأسرة أكثر من كونه مكاناً دائم التردد عليه.

منطقة (هـ)

بهذه المنطقة ثلاثة مواقع أساسية يتردد عليها الأطفال والشباب الذين تم إنشاء علاقات معهم في أثناء إجراء البحث. الموقع الأول في وسط البلد حول محل مشهور للفول والطعمية والموقع الثاني في ميدان كبير والموقع الثالث عند النيل.

والموقع الأول يعرف عند الأطفال باسم محل الفول والطعمية الشهير، ويقع المحل في شارع صغير يصل بين شارعين كبيرين. والشارع الصغير مملوء بمحال أشرطة الكاسيت وبمكتبة ومحال ملابس وشركة صرافة مما يجعله شارعاً تجارياً نموذجياً لتجمع الأطفال بسبب توافر الطعام، حيث يقف الطفل أمام محل مزدحم بالزوار الذين يشترون السندوتشات، ووقوف الطفل بجوار أحد الأشخاص طالباً منه سندوتش لأنه جعان ينتهي حتماً بحصوله على الطعام. وأحياناً يرتبط تسول الطعام بتسول النقود وإن كانت محاولات الحصول على النقود أقل احتمالاً من الحصول على الطعام. كما أن الموقع يوفر مكاناً للنوم حيث يوجد تكييف مركزي ضخم لأحد المحال الحديثة ينام تحته الأطفال خاصة في الشتاء كما يوجد "مقلب زبالة" توجد به عربة نقل لا تعمل ينام فيها الأطفال، هذا بالإضافة إلى وجود شوارع ضيقة يساعد الأطفال على الجري فيها للاختفاء عند حدوث عملية قبض على الأطفال.

والموقع الثاني في منطقة وسط البلد هو ميدان كبير يوفر بعض الموارد للأطفال مثل فرص التسول المحدود ودورة مياه عامة ومقاهٍ وسائحين، لذلك عدد الأطفال به محدود للغاية وبعضهم لهم صلة بأسرهم حيث يمارسون التسول ويعودون للمبيت مع أسرهم. والموقع يعتبر موقعاً للزيارة وللعمل لأنه محفوف بالمخاطر الأمنية وتواجد الأطفال به يلاحظ بسهولة مقارنة بالمنطقة (ج) ويتغير به الأطفال من وقت لآخر.

أما الموقع الثالث على ضفاف النيل أسفل الكباري فهو مكان مشهور لموارده المساندة خصوصاً في فصل الصيف حيث يمارسون الاستحمام والسباحة في النهر، وبما أن النيل مكان نزهة للعائلات والمحبين فيشكل فرصة لممارسة بعض أنشطة التسول أو بيع سلع مثل الزهور والمناديل والكبريت. ويصف طفل نمط علاقته بالموقع بوصفه مكاناً للرزق والترفيه قائلاً:

"نروح الصبح على (منطقة ج) نفطر وبعدين كل واحد يروح يدور على رزقه، ساعات نروح نمسح عربيات عشان نجمع فلوس واللي يجيب سجاير يجيب واللي يجيب كلَّة يجيب، وساعات نروح نشحت أو ساعات نروح البحر تحت الكوبري، هناك بقى نستحمى ونعمل شغل كويس. أصل كل واحد واقف هناك بيبقى معاه واحدة، إحنا بقى نقعد نرخم عليهم بالشحاتة وساعات نجيب ورد ونبيع لهم بالعافية".

التحرك بين المناطق

المناطق التي تم عرضها بمواردها وأنماط التواجد بها كان نتيجة لحركة مجموعة الباحثين في الشارع والمقابلات التي تم إجراؤها مع أطفال وشباب الشارع بالإضافة إلى حلقات النقاش التي تمت مع مجموعات من الأطفال ومع الباحثين أنفسهم، ويوضح الرسم التالي حركة الأطفال والشباب المستمرة بين المناطق الأربع بناء على احتياجاتهم المختلفة وظروفهم..

الخلاصة

هناك تباين كبير في أنماط التواجد بالشارع بالنسبة لعلاقة الطفل أو الطفلة بالأسرة وبالشارع. كما أن الشارع محيط اجتماعي يوفر لهم فرص العمل والكسب واللعب والترفيه، ويحقق لهم غريزة حب الاستطلاع.

ولكن كل هذه المغريات المتواجدة بالشارع تصاحبها مشكلات ومخاطر يتعرضون لها من مطاردة الشرطة لهم ومن الشباب كبار السن بالشارع فالعنف سمة من سمات الحياة بالشارع. هذا بالإضافة إلى الممارسات الخطرة التي ينخرطون فيها من ممارسات جنسية وتعاطي المخدرات.

ومن ذلك يتضح أن الاستمرارية بالشارع دليل على أن مشكلات ومخاطر التواجد به غير طاردة بسبب المغريات المتواجدة بالشارع، ولسبب المساندة التي يحصلون عليها بشكل أو بآخر، تساعد على استمرار البقاء بالشارع مع ضعف مغريات البقاء مع الأسرة.

وموارد المساندة للبقاء بالشارع تتفاوت ما بين الأسرة ورجال الشرطة وأصحاب المحال وبعض المواطنين وتواجد المرافق العامة. أما أكثر مساندة للتواجد بالشارع فهي من الأشخاص البالغين المتواجدين بالشارع والمتمكنين من حياة الشارع، فهم مصدر لتوفير الاحتياجات والحماية والمعلومات، والتدريب على أساليب التعايش بالشارع وعلى استراتيجيات البقاء.

وبعرض العلاقات والفرص المتواجدة والمتباينة بتباين مناطق وجودهم، وضح أن مجتمع الشارع مجتمع موازٍ للمجتمع الأصلي الرسمي بقيمه وتقاليده ومؤسساته، والتحرك المستمر من مكان لآخر حسب الاحتياج والموارد المتوفرة الجاذبة للمكان من الاستراتيجيات المهمة للتعايش والبقاء بالشارع.

ومن ذلك كله يتضح أنه لجذب الطفل أو الطفلة أو الشاب أو الشابة من الشارع لإعادة إدماجهم في المجتمع الأصلي، يجب تفهم فرص ومغريات الشارع ومشكلاته وأخطاره من وجهة نظرهم لتحديد ما يمكن توفيره لهم لجذبهم إلى مجتمع له إطار للحماية، أي المجتمع الأساسي الذي ينافسه مجتمع الشارع بمغرياته وموارده.

خريطة التحرك المستمر وراء موارد المساندة

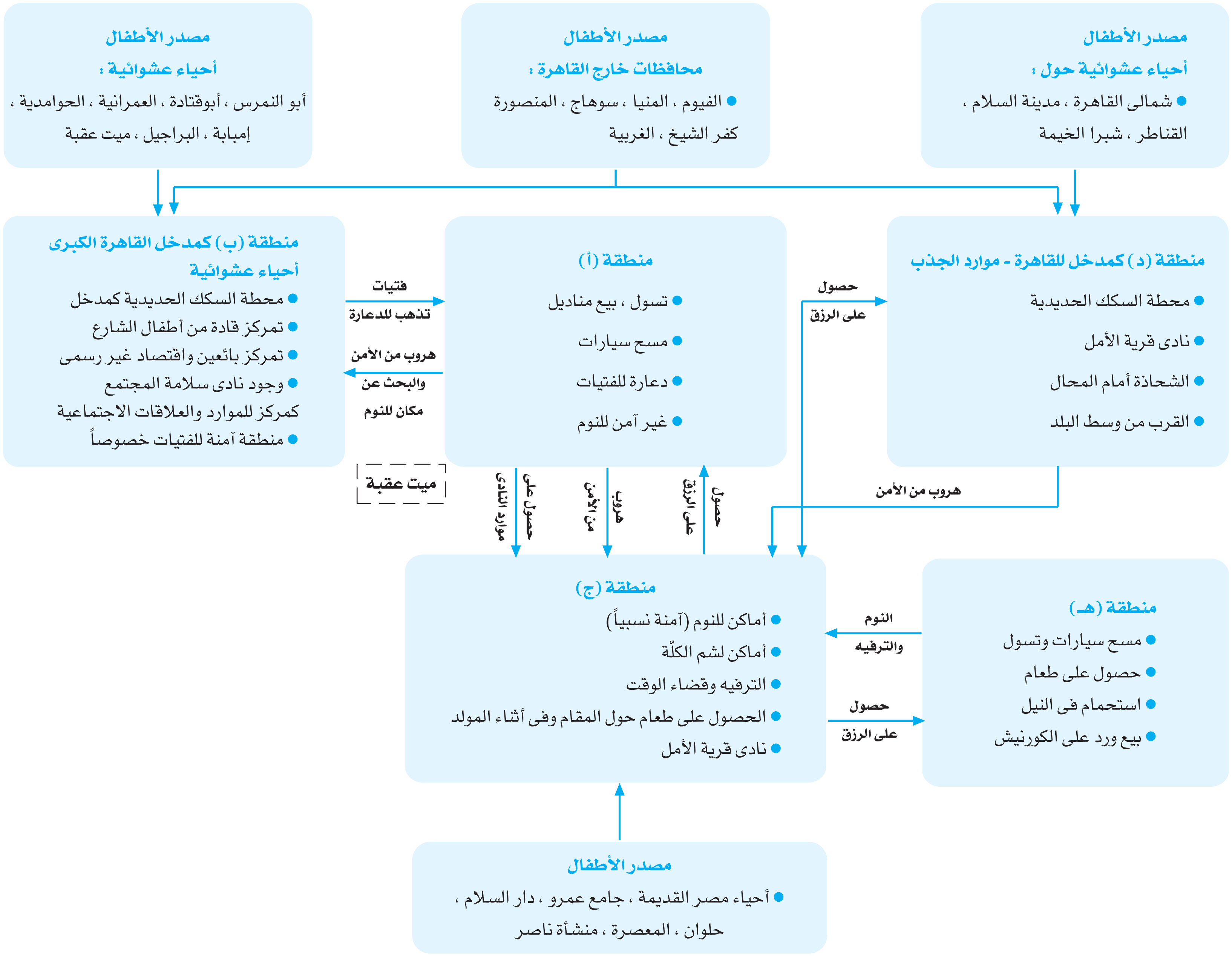

الفصل الرابع

رؤى الأطفال بالشارع لذاتهم والمجتمع وتطلعاتهم للمستقبل واحتياجاتهم الأساسية

المقدمة

وبعد هذا الاستعراض لحياة الشارع ومجتمعه وموارد الدعم والجذب به ومشكلاته ومنغصاته، من المهم التعرف على آرائهم في أنفسهم وفي المجتمع المحيط بهم وفي تطلعاتهم للمستقبل من وجهة نظرهم، وكذلك احتياجاتهم الأساسية والأسلوب الأمثل لتلبية هذه الاحتياجات.

رؤية الأطفال بالشارع لذاتهم

إن التقييم الذاتي عملية صعبة وفي حدوثها نوع من الإدراك السليم، فمن خلال المقابلات تم استخلاص مجموعة من الآراء التي تعبر عن نوع من المكاشفة مع النفس. فالبعض راضٍ عن نفسه والبعض الآخر يكشف عن معاناته والنظرة الدونية لنفسه.

والتقييم الإيجابي للنفس ينبثق من الاعتزاز بالنفس سواء بالنسبة للإحساس بالجمال البدني بين الفتيات أو للرضا عن النفس واحترام الذات للقدرة على التكسب ومساندة الأسرة، أو لاستمرارهم بالدراسة، أو لرفضهم بعض الممارسات بالشارع، والاعتزاز بالنفس قد يرجع إلى نوعية الحياة بالشارع حيث يشعر الطفل أنه يعيش الحياة "بطولها وعرضها" مع إحساس بالحرية والتمتع بالذكاء والقدرة على البقاء. وقد يكون التقييم الإيجابي للذات نابعاً من الشعور بالقوة وإمكان فرض السلطة على الآخرين.

وفي بعض الحالات يمتزج في نفس الطفل أو الطفلة الشعور بالرضا عن أنفسهما مع الشكوى من الظروف المحيطة بهما.

ومن أمثلة التقييم الإيجابي للنفس والتقييم المزدوج ما يلي:

- طفلة ١٢ سنة: "الحمد لله أنا راضية عن نفسي لأني مش بعمل حاجة غلط زي البنات في الجنينة وبسمع كلام أمي".
- شاب ١٩ سنة: "أنا شايف نفسي كويس، لكن المشكلة في الناس اللي بتبص لي بصة وحشة لأني بامسح عربيات وبشم كلَّة. طيب أنا أعمل إيه ما أنا بشم الكلَّة دي عشان أنسى البصة بتاعتهم دي".
- شاب ٣٥ سنة: "محدش يقدر يتكلم معايا من الكبار ولا الصغيرين في الجنينة. في مرة واحد زقني روحت ماسكه أديته كام بوكس وعلقة سخنة، من ساعتها ميقدرش يفتح عينه فيا. وكمان مرة واحد حاول ياخد واد من العيال اللي قاعدين معايا، روحت ماسكه ضربه من ساعتها ميقدرش يعملها معايا تاني".
- شاب ١٥ سنة: "أنا مع أصحابي أحسن علشان ببقى على حريتي".
- شاب ١٥ سنة: "أنا لحد دلوقتي كويس ومش صايع عشان في المدرسة، لأن العيال الصيع مش بيروحوا المدرسة. بس خايف لأني كذا مرة أسيب المدرسة، بس لما أمي عرفت ضربتني جامد عشان كده أنا لو بطلت المدرسة هتصايع زي العيال التانية".
- طفل ١٠ سنوات: "أنا كويس لأني بساعد أمي وأبويا وأخواتي بالفلوس، لأن لما أنا اشتغل أحسن ما أمي تنزل تشتغل".
- شابة ١٨ سنة: "أنا راضية عن نفسي كويس قوي أصل أنا أحلى واحدة في البنات هنا، وكل الناس بتقولي أنا أحلى واحدة وده بيبسطني قوي، وكمان أنا مخي متفتح قوي ومحدش يفهم أكتر مني ولا يقدر يعمل حاجة أكتر مني".
- شاب ١٥ سنة: "أنا في نفسي كويس لأني بساعد أمي وأبويا وأخواتي، يعني أنا عكس اللي الناس بيقولوه عليا إني صايع وسيس".
- طفل ١٢ سنة: "بالشارع بحريتي أشد كلَّة ومع صحابي، ولكن البيت برضه فيه راحة في النوم وحماية".
- طفل ١٤ سنة: "الحمد لله أنا شايف إني كويس بروح برحتي، مش محتاج فلوس، عايش كويس مش زي العيال السوس التانية. وكمان باعرف اتكلم مع أي حد، وكمان محبوب من أصحابي".
- طفل ١٢ سنوات: "أنا كويس مش بعمل حاجات وحشة زي العيال التانية، يعني مش بسرق ومش باخد برشام ولا بشم كلَّة".
- شاب ١٨ سنة: "اتعلمت المرمطة وإزاي ميضحكش عليا ومحدش يقدر يكلمني".
- شاب ١٥ سنة: "آخد حقي كويس قوي في الشارع وأعور اللي يعورني".

- طفلة ١٤ سنة: "أنا بأشعر أني أحسن من أي حد ، منظري حلو ومبسوطة إني في الشارع".
- طفل ١٤ سنة: "أنا الحمد لله راضي عن نفسي لأني واخد حقي، كمان معروف في نادي السيدة من المعلمين ومن العيال، وباكل كويس وباشرب وبلبس كويس".

ولكن أعداداً أكثر من الأطفال والشباب بالشارع يشعرون بالإحباط النفسي وينظرون إلى أنفسهم نظرة دونية مقارنة بالآخرين، وبالنسبة لنظرة المجتمع لهم، وبالنسبة لظلام مستقبلهم وقلقهم عليه، وللظروف التي يتعرضون لها، وعدم الرضا عنها والإحساس بأنهم ضحية للظروف وللبهدلة التي يتعرضون لها، وللضيق من تعاطي المخدرات، والشعور بالغربة والوحدة. وقد تكون الحسرة على أنفسهم من منطلق سخطهم على أسرهم أو أفراد منها، أو من منطلق الحنين لأسرة سعيدة مستقرة بها الحب والتفاهم.

- شاب ١٨ سنة: "أنا متأخر عن شباب كتير في سني في تفكيرهم وفي شغلهم وفي جوازهم، وإن أنا زي قلتي مش بعمل أي حاجة".
- شاب ١٦ سنة: "أنا حزين جداً مليش لزمة بتعلم البوظان، ولو فضلت على كده هتعلم الإجرام وأخش السجن".
- شاب ١٦ سنة: "بتصعب عليا نفسي لما حد يشتمني لما آجي أطوق عربية أو حد يهزئني أو ده يضربني، ملطشة لأي حد".
- شاب ١٨ سنة: "أنا عارف ماليش لازمة ولا وجود في الدنيا، ولا كمان عندي صنعة كويسة. وكل شوية اتمسك وأنا نفسي ربنا يكرمني لأني مش عايز أفضل كده على طول متبهدل".
- طفلة ١١ سنة: "ساعات بحس إني ما ليش أي لازمة في الدنيا، وإن الناس اللي زينا لازم يموتو علشان الناس دايما بتحسسنا إن إحنا كلاب مش بني آدمين".
- شاب ١٦ سنة: "أنا كتير قوي يصعب عليا نفسي لما حد يشتمني لما آجي أطوق العربية. كمان ببقى متضايق قوي لما الناس تهزأ فيا أو تلطشني، يعنى الواحد بيبقى حاسس إنه ملطشة لأي حد".

- طفل ١٣ سنة: "الواحد مرمي زي الكلب بالشارع من غير أكل أو شرب أو لبس، عامل زي صفيحة الزبالة وأقل من كده. الناس على طول تضربني وتشتمني".
- فتاة ١٥ سنة: "حظي وحش في الدنيا لو كان عندي أب وأم كويسين كنت هبقى زي باقي البنات، بس أنا بحس اني أقل من الناس".
- شاب ١٨ سنة: "بشم كلَّة وأخذ برشام، آمال هعمل إيه ما أنت شايف القرف اللي الواحد فيه".
- شاب ١٦ سنة: "أنا رأيي الموت ليا أحلى. يأست من نفسي خالص، لما باشوف واحد من المجانين في الشارع بتصعب عليا نفسي وأقول بكره أبقى زيهم وأعمل زيهم كده".
- شاب ١٦ سنة: "دلوقتي أنا حاسس إني اتخنقت من الشارع، عايز أقعد كده زي زمان مع أبويا وأمي وأخواتي".
- شابة ١٨ سنة: "الناس بتبص لنا من طراطيف مناخيرها. مرة واحدة راكبة عربية وأنا بديها المناديل، إيدي لمست إيديها، نزلت علطول اشترت إزازة ريحة وفضلت تمسح إيديها بالكولونيا وتشتم فيا وتبهدلني".
- شاب ١٩ سنة: "أنا حاسس إني هفضل طول عمري سيس مش هتغير، مش هلاقي حد يمد لي إيده ويقولي تعالى أشغلك معايا. الناس خايفة مني ومن شكلي ومن هدومي، وأنا سني دلوقتي ١٩ سنة ولا شغال ولا ليا حتى مكان أقعد فيه، يبقى هعمل إيه لما يبقى عندي ٥٠ سنة".
- طفل ١٤ سنة: "أنا سيئ الحظ وظروفي وحشة، انفصال أبويا وأمي هو اللي خلاني في الشارع دايماً بحس إني ضعيف".
- طفل ١٤ سنة: "ببص على العيال اللي راكبين عربيات واتحسر على نفسي ويمكن ده اللي خلاني أكره نفسي وأبويا وأمي وأخواتي وأمشي في الطريق اللي ماشي فيه، آخذ برشام صراصير وأشم كلَّة عشان أنسى كل حاجة أنا مش عاوز أفتكرها".

فالجدعنة والحرية وكسب المال والقدرة على التعامل مع المحيط الاجتماعي بسلاسة والقدرة على التأثير على الآخرين كلها صفات تشعر الطفل أو الطفلة بأنهم "كويسين". ولكن الصياعة والمقارنة بالآخرين ونظرة المجتمع ومعاملته لهم وعدم الراحة النفسية سواء من ظروف البقاء في الشارع أو من ظروف الأسرة كلها عوامل تشعر بالدونية وعدم الرضا عن النفس.

تقييم المحيط الاجتماعي

المحيط الاجتماعي للطفل أو الشاب بالشارع ينحصر في العلاقات مع الأسرة والعلاقات مع أقران ومجتمع الشارع ومع أفراد المجتمع.

بالنسبة للأسرة

تمثل الأم لكثير من الأطفال والشباب القلب الحنون الذي يرعاهم ويحميهم ويحافظ عليهم، ويتعب "يشقى" ويضحي من أجلهم لتلبية احتياجاتهم. وفي نفس الوقت هناك بعض الأطفال يكرهون أمهاتهم بسبب معاملتها السيئة وقسوتها عليهم لدرجة أنه شبهها طفل "بمرات الأب" لأنها تضربهم وتلح عليهم للعمل بالشارع من أجل النقود أو بسبب تركها أسرتها وزواجها من "رجل ثانٍ" مما يهز كيان الأسرة.

أما بالنسبة للأب فالأغلبية تستنكر أفعاله من قسوة وسوء معاملة وضرب وقهر، أو للتخلي عنهم وعدم الصرف عليهم وعدم اهتمامه بهم، أو لاستقطابه المال من أولاده للصرف على نفسه وعلى "مزاجه" سواء كان لشرب الخمرة أو لتعاطي المخدرات، أو الزواج من أخرى، والكثير منهم يرون أن الأب هو السبب الأساسي في تشردهم وضياعهم بالشارع.

من أقوال الأطفال عن الأسرة

- طفل ١٣ سنة: "أبويا ما عندوش رحمة ولا يحب غير نفسه وبس".
- فتاه ١٥ سنة: "أنا باحب أمي لأنها خايفة علينا أحسن من أبويا، بتشتغل علشان تجيب لنا فلوس واللي احنا عايزينه، أما أبويا مش شاطر إلا في الضرب".
- فتاة ١٥ سنة: "أنا بحب جدي أبو أبويا جداً وبحب أبويا، وعمره ما فكر مرة يضربني، أمي بس بيجي عليها ساعات تضرب فيا، وبحب إخواتي رغم أنهم بيضايقوني".
- طفلة ١٣ سنة: "سبب نزولنا إلى الشارع: هو أبونا ربنا يتعبه زي ما تعبنا، سابنا للبهدلة أنا وأختي، بنشتغل وندي الفلوس لأمنا علشان مفيش حد بيصرف علينا".
- طفل ١٣ سنة: "أمي في السجن تستاهل كل حاجة تجرى لها، ست معندهاش قلب، جوزت أختي علشان الفلوس وماتت عندها ١٢ سنة".

- شابة ٢٤ سنة: "أنا بكره أبويا اتجوز على أمي وأمي أعصابها تعبت بعد ما اتجوز عليها، ولما ماتت نزلنا الشارع ندور على لقمة ناشفة ناكلها أو هدمة كويسة نلبسها، غير كلاب الشارع اللي عمالة تنهش في لحمنا وما مفيش حد كان سايبنا في حالنا. هو سبب النصايب اللي احنا فيها".
- طفل ١٣ سنة: "أمي ست معندهاش قلب ولا رحمة عليا وعلى اخواتي، اتجوزت واحد غير أبويا وكمان جوزت أختي وهي عندها ١٠ سنين لواحد من بلد عربي علشان الفلوس، فماتت وأمي اتسجنت وياريت تكون في السجن علطول".
- طفلة ٨ سنوات: "أنا مبحبش أمي دي خالص عشان بتضربنا وتخلينا ننزل الشارع ونشحت بالعافية عشان أجيب فلوس".

والقلة فقط يذكرون الأب بمحبة ولا يشتكون من مساعدتهم له "لأنه راجل طيب" و "غلبان" لأنه "بيخاف عليهم" أو يحاول منعهم من النزول إلى الشارع. فكره الأسرة أو حب الأسرة مشاعر تتضارب عند الأطفال فالرغبة في الدفء الأسري والاستقرار والراحة تغلب على الكثير إناثاً وذكوراً، وقد يختلط هذا بكره الأسر والشعور بالضيق والمهانة معهم، فالحب والكره والحنين والغضب مشاعر متداخلة عند تقييم الأسر.

بالنسبة للمجتمع بالشارع

الاختلاف في تقييم النفس وتقييم الأسرة وأفرادها يمتد أيضاً بالنسبة لتقييم المجتمع بالشارع، فالأصحاب يوفرون الشعور بالأمان بالشارع فهم يتعاملون كأخوة يحمون بعضهم بعضاً ويعيشون "عيشة هنية" معاً ويمضون مع بعض أوقات مسلية وممتعة ويقفون مع بعض ضد الآخرين. ويوجد من لهم نظرة أخرى للأصحاب بالشارع أنهم "بتوع مصلحتهم" أو "محدش فيهم ينفع التاني خالص". ويوجد من يرى أن بالشارع "الناس الطيبين" ومنهم "الوحشين" ويوجد المخلصون والمساندون.

من أقوال الأطفال عن المجتمع بالشارع:

- طفل ١٣ سنة: "كل الموجودين هنا في الشارع صحابي وأخواتي، لو عايز حاجة أقول لهم".

- طفل ١٣ سنة: "أنا حسيت بالأمان، حسيت أن ما فيش حد هيضربني ما فيش حد هيعملي أي حاجة، حسيت بالأمان والطيبة مع صحابي".
- طفل ١٠ سنوات: بحب الشارع عشان بعمل كل حاجة من غير أوامر من حد، بلعب مع صحابي وتتفرج على الفيديو".
- طفل ١٤ سنة: "كل واحد بيحب نفسه وملوش دعوة بالتاني وبالذات العيال الأكبر مني، يقلبوني أنا صاحي أو نايم وياخدوا الفلوس يشتروا بيها كلّة وبرشام".
- شاب ١٦ سنة: "العيال كلهم مجرمين وبيعوروا بعض وبيشدوا كلّة ومحدش بينفع حد، كل واحد يقول يلاّ نفسي".
- شاب ١٧ سنة: "إحنا بقينا زي الغابة العيال السوس اللي كبروا دلوقتي فاكرين نفسهم بلطجية علينا، الواحد يعور التاني بقت سهلة قوي".
- شاب ١٦ سنة: "في ناس طيبين وفي حالهم ومحدش منهم بيكلمني".
- طفلة ١٠ سنوات: "في ساعات ناس تشتمني وساعات يقولولي كلام قلة أدب، وفي خمارة بدخلها بالورد في ناس بتدفع للبنات الكبار بالخمسين والألف جنيه".
- شاب ١٦ سنة: "ما فيش أحسن من البيت، أنا تعبت قوي في التلات سنين إللي سبت فيهم البيت. كنت بنام في البرد ومن غير غطا والناس الكبار اللي يشتمني واللي يضربني واللي يقولي يا ابن كذا".

وكل هذه المقولات توضح التداخل ما بين بريق الحياة بالشارع وصعوبته ومع ذلك التواجد بالشارع للبعض يعتبر "شراً" لا بد منه في حالة عدم وجود بديل مناسب لهم.

احتياجات أساسية يصعب الحصول عليها

هناك احتياجات أساسية من وجهة نظر الطفل أو الطفلة أو الشاب أو الشابة بالشارع بعضها قليل في مجمله ولكن صعب الحصول عليها بالنسبة لظروف حياتهم. بعض الاحتياجات متعلقة بتواجد إطار "الأسرة" وبعضها متعلق بالحصول على الدخل من أعمال مختلفة وبعضها متعلق باحتياجات صحية أو سكنية وبعضها متعلق بالحاجة إلى أوراق رسمية للأهلية.

فهناك من يحتاج إلى العودة للمنزل والاستقرار مع الأسرة ولم الشمل والبعض يحتاج إلى أن "يتجوز جوازة سليمة" أو "تتجوز إنسان كويس يحافظ عليها" أو الزواج من شخص يتحب، والحب والغرام من الموضوعات التي تحلم بها البنات والرغبة في زواج مستقر ولا يكون عرفياً.

والتعليم من الاحتياجات وكان مطلباً مهماً للكثيرين لاستكمال الدراسة والحصول على شهادة أو للعمل في "شغلة كويسة"، أو لكي "يطلع دكتور أو ضابط" أو لكي "يعرف يقرأ ويكتب".

ومن أجل العمل والحصول على الدخل فالاحتياجات تتنوع من الحاجة إلى "كشك لبيع مناديل وسجاير"، أو العمل بشغلة "كويسة" تدر دخلاً ثابتاً بدل "التشرد في الشحاذة ومسح العربيات"، أو تعلم "صنعة كويسة" يكسب منها. أو العمل في ورشة نجارة أو سباكة أو سمكري سيارات أو ميكانيكي سيارات أو دوكو سيارات أو كهربائي سيارات .. الخ. ولكن السؤال الأكيد هو إلى أي مدى يمكنهم التأقلم على العمل المستقر وهم جميعاً يجمعون بين العمل لجلب النقود والتسلية مع الأقران بحرية لا يوفرها العمل بالمجتمع ومؤسساته.

والكثير لهم احتياج إلى أوراق رسمية لإثبات هويتهم تبدأ من الحاجة إلى استخراج شهادات ميلاد حتى يستطيعوا استخراج بطاقات شخصية تساعدهم على الحصول على عمل وتساعد الفتيات على الزواج الرسمي بدلاً من العرفي. ويوجد من يريد أن يستخرج رخصة قيادة لكي يعمل سائقاً.

وبعض الاحتياجات مرتبطة بالتسلية واللهو مثل الحاجة إلى دراجة للعب والعمل، والحاجة إلى الاشتراك فى ناد لتعلم "كاراتيه" للدفاع عن النفس وقت الحاجة والاشتراك في "بطولة الجمهورية" والحاجة إلى الذهاب إلى الملاهي و"الحتت الجديدة الحلوة" مثل "بقية الناس". وهناك من يحتاج إلى العلاج من المرض، أو إلى عمل عملية تجميل لإخفاء كمية الجروح بالوجه من استخدامات أمواس الحلاقة "البشلة" وجميع هذه الاحتياجات لا يصعب تحقيقها ولكن بالنسبة لهم تعتبر آمالاً يصعب تحقيقها.

الأسلوب الأمثل لتلبية هذه الاحتياجات

هناك احتياجات واهتمامات ورغبات لأطفال الشارع منها مسيس الحاجة للحصول على شغل مناسب (كويس) سواء للأطفال أنفسهم أو للوالد أو لكلا الوالدين من أجل توفير فلوس للصرف وتلبية الاحتياجات الضرورية أو تسديد الديون بدلاً من بهدلة الشارع أو تعلم صنعة أو عمل مشروع صغير بمساعدة الآخرين بحيث يكون هناك مصدر للكسب الحلال وأن يّعامل من صاحب الورشة معاملة آدمية حسنة.

- طفل ١٢ سنة: "يا ريت واحد يوديني ورشة يكون عارف صاحبها علشان يعاملني كويس، وعلشان الصنعة مكسبها كويس أعيش منها وأعيش أمي وأخواتي".
- طفل ١٢ سنة: "عايز أتعلم صنعة كويسة أكسب منها بالحلال بس الأسطى ميضربنيش".
- شاب ١٥ سنة: "أعمل أي مشروع صغير حتى لو كان أجيب بضاعة وأسرح بيها في الشارع، ومع الوقت أعمل فلوس أكتر وأوسع المشروع".
- طفلة ٧ سنوات: "لو أبويا اشتغل هيبقى كويس ويجيب لنا اللي احنا عايزينه".
- طفلة ١٠ سنوات: "نفسي أشتغل شغلة حلوة ويكون معايا فلوس علشان أديها لأبويا اللي مبيشبعش من الفلوس".

لدى البعض استعداد للعودة لدفء الجو الأسري المستقر ومنهم من يحتاج إلى وساطة حتى يتسنى له الرجوع وأن يكون ذلك شريطة أن يحسن الأب المعاملة "معاملة الأخ وليس الابن" والابتعاد عن القسوة وعندما يتوفر عامل الاستقرار سيكون الاهتمام بشيل البشلة من الوجه بالجراحة.

- طفل ١٠ سنوات: "هنفذ كلام أبويا وأرجع البيت علشان يعمل أبويا لي عملية تجميل ويرجع وشي زي الأول".
- شاب ١٦ سنة: "أبويا قلبه حجر، قاسي قوي، نفسي حد يأثر عليه علشان يرضى عني ويخليني أرجع البيت".
- شاب ١٥ سنة: "أرجع البيت وأبويا يعاملني كويس، أكني أخ مش ولد".

ومنهم من يرى أن الزواج المستقر هو الحل الوحيد للخروج من عالم الشارع ومنهم من يرغب في استكمال المسار التعليمي أو تعلم محو الأمية أو استخراج بطاقة أو الحصول على الطلاق حتى يكون في المستطاع العيش عيشة سوية هادئة.

- فتاة ١٥ سنة: "عايزة أتجوز جوازة حلوة واحد مبسوط ومعاه فلوس وأطفش من الغلب اللي أنا فيه".
- طفل ١١ سنة: "أكمل تعليمي وأكون ضابط، أجيب للضعيف حقه وأمسك كل المتشردين الصايعين اللي بيشموا الكلّة وياخدوا البرشام".
- شاب ١٤ سنة: "أنا عايز أطلع بطاقة، وبعد كده أكون براحتي محدش يتكلم معايا ولا يحبسني".
- شابة ١٧ سنة: "نفسي أتطلق لأن جوزي بيضربني ويشتمني ويسيبني من غير أكل، لو أطلقت أحس أني حرة".

وهناك آراء مغايرة رغبة في الاستمرار في حياة الشارع بما فيها من فساد وضياع. وهذا يدل على التأقلم والانغماس في مجتمع الشارع حيث يمثل نواة الأرضية الخصبة لاستقطاب هؤلاء.

- شاب ١٦ سنة: "الشارع زي ما يكون فيه مغناطيس بيشد الواحد. محتاج أجيب فلوس كتير من أي حاجة حتى إنشاله يكون من السرقة".
- شابة ٢١ سنة: "بحب حياة الشارع، وأن اتجوز من غير أوراق وأطلع مصالح دعارة".
- شاب ١٩ سنة: "أتعودت على عيشة الشارع من المخدرات، وممارسة الجنس المثلية مقدرش أستغنى عنها".

تطلعات المستقبل

تطلعات وآمال الأطفال والشباب بالشارع لا تختلف كثيراً عما طلبوه كاحتياجات ومنها الحصول على فرص عمل تدر دخلاً من إتقان صنعة أو الاستقرار في السكن وإيجاد مأوى تحمي من "بهدلة" الشارع.

- ومنهم من يتطلع إلى ترويض النفس والتخلى عن تعاطى المخدرات والسرقة والممارسات الجنسية ومنهم من فى حاجة إلى السكن والاستقرار.
- ولكن كل ما قيل عن أن "نفسهم" أن يصلوا إلى هذا أو ذاك أو يعملوا هذا أو ذاك قد يدل على أحلام ولكن قطعاً لا يدل على أى رؤية مستقبلية لحياتهم وقد يكون نوعاً من الخيال. فهم قد دخلوا فى مجتمع يحقق لهم الكثير من رغباتهم.

الخلاصة

يمتد التباين بين أطفال وشباب الشارع إلى التباين حتى في رؤيتهم لذاتهم ومحيطهم الاجتماعى وفى احتياجاتهم الأساسية وكذلك فى تطلعاتهم للمستقبل.

وتتفاوت رؤي الأطفال بالشارع لذاتهم. فمنهم من هم راضون عن أنفسهم لقدرتهم على الكسب ومساندة أسرهم، أو لإحساسهم بقدراتهم على التعايش والبقاء بالشارع الذى يستلزم الذكاء والقوة والقدرة على التكيف، أو لقدرتهم على فرض السلطة على الآخرين، وكذلك منهم من يشعر بالإحباط النفسى لنظرة المجتمع الأساسى لهم أو لإحساسهم بالقلق على مستقبلهم، وعدم الرضا عما يتعرضون له من المعيشة بالشارع مع عدم وجود فرص بديلة لهم للمعيشة الصحية السالمة.

ومن نفس المنطلق تتباين الرؤية فى تقييم المحيط الاجتماعى. فالأم هى القلب الحنون الحامى للبعض والشخصية المغضوب عليها من آخرين. وكذلك الأب، فالبعض يستنكر أفعاله ويحتقره، والبعض الآخر وهم القلة ينظرون إلى الأب نظرة عطف وتفهم لظروفه، لذلك المشاعر نحو الأسرة تتضارب عند أطفال وشباب الشارع ما بين الرغبة فى الدفء الأسرى إلى الشعور بالضيق والمهانة مع الأسرة.

والاختلاف فى تقييم النفس والأسرة وأفرادها يمتد أيضاً إلى تقييم المجتمع بالشارع ما بين الإعجاب ببريق الحياة بالشارع، وبين صعوبة التواجد بالشارع، وكذلك يمتد التباين إلى الاحتياجات الأساسية التى يصعب الحصول عليها، فبعض الاحتياجات تتعلق بتواجد إطار أسرى وبعضها بالحصول على الدخل من أعمال مختلفة "شغل كويس" أو "صنعة كويسة"، وبعضها متعلق بالحاجة إلى أوراق رسمية للأهلية من شهادات ميلاد أو بطاقات شخصية أو رخصة قيادة.. إلخ. وبعضها مرتبط بالسلبية واللهو، أو بالمعالجة الصحية من الأمراض.

والأسلوب الأمثل لتحقيق مثل هذه الاحتياجات التى تعتبر فى نظر الأطفال والشباب آمالاً يصعب تحقيقها، مرتبط بالحصول على عمل مناسب سواء للطفل أو للوالدين، والحصول على المعاملة الحسنة من الأسرة للتمتع بحياة الاستقرار. ولكن يوجد من تأقلم وانغمس فى مجتمع الشارع بحيث لا يحتاج حالياً للتغيير.

أما التطلعات للمستقبل فأغلبها نوع من الأحلام بالنسبة لهم، على أمل الحصول على احتياجاتهم. وهذه الأحلام والآمال قد لا تدل على رؤية مستقبلية لحياتهم كما تدل على نوع من الخيال يساندهم فى تقبل البقاء فى أوضاعهم الحالية.

الفصل الخامس

تحليل وتفسير نتائج الدراسة

المقدمة

يعرض هذا الفصل تحليلاً وتفسيراً للنتائج الأساسية للدراسة كخطوة أولى نحو وضع التوصيات لطرق وأساليب التدخلات الفعالة. وسنعرض أولاً لبعض القضايا الأساسية الإجرائية والنظرية، ثم تحليل وتفسير نتائج الدراسة.

أولاً: المفاهيم النظرية

١ - متطلبات أطفال الشارع أمام متطلبات المجتمع

عند استخدام مصطلح "أطفال الشارع"، فأول ما يحضر إلى الخاطر هو الربط بين الشارع والأطفال، حيث إن مفهوماً كمفهوم "أطفال الشارع" يكون أكثر ملاءمة حين نود التحدث عن الأطفال الذين يقعون خارج إطار ما يعتبره المجتمع "طبيعياً" وعادياً. لأنه طالما يجول الأطفال أو يلعبون في الشارع أو يستخدمون الشارع فيما هو يعتبر استخداماً طبيعياً أو عادياً فلا ينظر إليهم كفئة خاصة، لأن الأطفال قد يستخدمون الحقول أو الحارات أو الحدائق العامة ولكن لا يوجد أي داعٍ لاستخدام تعبيرات مثل "أطفال الحدائق"، أو "أطفال الحواري". فالحاجة إلى استخدام اسم أو تحديد لفئة بعينها ينبع من الأوضاع التي تحيد عما هو مقبول بالنسبة للتقاليد الاجتماعية. لذلك بالنسبة لأطفال الشارع هناك شقان لهذا المسمى: الشق الأول ناتج من واقع أن الأوضاع التي يواجهونها غير مناسبة لهم وليست في مصلحتهم والشق الثاني ناتج من أن الوضع غير مناسب وليس من مصلحة ومتطلبات المجتمع العام.

ليس من مصلحة الأطفال أن يقضوا معظم أوقاتهم في الشارع لأنهم يتعرضون لمختلف أنواع المخاطر مثل التلوث البيئي والحوادث والاستغلال والمرض وسوء التغذية .. الخ، كما أنهم يعملون وأغلبهم يعيشون بدون مرافقة من أولياء أمورهم والمعروف والمعترف به في معظم الحضارات والثقافات أن الطفل يجب أن ينشأ مع أسرته أو على الأقل مع أحد والديه. وحتى لو انفصل الطفل عن أسرته فمن المفترض أن يظل تحت إشراف وحماية شخص بالغ مسئول أو مجموعة من البالغين. لذلك فمصطلح "طفل الشارع" يعبر عن مجموعة من الأطفال في ظروف خارج ما يعتبر مناسباً لهم مما يحتاج إلى تدخلات واتخاذ إجراءات نيابة عنهم.

إلا أن وجود أطفال الشارع يسبب أيضاً قلقاً لصالح ومصالح المجتمع ككل حيث أن استخدام الأطفال للشارع يختلف عما هو عادي ومألوف ومقبول. فبدلاً من استخدام الشارع كقناة يقوم الإنسان من خلالها بالتحرك حتى يتوجه من نقطة إلى أخرى فإن هؤلاء الأطفال يمكثون في الشارع للعمل والأكل والنوم والتجوال أيضاً، وكثيراً ما يصبح الشارع بيئتهم المعيشية. إن هذا النمط من استخدام الشارع يتناقض ليس فقط مع الأفكار الرئيسة الخاصة بالأوضاع المناسبة لنشأة الأطفال ولكنه أيضاً يتنافى مع الغرض الذي من أجله وجد الشارع أو الأماكن العامة الأخرى. كما أن الأطفال بالشارع عادة ما ينظر إليهم على أنهم منظر ووضع منفّر، وسلوكياتهم وممارساتهم خاصة ما يدّعى عليهم فيها عنف وعدوانية والاعتقاد أن كثيراً منهم يرتزقون بكافة الوسائل –بدءًا من السرقات الصغيرة ووصولاً إلى الاعتداءات البدنية– ينظر إليها على أنها خطر مهدد ويخشى منه على نزاهتهم وحياتهم الهادئة وأمنهم وأملاكهم. لذلك لا ينشأ القلق من أطفال الشارع بصفة خاصة لأنهم يعانون ويعيشون في خطر أو يعيشون على حافة الحياة فقط، بل لأنهم أيضاً يهددون الحياة الهادئة والآمنة والمستقرة والطبيعية للمجتمع. فسلوكياتهم في الشارع قد تبدو عدوانية على المستوى الفردي ولكن مجرد وجودهم في الأماكن المفتوحة الظاهرة للجميع خارج ما هو عادي يشكك في الأنماط الاجتماعية والثقافية المستقرة بالمجتمع.

وهذا بصفة أساسية ما يؤرق المجتمع. فأطفال الشارع يمثلون انحرافاً عن المقاييس المعترف بها وهم بالذات– وهذا أمر لا يمكن إغفاله– الذين يقفون في مواجهة آراء وحياة المجتمع ويؤثرون أو يهددون بالتأثير فيما يهم المجتمع الأصلي. وهذا يوضح حاجة المجتمع إلى تقنين مفهوم ظاهرة أطفال الشارع حتى يمكن تغيير الرأي العام حتى يتصدى لها.

وحديثاً تم إعادة صياغة مفهوم الطفولة. ووفقاً لاتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل فالأطفال مواطنون (ليمبر وفليكوي: ١٩٩٦). وقد ولي الزمن على مفهوم أن الأطفال مجرد كائنات غير ناضجة لهم احتياجات يوفرها أولياء الأمور أو من يحل محلهم من منطلق وازع الخير وأصبح المفهوم أن هؤلاء الأطفال بوصفهم مواطنين لهم الحق في الحصول على الموارد المطلوبة لحمايتهم والارتقاء بعمليات نموهم. إن أطفال الشارع محرومون من هذه الحقوق الأساسية والمعترف بها دولياً.

٢- أطفال الشارع وصعوبة التوصل إلى تعريف محدد

إن أطفال الشارع هي التسمية العامة التي تستخدم للإشارة إلى مجموعة من الأطفال لديهم علاقة خاصة بالشارع. وتكرار استخدام هذا المفهوم يوحي بأن مثل هؤلاء الأطفال يمثلون ظاهرة متجانسة واقعياً. وبالفعل فإن هؤلاء الأطفال يتشابهون في ملبسهم الرث المتسخ وفي رؤيتهم وهم يتسولون ويقومون بأعمال هامشية أو يهيمون فى الشوارع. ويبدو عليهم الهجر الذي قد يجعل من يراهم أن يصنفهم كأطفال الشارع. ولكن وبالرغم من أن هؤلاء الأطفال يشبهون بعضهم البعض إلا أن لهم سمات أسرية مختلفة وقصص وسير حياة مختلفة وآمال مختلفة. فكثير من دارسى الظاهرة أدركوا أن مصطلح أطفال الشارع في حد ذاته يعد مشكلة، فهو يعطي انطباعاً مشوهاً لأنه يوحي بافتراض أن هؤلاء الأطفال فئة واحدة وأنهم يعيشون في الشارع بنفس الأسلوب ولأسباب متشابهة. وهذا مخالف للواقع، لذلك قامت محاولات عديدة لتصنيف أطفال الشارع إلى فئات فرعية وتختلف فيما بينها في السمات الرئيسة، وكلها محاولات غير متناسقة.

ومن أكثر التعريفات المألوفة هي تصنيف أطفال الشارع إلى فئتين والفئة الأكبر حجماً هي فئة الأطفال الذين يعملون بالشارع "أطفال في الشارع" والذين غالباً ما يعملون في الشارع في أثناء النهار ويعودون إلى أسرهم في الليل. هؤلاء الأطفال قد يذهبون إلى المدارس بعض الوقت ولديهم فرص ضئيلة للحصول على الرعاية الصحية وخدمات اجتماعية أخرى. أما الفئة الثانية فتتكون من "أطفال من الشارع" وهم أطفال وشباب يعملون ويعيشون في الشارع ويحتفظون بروابط ضئيلة بأسرهم ولكنهم يعيشون في المقام الأول معتمدين على أنفسهم (اليونيسف: ١٩٨٦).

وبالرغم من أن الفئتين يشتركان في كلمة "الشارع" إلا أن "الشارع" يعد العنصر الذي يفرق بينهما. هذه التفرقة ناتجة من نوعية العلاقة القائمة بين الطفل والشارع وأيضاً بين الطفل وأسرته. فالأطفال الذين يعيشون في منازل أسرهم ويعملون في الشارع يختلفون عن الأطفال الذين يعيشون بالشارع بعيداً عن أسرهم مما يشير بصفة أساسية وضمنية إلى التفرقة بين "المنزل" و/أو "الأسرة" و "الشارع".

وهذا التعريف يصنف أطفال الشارع كأطفال معرضين للخطر. ويتم تقييم الخطر على بعدين أساسيين البعد الأول جسدي ويقاس بمدى استمرار الأطفال في الشارع، والثاني هو بعد اجتماعي يتعلق بدرجة الصلة مع الأسرة.

والقيمة الإجرائية للتعريف الذي يفرق بين الأطفال "في" الشارع والأطفال "من" الشارع لم تتسق مع نتائج أغلبية البحوث والتي تمت على هذه الظاهرة في الخمسة عشر عاماً الماضية (جلوز: ١٩٩٠، لوتشني: ١٩٩٦، كولر وهوتز: ١٩٩٦). فهذه النتائج وضحت أولاً أن وضع الكثير من الأطفال لا يمكن تصنيفه بسهولة داخل هذا التعريف. فعلى سبيل المثال يقضي بعض الأطفال الليل في الشارع لسهولة ذلك بالنسبة لعملهم للتقليل من المنافسة أو لفرص أفضل للعمل ليلاً. وبعض هؤلاء الأطفال يعملون طوال الليل في حين ينام البعض الآخر بضع ساعات حيثما استطاعوا ذلك. وبعض الأطفال يعودون إلى المنزل في الصباح للنوم لفترة قصيرة بينما يعود آخرون إلى منازلهم كل يومين أو ثلاثة ويقضون الليالي الأخرى مع الأطفال الذين لا يعودون إلى منازلهم بصفة منتظمة. كما يمكث البعض في الشارع في أثناء الأسبوع ثم يعودون إلى منازلهم في نهاية الأسبوع، في حين يحدث ذلك بصفة

عكسية لبعض الأطفال الآخرين. وهناك بعض الأطفال الذين يظلون في الشارع أثناء الليالي الدافئة في الصيف ولكنهم يميلون إلى العودة إلى منازلهم حين تصبح الليالي أكثر برودة. وبناء عليه فإن عدد الأطفال الذين يظلون بعيداً عن منازلهم في الليل وينامون في الشارع يزيد في فترة الصيف عنه في فترة الشتاء. وهذا التنوع الكبير في طرق استخدام الشارع يجعل من الصعوبة تحديد المنطلق الذي نصنف على أساسه الأطفال الذين "من" الشارع عن هؤلاء الذين "في" الشارع.

أما الصعوبة الإجرائية الثانية فيما يتعلق بالتعريف فهي مرتبطة بأن هناك العديد من هؤلاء الذين نعدهم من بين أطفال "من" الشارع لا يعيشون في الواقع بصفة مستمرة في الشارع كما هو مرجح. فقد يبقون بعض الأيام والأسابيع وأحياناً بعض الشهور بصفة متواصلة داخل كيانات مؤسسية قبل عودتهم إلى الشارع، ويعيشون مع أسرهم أو مع أقرباء مقربين لهم في محاولة لإعادة تحديد هويتهم، أو قد يعيشون مع آخرين يعتنون بهم بصفة مؤقتة بدافع الشفقة أو لدوافع أخرى. أما العنصر المشترك بينهم جميعاً فهو عودتهم إلى الشارع في النهاية.

أما الصعوبة الثالثة إجرائياً فتتعلق بدرجة الصلة بالأسرة التي لا تعتمد كثيراً على عدد المرات التي يحدث فيها هذا التواصل بين الطفل والأسرة بل بنوعية هذا التواصل. والحقيقة المرة لكثير من أطفال الشارع أن حياتهم في الشارع تعتبر أكثر سلامة جسدياً ونفسياً عما هي بالمنزل مع أسرهم.

لذلك اعتبر هذا التعريف تعريفاً لا ينطبق مع دلائل البحث العلمي حيث الغالبية العظمى من أطفال الشارع ليسوا بالضرورة بدون مأوى أسري أو مهجورين وأنه بالرغم من أن لدى معظمهم منازل وأسر يعودون إليها في فترات متقطعة إلا أن الأمر ينتهي بكثير منهم إلى العيش في الشارع (ابتكار: ١٩٩٠-١٩٩٤، لوتشيني: ١٩٩٣-١٩٩٦، تسييه: ١٩٩٥).

وإدراكاً لصعوبة التوصل إلى تعريف للأطفال "من" الشارع في مقابل أطفال "في" الشارع فقد تمت بعض محاولات للتوصل إلى تعريف يؤدي إلى تصنيف أطفال الشارع كأطفال يعملون سواء بشوارع المدن أو في مناطق أخرى- ويستخدم مصطلح "أطفال الشارع" للإشارة إلى العدد الأصغر من الأطفال والشباب المهجورين تماماً والذين أصبح شوارع المدن بيئتهم وموطنهم (اليونيسف: ١٩٨٩). ولكن حتى هذا التعريف لم يساعد على توضيح طبيعة هذه الظاهرة.

وأخيراً قامت الأمم المتحدة بصياغة تعريف لأطفال الشارع على أنهم "أي بنت أو ولد أصبح الشارع (في المفهوم العريض للكلمة بما يشمل المساكن غير المأهولة والأراضي الفضاء وغيرها) مسكنه/ مسكنها و/أو مصدر الرزق الأساسي، والذين لا تتوفر لهم الحماية المناسبة أو التوجيه من قبل بالغين مسئولين" (لاسك: ١٩٩٢، ص٢٩٤). وأصبح هذا التعريف شاملاً الفئات المختلفة من أطفال وشباب الذين أحياناً يعيشون في الشارع وأيضاً الأطفال الهاربين من أسرهم.

وتؤكد النتائج التي توصل إليها هذا البحث كما تم عرضه على صعوبة إيجاد تعريف دقيق وملائم لأطفال الشارع حسب معايير محددة متصلة بالبعدين الخاصين بالتواجد في الشارع وغياب الصلة بالأسرة. وكون الطفل طفل الشارع يعني وجود العديد من الأبعاد. فأي تحديد للأطفال الذين يتجولون في الشارع في القاهرة بأنها حالة "طفل الشارع" قد لا يكون دقيقاً. فما يسمى "بطفل الشارع" قد لا يكون بالضرورة فئة محددة اجتماعية ولا فئة متجانسة نفسياً أو اجتماعياً. ومع ذلك وبدون شك فإن بقاء الأطفال في الشارع على مدى فترات طويلة يعد معياراً مهماً يميز طفل الشارع عن الأطفال الآخرين. إلا أن ذلك غير كافٍ لتحديد أطفال الشارع كفئة اجتماعية بعينها وحتى التصنيف الثنائي لتعريف أطفال الشارع لا ينجح في الأخذ في الاعتبار بالعديد من العوامل التي وضحت من نتائج هذا البحث والذي يمكن أن يتم تقسيمها إلى ثلاث فئات من العوامل المختلفة.

وتشمل الفئة الأولى العوامل البيولوجية مثل السن والنوع الاجتماعي. حيث من الخطأ اعتبار أن هذه الظاهرة تنطبق فقط على الأطفال في حين أنها تنطبق على الأطفال والشباب في سن المراهقة والبالغين من الجنسين. ومن البديهي أنه يجب التفرقة بين مختلف المراحل السنية من جوانب عديدة، حيث إن الوضع الاجتماعي النفسي للشخص يختلف حسب عمره. فعلى سبيل

المثال الخطر المصاحب للعيش في الشارع يختلف بدون شك في درجته وحدته حسب السن. وتختلف الميزة النسبية وآليات البقاء على الحياة التي يملكها ويبرع فيها طفل الشارع عن تلك التي يملكها المراهقون من الشباب. فالتسول أو استجداء عطف الناس يسهل كلما كان السن أصغر، كما يختلف رد فعل أسرة الطفل ورؤيتها نحو الطفل الهارب حسب سنه. كذلك تختلف رؤية المجتمع نفسه للشخص بالشارع حسب سنه حيث ينظر إلى الأطفال على أنهم ضحايا في حين أن المراهقين والشباب يتم إدراجهم كأحداث منحرفين أو كمجرمين. حتى القانون يعتبر السن محدداً لأسلوب التعامل مع الشخص ذكراً كان أو أنثى حين يتم القبض عليهم من قبل الشرطة.

وفيما يتعلق بالنوع الاجتماعي وبالرغم من أن هناك اختلافات كبيرة بين أولاد الشارع وبنات الشارع إلا أن كثيراً ما يشار إليهم "بأطفال الشارع" بصفة عامة مما يخفي اختلاف الخطر الذي تتعرض له فتيات الشارع بصفة خاصة. وهنا يجدر الإشارة إلى أن ظاهرة فتيات الشارع كثيراً ما يتم ربطها بالدعارة مما يعكس الأفكار الاجتماعية المتحاملة على الإناث.

وتشتمل الفئة الثانية من العوامل على عوامل ذات صلة مباشرة بالأسرة من جهة تكوينها ونوعية الروابط الأسرية وظروفها الاقتصادية. فكثير من الأطفال الذين شملهم هذا البحث ينحدرون من أسر حيث ينجب الزوج أطفالاً ثم يطلق الزوجة ويتزوج بأخرى لديها أطفال من زوج آخر ثم تتزوج الأم من رجل لديه أطفال من زيجة أخرى، وعليه فإن الأطفال ينتمون إلى ثلاث أسر: الأسرة الأصلية البيولوجية وأسرة الأم من الزواج الثاني وأسرة الأب من الزواج الثاني. وعليه فإن أفراد هذه الأسرة الممتدة بالنسبة للطفل ليسوا أقرباء أو ينتمون إلى أصل واحد أو حتى إلى مجتمع محلي واحد. يضاف إلى ذلك التنافس بين الاخوة وخصوصاً غير الأشقاء والظروف الاقتصادية القاسية المختلفة والتي قد تؤدي إلى هروب الأطفال من المنزل.

وكثير من الأطفال الآخرين ينتمون إلى أسر ترعاها الأم حيث قد طلق الأب الأم وتزوج مرة ثانية أو يكون في السجن أو قد توفى أو اختفى من الأسرة، ولم تتزوج الأم مرة أخرى. وعادة ما يكون لديها العديد من الأطفال. وكثيراً ما تشجع الأم أطفالها على النزول إلى الشارع وترتب لهم ذلك للقيام بالتسول أو لقضاء أعمال هامشية لزيادة دخل الأسرة. وفي أوقات أخرى تنزل الأم نفسها إلى الشارع مصطحبة معها بعض أو كل أطفالها في محاولة يائسة لكسب الرزق. وحيث يتربى وينشأ الأطفال في الشارع فبالتدريج يستقلون عن والدتهم ويصبح الشارع بالنسبة لهم مكان عيشتهم الرئيسي حتى إذا استمروا في زيارة و/أو المساهمة ببعض الدخل إلى الأسرة.

وتشمل الفئة الثالثة عوامل تتصل مباشرة بالشارع من معرفة الطفل أو الشاب بأفراد يعرفون الشارع من قبل، إلى ظروف أدت إلى توصل الطفل للشارع، إلى الطقوس التي يتم على أساسها تدشين الطفل في ثقافة الشارع، إلى تغلغل الطفل في مجتمع الشارع، وما يمثله الشارع بالنسبة للطفل أو الشاب، إلى فرص البقاء على الحياة في الشارع، إلى تهديدات الشرطة، والعنف داخل المجموعات، إلى درجة الانتماء لثقافة الشارع.

كما أن هناك عوامل أخرى مؤثرة يتحتم ذكرها وهي درجة تحمل الطفل وقدرته على التكيف، ودرجة التغلغل في الاقتصاد غير الرسمي والهامشي، وأنماط التعايش والتنشئة في مجتمع الشارع، ومدى التدرج في بيئة الإجرام.

وكل هذه العوامل متعلقة بعضها ببعض مع احتمال الربط بينها في تركيبات متعددة. وهذه التركيبات وطبيعة العوامل التي تتضمنها تؤثر في سرعة أو بطء المسار في سلك أطفال الشارع.

٣- عرض مفهوم التنشئة الاجتماعية في الشارع بوصفه أسلوب حياة

مما سبق عرضه وضح أن المفاهيم والتصنيفات المتاحة لتفهم هوية طفل الشارع تفسر هذه الظاهرة تفسيراً مبسطاً ولا تعطي قيمة إجرائية كافية. وقد لا تفيد في وضع سياسات وبرامج تستهدف جدياً تحسين نوعية الحياة لأطفال الشارع. لذلك تعرض الدراسة مقترحاً لمفهوم جديد لأطفال الشارع.

- أولاً: يجب تقليل التركيز على الفئات أو التصنيفات لأطفال الشارع وزيادة التركيز على الأفراد الذين يؤثرون مباشرة بعنف على أسلوب حياتهم اليومية في محاولتهم البقاء على قيد الحياة.

وبذلك يكون المستهدف هو التعرف على المفارقات في المسارات الاجتماعية في طرق التكيف على الحياة التي توضح ما يمكن أن يسمى بالمساحة الاجتماعية للتعايش في الشارع. وهذا بالفعل يجذب الانتباه إلى أن موارد الشارع تعد واقعاً اجتماعياً فعلياً لا يمكن إغفاله أو إلغاؤه أو تهميشه.

- ثانياً: اعتبار الشارع بوصفه بعداً مكانياً يختلف في تعريفه حسب التفرقة بين ما هو عام وبين ما هو خاص. وفى مقابل التعريفات الغربية ذات التقسيمات الحادة بين ما هو عام وبين ما هو خاص فإننا نفرض أنه في مصر وغالباً في معظم الدول النامية أيضاً التقسيم بين العام والخاص أقل حدة بكثير. وعليه فإن الشارع ليس فقط مكاناً عاماً لسرعة المرور عليه وعبوره بل يعد بالنسبة لأطفال الشارع بصفة خاصة المكان الذي به الحياة، فهو مكان معيشتهم، والمكان المفضل لديهم. كما أنه البيئة الاجتماعية التي سيتم فيها تنشئة الطفل بدلاً من أو بالإضافة إلى الأسرة. وعليه فالشارع يمثل بالنسبة لطفل الشارع عنصراً أساسياً للنمو والتنشئة حيث يقيم الطفل علاقات ويقوم بعمليات التكيف الضرورية للبقاء ويبحث عن هويته في نطاق الآخرين في بيئة الشارع ومجتمعه.

إذ لو أكدنا على أن الشارع هو بيئة للتنشئة الاجتماعية لأطفال وشباب الشارع، فإن السؤال الذي يجب أن نطرحه هو كيف يمكننا تفهم مفهوم تنشئة الشارع؟

في علم الاجتماع التقليدي يشار فيه إلى التنشئة على أنها عملية تفاعلية يتم فيها نقل وتعلم طرق مقبولة للسلوك والتفهم والشعور. وينظر إلى هذه العملية على أنها تأخذ حيزاً جوهرياً في حياة الأطفال. ويقوم علماء الاجتماع بتحليل التنشئة على أنها إشارة ودليل مهم للتعرف على كيفية بناء الأطفال هويتهم وتفسيراتهم لما حولهم وللعلاقات الاجتماعية. إلا أن عمليات التنشئة في كيانات غير رسمية لم تحظ بنفس الاهتمام، كما أن التنشئة التي لا تتماشى مع القيم الجديرة بالاحترام قد أحيلت إلى علم اجتماع الأحداث المنحرفين الذي يختصر الانحراف على أنه نتاج للتفكك المجتمعي، والابتعاد عن القيم المجتمعية أو الروابط الاجتماعية. وتصور معظم المناقشات عن أطفال الشارع بوجه خاص على أنهم أطفال لم يحسن تنشئتهم ومتشردون خطرون يهيمون على وجوههم وخارجون على المجتمع ولا يرتبطون به.

أما في علم الاجتماع الحديث فإن الانحراف والقواعد المبهمة والاختلافات في الأدوار والصراعات كلها جزء لا يتجزأ من حياة الأطفال تماماً مثل الاستقرار والالتزام والتوافق. وذلك يعني الاعتراف بطبيعة عمليات تنشئة غير سوية تؤدي إلى مسلك معين كمفهوم يشمل نمو الهوية على أساس سلسلة من الخبرات الذاتية وخبرات الآخرين. (جوفمان: ١٩٥٩، ليمرت: ١٩٧٢، فيزانو: ١٩٩٠).

وعليه فيمكن دراسة حياة الشارع كنوع خاص من التنشئة المنحرفة باستخدام مفهوم المسلك المعين الذي يشير في المقام الأول إلى تعاقب سلسلة من الخبرات والتغيرات في الهوية، يتحرك في إطارها الفاعلون الاجتماعيون. ومن خلال التركيز على هؤلاء الصغار الذين يعتبرون منحرفين، وكيفية قيامهم بحل المشكلات، وتعميق هويات الشارع، والعلاقات والآفاق التي توفر لهم الشرعية، فإنه يمكن التعرف على النظام الاجتماعي لتنشئة الشارع.

وبناء عليه فإن مسلك أطفال الشارع يمكن أن ينظر إليه على أنه مكون من مراحل يشمل مرحلة بدء التعرض للشارع ومرحلة القدرة على البقاء أو التمكن من الحياة بالشارع ومرحلة قطع التواصل وإنهائه والتحول إلى مسلك آخر.

ثانياً: تحليل وتفسير النتائج الرئيسة

١- التنوع والاختلافات في ظاهرة أطفال الشارع

تشير هذه الدراسة بصفة واضحة إلى أن مصطلح شاب الشارع أو طفل الشارع هو مصطلح مبسط يعرض بأسلوب مضلل ويخفي وراءه تنوعات ضخمة في خبرات الشباب الذين يشتركون في الظروف التي تجعلهم خارج الإطار المألوف في بيئة ومجتمع الشارع، والذين يقضون أكبر قدر من حياتهم خارج نطاق المجالات التي تعتبر مناسبة للأطفال نمطياً مثل المنزل والمدرسة والأماكن الترفيهية.

وبالفعل فإن الظاهرة التي يشار إليها عامة بأطفال الشارع لا تمثل بصفة عامة مجموعة متجانسة من الأطفال ذوي المشكلات الذين يتسمون بسمات جوهرية متشابهة بل إنهم صغار يندرجون تحت تسمية أطفال الشارع ويمثلون تنوعاً كبيراً. ويتراوح السن من حديثي الولادة إلى ١٨ عاماً للجنسين الذين كثيراً ما يختلطون بالبالغين من الشباب. وبعضهم يزج به إلى الشارع من قبل أولياء أمورهم للمساعدة على دخل الأسر، في حين يعمل البعض الآخر مع أولياء أمورهم في الشارع، والبعض الآخر كان الفقر المدقع لأسرهم عامل طرد قوي. وهناك البعض الآخر أيضاً الذين اتخذوا القرار الخطير لترك منازلهم بسبب معاملة أولياء الأمور لهم. يوجد الذين يقترفون جرائم صغيرة في حين يعمل آخرون بشرف لكسب الرزق في القطاع غير الرسمي المهمش. كما يوجد من تم هجرهم تماماً ومن ينامون ويعيشون طول الوقت تقريباً على الأرصفة ومن يقضون فترات مختلفة من وقتهم في الشارع، ومن قد تركوا المدرسة، ومن يتجهون إلى الشارع لكسب المال في أثناء فترة الإجازة الصيفية للمدارس. كما يوجد من ينحدر من أسرة ريفية فقيرة، ومن قد ولدوا في المدن ويعيشون فيها. بعضهم ثابت في مكان واحد تقريباً لا يتحرك منه سوى في القليل النادر، ولديه فكرة باهتة عن العالم الكبير، في حين يتجول ويرتحل الآخرون إلى مسافات بعيدة للغاية وقد يتعرفون على مختلف المدن. وهناك الأفراد الأسوياء صحياً وعقلياً يختلطون مع آخرين لديهم مختلف أنواع الإعاقة.

باختلاف شخصية الأفراد وسماتهم البدنية ونوعهم الاجتماعي وخلفيتهم الثقافية، يزيد تنوع الصورة أكثر. ففي حين أن المعروف عن السمات المشتركة لهذه الفئة من الصغار قليل للغاية يصبح مهما التعرف على هذا الاختلاف والتنوع لتجنب مدخلاً يعرف أطفال الشارع في حد ذاتهم بوصفهم مشكلات. لأن هذا التنوع يتطلب بذل الجهد المطلوب للتعرف عليه. ومثل العديد من المشكلات المتعلقة بالتهمش فما يرى قد لا يمثل الواقع الفعلي. وفي قضية مثل قضية أطفال الشارع يجب أن يتم التعمق في كافة النواحي، والتغاضي عن التحليل السطحي لمجرد الأرقام والإحصاءات، حتى يمكن التوصل إلى تفهم لما يحدث في حياة أطفال وشباب الشارع وفي بيئتهم.

ومع التأكيد على التنوعات في ظاهرة أطفال الشارع إلا أن حياة التشرد والحياة بالشارع لها سمات مهمة. أولاً أن حياة الشارع تكشف للعامة الضعف البشري. فيصبح فقر البشر مرئياً، ولا يوجد مفر من مواجهته وبالنسبة للناظر من الخارج والضحية سواء. ثانياً إن القدرة على البقاء في الشارع تتطلب بالضرورة الاستغناء عن النظرة المستقبلية والتركيز على البقاء الحالي لحظة بلحظة، لأن من يتعايش مع نفس هذه الظروف لا يمكنه تقسيم وترتيب الوقت أو حتى يتاح له التفكير في المستقبل، ولا نقول التخطيط للمستقبل، لأن ذلك يعد نوعاً من الرفاهية غير المعروفة لديهم. ثالثاً تتطلب حياة الشارع التخلي عن حقوق الفرد الشخصية والحق في المساحة الشخصية والخصوصية. رابعاً التشكك في دوام العلاقات الشخصية والاجتماعية سمة من سمات الحياة في الشارع وبذلك لا تتواجد فكرة الحفاظ على المؤسسات أو حمايتها. خامساً إن تعدد أوجه آليات البقاء على الحياة في الشارع والقدرة على التعايش بأقل موارد ممكنة، لا يقلل أثر الظروف الخطرة والمؤلمة التي يواجهونها على نموهم النفسي والاجتماعي.

من الواضح أن هناك مشكلات في حياة الشارع خاصة بالنسبة لأطفال الشارع. فعدم القدرة على التحصل على احتياجاتهم الأساسية يدفع كثيراً من الأطفال إلى اللجوء إلى طرق للبقاء مثل الدعارة والتسول والسرقة وبيع المخدرات وأنشطة غير مشروعة أخرى. وهذا بلا شك يؤدي إلى تعرضهم للمساءلة القانونية وسوء الاستغلال وسوء التغذية وعدم السلامة الصحية والفراغ الاجتماعي.

٢- ظاهرة أطفال الشارع كجزء لا يتجزأ من ظاهرة مجتمعات الشارع

في غياب تحسس واضح لظاهرة أطفال الشارع، هناك افتراضات بأن الأطفال بالشارع يعيشون في ظروف حياتية فوضوية إلى حد كبير وخطرة، ولا حول لهم ولا قوة فيها. في حين أن الحقيقة هي أن أطفال الشارع معرضون لمخاطر وسوء استغلال بالفعل، إلا أنه وضح من هذه الدراسة أن أطفال الشارع أغلبهم لا يعيشون في الشارع كأفراد قائمين بذواتهم بل يرتبطون معظم الوقت بأطفال وشباب وبالغين آخرين من الجنسين ويكونون جماعات لها تنظيماتها وعلاقاتها وأطلق عليها مفهوم "مجتمعات الشارع".

وهذا يدل على أن أي تفهم للظاهرة التي أطلق عليها "أطفال الشارع" لن يكون كاملاً إلا إذا تم فهمها من خلال تفهم طبيعة ديناميكيات العلاقات القائمة في مجتمعات الشارع.

وبناءً عليه فإن العمل بالشارع لم يستهدف فقط الأطفال بل أيضا ما يحوطهم من بيئة اجتماعية. والثقة المتبادلة وعلاقات الاحترام التي نشأت مع الأطفال والشباب والقيادات الطبيعية في مختلف بيئات الشارع في أثناء إجراء البحث قد أدت إلى التعرف على هذه الكيانات ككيانات ثقافية لا يمكن تجريدها إلى مفهوم دال على أنهم ضد المجتمع وضد الإنتاج وغير أخلاقيين. وهكذا أدركنا أن الفهم الحقيقي لواقع أطفال الشارع يتطلب رؤيتهم داخل سياق بيئات الشارع التي يعيشون فيها كعناصر اجتماعية فاعلة وقادرة على التكيف والحياة في ظروف تعد بالنسبة للغالبية العظمى من المجتمع ظروفاً غير محتملة. وهذا التصور لا يتعارض مع الحقيقة الواقعية أن هؤلاء الأطفال معرضون للخطر والاستغلال وأنهم محرومون من الكثير من حقوقهم الأساسية المقررة بصفة عامة كحقوق الطفل.

ومع زيادة تعمق فهمنا وتحليلنا لديناميكيات بيئات الشارع زاد الإدراك بحقيقة أن القدرة على البقاء في الشارع تحتم الانضمام إلى شكل من أشكال العلاقات الأبوية/الأسرية التي قد تكون قوية، بالرغم من كونها غير رسمية، وذلك للمساعدة على التكيف والبقاء. كما زاد الإدراك بأن في سياق التكيف ببيئات الشارع يتعلم الأطفال من خلال عمليات تنشئة منحرفة. إن عمليات التنشئة في الشارع من أنماط وقواعد السلوك والتنظيمات في بيئات الشارع التي تم ملاحظتها دلت على أن الحياة بالشارع والتواجد لا يمكن أن يفهم إلا من داخل إطار مفهوم مجتمع الشارع.

٣- ما يعنيه الشارع كمساحة تتواجد به مجتمعات الشارع

يشير مفهوم مجتمعات الشارع إلى التجمعات الاجتماعية المكونة من الأطفال والشباب بالإضافة إلى بعض البالغين من الجنسين الذين أصبح الشارع بالنسبة لهم موطنهم الرئيسي. وهذا الموطن ليس مجرد أي شارع، بل هي الشوارع الواقعة في الأماكن التي تتمركز فيها الأنشطة الاقتصادية، فيتواجدون ويحتلون مساحات في الأسواق الرئيسة ومناطق اللهو والملاهي الليلية وفي المناطق التجارية وفي المحطات الرئيسة كمداخل للمدن. أي يتواجدون حيث هناك أكبر تجمعات من البشر والأنشطة، أي المناطق التي يكون نشاط حياة المدينة فيها في قمته. ويمارسون العمل والإنتاج والترفيه والاستهلاك في نطاق الحرية والضرورة المتوفرة داخل الحيز المكاني الذي هو الشارع.

ومن خلال التواجد في هذا المكان العام أي الشارع غير المخصص للوظائف الاجتماعية التي تسد الاحتياجات الأساسية للبشر ينظر إلى أطفال وشباب الشارع كوضع ضار بالمجتمع، وعليه فتتخذ ضدهم إجراءات قمع وعنف. وتتمثل القضية الأساسية في أن هذه المجموعة من الشباب والأطفال يخلقون نمطاً جديداً من استخدام للمساحة والوقت ويخلقون قواعد جديدة للعلاقات الاجتماعية والأخذ والعطاء بالإضافة أيضاً إلى اختلاف أشكالهم وعلاقاتهم بالبيئة المحيطة. إن هذا الشكل الجديد من التنشئة الاجتماعية يتسم بغياب المراقبة والتفاعل الإيجابي مع عالم البالغين. وتخلق التنشئة في الشارع فجوة بين الحياة التي يمارسها الشباب والأطفال ومعتقداتهم وبين ما يدعى المجتمع الأصلي العام أنه يوفره للطفل.

ويحتوي الشارع ليس فقط على الأماكن والمساحات ولكنه يحتوي أيضاً على مساحات فكرية وشخصية واجتماعية وثقافية. وفي إطار هذا المفهوم يعد الشارع بدون شك مكاناً لمختلف أنواع التعبير الاجتماعي الثقافي. وسكان الشارع يمثلون عالماً قد انفصل عن المجتمع، ويعيش خارج القواعد الاجتماعية المسموح بها. والشارع هو المساحة التي يتواجد فيها الخارجون على نظام المجتمع والهاربون والمتعطلون والمشردون والمنحرفون والخارجون على القانون والمدمنون، يتشاركون في حياة هامشية بالنسبة للمجتمع الأصلي. وتواجدهم في الشارع يمثل حافة التواجد الإنساني. وبالرغم من ذلك فهم يجعلون الشارع موطنهم ومدرستهم ومكان عملهم ولهوهم وثقافتهم. ففي الشارع يتعايشون مع مخاوفهم وقلقهم وتمردهم بالإضافة أيضاً إلى صداقاتهم ومعاركهم ومشاعرهم وحبهم.

ولذلك فإن الشارع لا يمثل ما هو معتقد بأنه فراغ مساحي، ولا أنه مكان ومساحة دمار ولعنة أبدية. نتائج هذا البحث وضحت أن الشارع هو مساحة للتنشئة، ومجال للمغامرة والمتعة والاختلاف والتجديد

والتجريب، كما هو مساحة للتضامن والتواصل مع الزملاء والأقران، ومكان للهروب حيث يستطيع الفرد ممارسة بعض التحكم فى ذاته وفى المحيطين به. كما أنه أيضاً مكان تستوجب الحياة والبقاء فيه إلى سلسلة لا تنتهي من التفاوضات مع مختلف مراكز القوى.

٤- عملية تنشئة الشاردين

في الكيان الرئيسي للمجتمع تعد عناصر التنشئة هي مؤسسات مثل الأسرة والمدرسة والجامع أو الكنيسة. أما في مجتمعات الشارع فإن عناصر التنشئة هي في معظم الأحيان الأقران أو أكبر الأطفال سناً. وفي الشارع نادراً ما يكون الطفل أو الشاب وحده، ففي معظم الأوقات يرتبطون ويصاحبون آخرين. وبينما ينشأ أطفال المجتمع الأصلي في بيئة آمنة محمية بالأسر حيث تتوفر كل احتياجاتهم الأساسية، ينشأ أطفال وشباب الشارع في ظروف تفرض عليهم متطلبات صارمة ومزمنة وملحة، فمطلوب منهم التكيف على ظروف غير محددة ومتغيرة وخطرة، مما تحتم تنمية مهارات مختلفة لزيادة فرصهم في التعايش معها، مهارات تساندهم في العلاقات وفي التفاوضات وفي إدارة الضغط العصبي، ومهارات تحقق لهم الأمان والترفيه وإدارة الوقت والتعامل مع سوء الاستغلال والعنف، في بيئة مملوءة بالمخاطر البدنية والأخلاقية والعاطفية.

الشارع كحل للمشكلات الشخصية

توضح هذه الجزئية المأساة التي تنشأ وتتطور وتجعل الأطفال والشباب يهربون ويبدءون في خلق علاقات في الشارع، ذلك من خلال تحليل الظروف التي جعلتهم ينفصلون عن المجتمع الأصلي، ويرون أنفسهم جزءاً من ثقافة الشارع. ونقطة الانطلاق هى الخبرات المبكرة والعوامل المؤثرة على اختيار هذه الأدوار. وبالنسبة للهارب، فالهروب إلى الشارع يعتبر حلاً للمشكلات الأسرية. وتعد عملية استعادة التاريخ وإعادة صياغته مهمة أساسية في البحث في تطور هذا المسلك لإعطاء فكرة متعمقة عن الخبرات التي سبقت النزول إلى الشارع.

هؤلاء الأطفال والشباب الهاربون من الخبرات التي سبقت نزولهم إلى الشارع، يوضحون ذلك من منطلق الظروف التي دفعتهم إلى التحرك إلى الخارج والتعرض للشارع. وقصصهم تحتوي على العناصر التي دفعتهم خارج المجتمع "المحترم"، والعناصر التي جذبتهم إلى ما بدا لهم كبدائل أكثر جاذبية متواجدة بالشارع.

وخلفية العوامل التي دفعت الأطفال إلى الشارع بمفردها لا تفسر الأوضاع الحالية ولكنها تعتبر مهمة جداً لإعطاء الطفل شرعية التواجد بالشارع، وإغفال ما يعتبره هؤلاء الصغار كعوامل مهمة دفعتهم إلى الشارع مهما كانت مشوهة بعض الشيء أو متحاملة، لن تساعد على فهم واقعهم، بل يجب أن تؤخذ في الحسبان لأن هذه القصص بالنسبة لهم تمثل الواقع. فما يقولونه ويؤمنون به أو يتخيلونه هو جزء لا يتجزأ من حياتهم الحقيقية لأنها تمثل إطار تفسيرهم لما هم فيه.

والأساليب اللغوية التي يستخدمها الأولاد والبنات لتقييم بدء حياتهم بالشارع يمثل تبريراً لذلك. ويعتبر أسلوباً مقبولاً اجتماعياً حيث قد يعترفون بأن ما يفعلونه غير سوي وخطأ ولكن في نفس الوقت لا تقع عليهم مسئولية ذلك. بل المسئولية واقعة على الظروف الصعبة التي مروا بها من الأم والأب أو زوجة الأب أو زوج الأم، لأن هذه الظروف هي السبب، والعنف الذي واجهوه يؤخذ بوصفه وساماً يدشن عضويتهم بالشارع، ودليلاً على أنهم قد وفوا ما عليهم بالتعرض لهذه الظروف، وبذلك قد اكتسبوا حق التواجد بعالم الشارع. فالانطباعات الإيجابية لحاضرهم تبنى على قصصهم عما تعرضوا له في الماضي.

يقدم هؤلاء الأطفال أنفسهم كضحايا لسوء الفهم والإهمال أو العنف ويلومون الأب الغائب أو المستغل أو العنيف. ومن خلال سرد قصة حياتهم، قليل من أشار إلى خبرات إيجابية في حياتهم مع أسرهم والتي عادة ما تسبق طلاق الوالدين وزواجهما مرة أخرى.

وبالإضافة إلى الأوضاع الأسرية التي تدفعهم إلى الشارع، فإن الأطفال والشباب الهاربين كثيراً ما يشيرون إلى البريق الذي يجذبهم إلى الشارع من أنشطة المتعة المحرمة التي تعطي الإحساس بالحرية وروح المغامرة وتدفعهم بعيداً عن خبراتهم السلبية والمملة مع الأسرة.

طبيعة حياة الشارع
وكيف يصبح الطفل طفل شارع ؟

يكتسب الأطفال إطاراً عاماً يدعم التكيف على الشارع، ويعطي الشرعية لاستراتيجيات البقاء به. والتفكير العملي سمة أساسية في تنشئة الشارع. وحديثو النزول إلى الشارع يستفيدون من الفرص في الشارع عن طريق توطيد صلتهم بالشارع. ويقوم المستجد منذ البداية بعمل صلات مع الآخرين الذين يساندونه في الانتقال من حياة المنزل إلى حياة الشارع. فمعلومات الصداقة والمعرفة تفيد المستجد كثيراً حيث المشاركة في معلومات عن أماكن الطعام، والأماكن الآمنة للنوم، وعن طرق الحماية من الشرطة، وفرص التعرف على آخرين. والمستجدون بخبراتهم المحدودة يسعون إلى التقرب من كثير من مجموعات الشارع التي تقبلهم مما يسرع من دخولهم إلى مجتمع الشارع. وهذه الروابط أساسية للتعلم ولتنمية مجموعة من مهارات البقاء والإصرار على الحياة في ظروف بالغة الصعوبة.

وأغلب أطفال وشباب الشارع لا يبدءون حياتهم في الشارع بدون معرفة ما ينتظرهم، بل تبدأ حياتهم بالشارع تدريجياً بجمع المعلومات والمحاولات. ومن خلال هذه الخبرات المحدودة أو الرحلات الاستكشافية و/أو المعلومات التي يعرفونها من أحد الجيران الأصدقاء أو من أحد الأخوة الكبار، يكتسبون انطباعات إيجابية واعده عن الحياة في الشارع كبديل لبيئاتهم الصعبة. وعليه فإنهم يتركون المنزل بأسلوب محسوب ويمكثون بداية ليلة أو ليلتين ثم بالتدريج يقضون وقتاً أكثر بعيداً عن المنزل. وبمرور الوقت يطول الوقت الذي يمضونه في الشارع، إلا أنه نادراً ما يقطعون صلاتهم بأسرهم.

والقصص التي يرويها الأطفال عن خبراتهم الأولى في الشارع لا تتعرض للمصاعب بل يهربون من المتاعب والصعوبات التي يواجهونها صغاراً هاربين لأول مرة، وكثيراً ما يتغاضون عن الشارع بوصفه مشكلة في حد ذاته ويغفلونها، علما بأن خبراتهم المحدودة وقلة معلوماتهم أو معرفتهم بأساليب البقاء في الشارع قطعاً تعرضهم لصعوبات جمة عندما يحاولون التكيف مع بيئة الشارع.

ولكن سرعان ما يرتبطون بأطفال أو شباب أو بالغين أكثر تمكنا من الحياة في الشارع ومستعدين لتقديم العون لهم. وكما أن الشارع في نظر هؤلاء الأطفال هو الحل لمشكلات الأسرة فإن العلاقات مع الآخرين هي الحل لزيادة القدرة على البقاء في الشارع للمستجدين.

علاقات الشارع والتحول في الهوية

يتعرض الطفل حديث الدخول إلى الشارع لمفعول التنشئة في إطار علاقات الشارع. وبالتركيز على هذه التفاعلات يمكن تفهم كيف يصبح الطفل أو الشاب من أطفال وشباب الشارع. فالتوصل إلى ذلك يعد إنجازاً جماعياً ينشأ نتيجة لمختلف العلاقات الاجتماعية التي ينميها المستجدون في الشارع. وكشكل من أشكال إعادة التنشئة حتى يصبح الطفل طفل الشارع فذلك يتطلب من الطفل أن يجند نفسه وفي نفس الوقت يتم اجتذابه من قبل آخرين. لأن الشارع له محدداته وقيوده ولكن به أيضاً فرص البقاء التي يتعلمها الطفل الحديث بالشارع من هذه العلاقات والتفاعلات.

يسعى حديثو العهد بالشارع بصفة عامة لخلق علاقات تمنحهم فرصة حل بعض مشكلاتهم المرتبطة بكونهم عابرى سبيل وبمفردهم في الشارع. ومن خلال التردد على مختلف أماكن التردد المألوفة في الشارع يقومون بعمل صلات ويجتذبون انتباه أطفال الشارع الأكثر صلابة وخبرة. ومن خلال التحرك بين الأماكن المختلفة تزداد المعرفة والألفة بمختلف الأنشطة التي تدر دخلاً مثل التسول وغسل السيارات والممارسات الجنسية نظير المال. كما يتعرفون على مجموعة كبيرة من أنشطة اللهو في أوقات الفراغ بما فيها شم الكلَّة وتعاطي المخدرات ولعب القمار والسفر ومشاهدة فيديو الكاراتيه، والتردد على المسارح ودور السينما وممارسات الجنس وحفلات الشارع وغيرها. ومن هذا التعرض يتم تكشف الهوية الجديدة ومدى القبول لدى الآخرين. وتنطوي هذه المرحلة المبكرة على عملية تعلم ما هو مطلوب منه أو منها خاصة فيما يتعلق بالسذاجة والخضوع.

وفي سياق تفاعلاتهم يتعلمون لغة الشارع واصطلاحاته ويصغون جيداً إلى القصص الخيالية عن النجاحات والصراعات التي يحكيها أكثر الأطفال تعمقاً في حياة الشارع. ونتيجة لظروفهم المشتركة يتعلق

أطفال الشارع بعضهم ببعض وتنشأ الروابط. ويحصل المستجدون على معلومات عن أمكنة المبيت والطعام وتحسس تحركات الشرطة. والمتعة اليسيرة في كونهم بصفة عامة زملاء ورفقاء كافية أن تربطهم بعضهم ببعض.

وعليه فيدخل حديثو العهد بالشارع تدريجياً في شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة إلا أن هناك عدة سمات مهمة لعملية التنشئة تساعد كثيراً على فهم نظام الصبية. فمن خلال قضاء ساعات عديدة في تقييم الأطفال المستجدين في الشارع واختبار مدى وفائهم وتحديد مستويات سذاجتهم يعين أطفال الشارع المخضرمون أنفسهم رعاة لهم. وإذا تم تقبل الطفل يعرفه الطفل المخضرم بالشارع إلى الآخرين ويتحدث في صالحه مع أصدقائه ويصبح مصدر معلوماته عن الأوضاع العامة والظروف الخطرة.

ويجد المستجدون أنفسهم قد اشتبكوا في علاقات الأخذ والعطاء لتسهيل التعلم والتلمذة. فالطفل حديث العهد بالشارع يحتاج إلى المال والصداقة والمتعة. ومن يكفله ويرعاه يطمع نظير ذلك في خدمات مختلفة مثل القيام بخدمات قد تكون غير مرغوب فيها بما في ذلك العمل كمرسال لقضاء بعض الحاجات أو القيام بأنشطة تشتت الانتباه في حين يقوم الآخرون بالسرقة في السوق، أو حمل المخدرات لأكبر الأطفال سناً أو العمل ناضرجياً لتقليل فرص القبض عليهم. كما أن الأطفال المستجدين بالشارع يمثلون مصادر دخل لمن يرعاهم ويكفلهم لأن ما يحصل عليه الطفل من المال إما يسلم إلى الكفيل أو على الأقل يتشاركون معاً في الطعام والمخدرات. فتلمذة الصبية تحمي أمال الكفيل والراعي من منافسة الآخرين.

أما بالنسبة لحديثي الدخول إلى الشارع فالمصلحة الشخصية هي التي تحركهم، فعادة ما يصلون إلى الشارع في حالة من التخبط النفسي. فمن ناحية يفرحون باستقلالهم الذي نالوه وبمتعة التحرك بصفة عامة داخل بيئات الشارع. إلا أنهم يعانون عادة من هوية مهمشة ونقص في الثقة الضرورية بالبقاء في الشارع. ولذلك تصبح مثل هذه العلاقات وسيلة للوفاق مع مثل هذه المعضلات لأنهم يتحمسون لتعلم طرق البقاء مع المتعة والإثارة .

والنتائج الإيجابية لمثل هذه العلاقات لا تقتصر فقط على كسب المال وضمان تعلم أوضاع الشارع بل تتضمن خلق روابط صداقة ومشاعر وعواطف. فبمجرد وجود مواقف صعبة يتم التغلب عليها يركز الأفراد على الجوانب العاطفية التى تتوفر فى الشارع مثل الصداقة والمعاشرة والمتعة، وكذلك مودة العلاقات الجنسية التى كثيراً ما تنشأ بين حديثى الدخول بالشارع ومن يرعونهم.

ويقدم الشارع لهم فرصة هوية ذاتية وجماعية جديدة من مرجعية وقيمة. وتتطلب الهوية الجديدة مجموعة من الصفات المناسبة من منظور الشارع لها قيمها وقواعد سلوكها يتعظم فيها الاستقلالية والاستعراض وأخذ الحياة كألعوبة.

وتعلم البقاء فى الشارع يستوجب منهم أن يكونوا أذكياء فى تعاملهم مع الشارع فيتعلمون كيفية اغتنام الفرص بالشارع، وحب الاستطلاع عما يجرى فيه، وكثيراً ما يتدخل العمل مع الترفيه ويأخذ الحصول على المال كعائد إيجابى قوى تبريراً للاستمرار فى نفس الممارسات. والمال السريع يحظى بأهمية كبيرة، لأنه يرتبط بتوفير القدرة على الاستمتاع بالولائم وتعاطى المخدرات والرفاهية وكلها تؤدى إلى تعظيم أنماط الصداقات والهيبة والاحترام.

وتعلم ذكاء الشارع يتطلب الصرامة والمعلمة والقيام بأعمال بدنية بأسلوب متمرس فى الظروف الخطرة لا تتدخل فيه المشاعر، والعنف من صفات المعلمة وتقنياتها وهو سلوك له شرعية لحل المنازعات فى الشارع. والجروح الناتجة من العنف والتشويه الذاتى تعتبر من علامات القوة والصرامة، إلا أن العنف بعضهم مع بعض لا يقلل من مخاوفهم من القبض عليهم من قبل الشرطة وتحمل عنفهم.

بالإضافة إلى هذه المعلمة فحديثو العهد بالشارع يشجعون على التركيز على الحاضر فسرعان ما يتعلمون تركيز طاقاتهم وانتباههم للأمور الملحة والمباشرة للبقاء بصفة يومية مثل الحصول على طعام، التعرف على مكان آمن للنوم، الابتعاد عن الشرطة، وعليهم توجيه مسار حياتهم فى الشارع نحو الوفاء بالاحتياجات المباشرة الملحة فى الوقت الحاضر. وهذا المدخل للتواجد يعتبر استراتيجية واقعية للتصدى للمستقبل الغامض والأخطار المتوقعة مثل سرقة النقود منهم إذا عرف بحصولهم على هذا المال.

ومن صفات التواجد بالشارع التى يتعلمها حديثو العهد بالشارع هى أخذ الحياة كألعوبة. فاللهو والتمتع يجعل تعلم المهارات أكثر إثارة ومتعة ويساعد على دعم علاقة حديثى التواجد بالشارع مع الأكثر تمكناً من حياة الشارع من الشباب. والتوجه إلى البقاء بالشارع من منظور اللهو واللعب يساعد على حماية الهوية الشخصية من الانهيار فيستخدم أسلوب الألاعيب للدفاع عن الذات ضد آخرين قد يلحقون به الأذى وذلك بالخداع والتمثيل. وعلى سبيل المثال يتعلم حديثو العهد بالشارع مهارات الألاعيب وتقديم أنفسهم كضحايا يقوم البالغون بسوء استغلالهم.

وبصفة عامة فإن البقاء فى الشارع هو مصطلح شامل لمختلف أنشطة الشارع. فمن خلال القدرة على المخادعة وسرعة تقييم الأمور بمهارة، والتكيف بالمغامرة على الظروف المتغيرة تزيد فرصة أطفال الشارع فى البقاء فى أثناء محاولاتهم الحصول على المال خارج ما يقبله المجتمع أو يشرعه. والممارسات التى تدر الدخل الذى يسعون إليه تعتبر خليطاً بين العمل واللهو مثل التسول وغسل السيارات والسرقة والدعارة وغيرها، دون تخصص فى العمل. لذلك فالتنشئة فى الشارع تعلم حديثى الدخول إلى الشارع مجموعة من الممارسات المختلفة.

وفى ثقافة الشارع كثيراً ما تكون القيم متناقضة، فكل قيمة لها مضادها. فتضامن المجموعة لا يمنع أهمية المصلحة الذاتية، وقوة الاحتمال قيمة ولكن فى نفس الوقت هذا لا يمنع التبليغ عن صديق كمخرج لتجنب المشكلات، وإشراك الآخرين فيما يملكه الفرد قيمة ولكن لا تمنعه من الأنانية فى الممارسات، وتبادل المشاعر والعواطف العميقة ليست بديلاً للعنف الشديد.

بعض السمات الخاصة بالتنشئة بالشارع

غياب آليات التحكم والرقابة الاجتماعية بمؤسساتها المشروعة على حياة الشارع تساعد على زيادة الممارسات الجنسية وتعاطى المخدرات واللجوء للعنف داخل المجموعة.

فسيادة الممارسات الجنسية يمكن أن تفسر بالمرحلة السنية لأطفال وشباب الشارع فى سن المراهقة وبداية نهايتها. وحب الاستطلاع الجنسى والحاجة إلى اللهو يعتبر أمراً طبيعياً مع غياب الرقابة الاجتماعية، مما يعطيهم حرية التجربة واللهو بمثل هذه الممارسات التي تشمل ممارسة الجنس مع الجنس الآخر أو مع نفس الجنس أو ممارسات جنسية أخرى. وكثيراً ما يختلط بهذه الأنواع من الممارسات مشاعر الحب والكراهية والصداقة، إلا أن قاعدة عدم الإباحة بمثل هذه الممارسات في مواجهة من هم من خارج الشارع تدل على أنهم يعرفون أن مثل هذه الممارسات يلعنها المجتمع الأصلي.

وكثيراً ما يتم التحرش الجنسي بالفتيات الصغيرات من قبل الفتيان الرجال الأكبر سناً وحتى مع استخدام العنف. وحتى تتجنب الفتيات الاغتصاب والتحرش وسوء الاستغلال يرتبطن بشباب يصبحون مع الوقت قوادين لهم.

أما ممارسة الجنس نظير المال فهو يسود بين النساء والرجال على حد سواء. وتزيد نسبة الفتيات عن الفتيان اللائى يلجأن بصفة مستمرة للدعارة كنشاط مدر للدخل. ويبدو أن ممارسة الفتيات الجنس بغير مقابل مادي يرتبط كثيراً بنظرة ضيقة للذات كأنثى تمكنها أن تكتسب وضعاً وقوة من خلال إغواء الرجال.

كما يتضح أن أنماط العنف والعدوانية عادة ما توجه داخلياً إلى الزملاء وإلى الذات. فنادراً ما يعتدي أطفال وشباب الشارع على المارة، إلا أنه قد يتحرشون بهم أو يضايقونهم. والدخول في معارك جماعية يكاد لا يصل إلى حد القتل. والتسبب في جرح في الوجه بما يسمونه "بشلة" يظل علامة تميز إلى الأبد كما أنها أيضاً طريقة للتعرف على الزملاء وعلى الآخرين من مجتمع الشارع. وروايات كيفية حدوث مثل هذه الجروح تعتبر كشفاً عن الذات، حتى تشويه الذات عن طريق استخدام الأمواس يعتبر أمراً مألوفاً.

أكثر الممارسات شيوعاً في حياة الشارع هي شم الكلَّة ويأتي في المرتبة الثانية ابتلاع الأقراص التي تسبب بعض الهلوسة. ولا ينتظر حديثو التواجد بالشارع كثيراً قبل الدخول في تعاطي المخدرات والممارسات الجنسية.

٥- الصحة البدنية والنفسية

من ضمن القضايا التي تحتل حيزا كبيراً في أي توجه لمساندة أطفال وشباب الشارع هي ما يتعلق بالصحة البدنية نظراً لتعرضهم للأمراض وحوادث الطرق والعنف والمخدرات وكذلك الضوضاء والتلوث والفساد المنتشر بالمناطق الحضرية التي يقطنونها. ومن الصعب رسم صورة لهؤلاء الأصاغر دون الوعي بكيفية تكيف عقولهم وأبدانهم بمثل هذه المحن والشدائد.

هناك كثير من العوامل المتداخلة التي تعرض مجموعة أطفال وشباب الشارع للمخاطر الصحية. وتشمل:

الصحة العامة

صعوبة الحصول على خدمات الرعاية الصحية العامة بما فيها سوء المعاملة ورفض منحهم هذه الخدمة بالمرة.

ظروف حياتية يومية خطيرة من مصادر غير آمنة ونادرة للمياه، بيئة شديدة التلوث، نقص فرص التعليم، وغير ذلك مما يعوق إلى حد كبير تعلم عادات وممارسات صحية يومية، مما ينتج عنها:

- انتشار المعتقدات الخاطئة والممارسات غير الصحية.
- تعاطي المخدرات وما إلى ذلك.
- معاملة عنيفة للبدن.

وبناء عليه فإن انتشار المشكلات الصحية منتظر وبعضها مشكلات متكررة وتشمل ما يلي:

- أمراض جلدية مثل الجرب وقمل الشعر والتينيا وغيرها.
- أمراض الجهاز التنفسي العلوي والسفلي.
- العدوى بالطفيليات مثل البلهارسيا وديزنتاريا أميبية وطفيليات أخرى.
- أمراض سوء التغذية مثل الأنيميا ونقص الفيتامينات.
- أشكال مختلفة من الجروح والأضرار البدنية مثل الجروح والحروق والكسور وغيرها.

تعاطي المخدرات:

يعد تعاطي المخدرات وخصوصاً شم الكلَّة من الممارسات اليومية المستمرة التي يمارسها أطفال وشباب الشارع الذين تعرفت عليهم الدراسة. فشم الكلَّة يعرف بمخدر الفقراء وهو رخيص وسهل شراؤه ويعد إحدى السمات المميزة لحياة الشارع. وكثير من الشباب الذين يحاولون الإقلاع عنه يرجعون إليه بضغط من الرفقاء. ويقول متعاطو هذه المادة إنها تساعد على الإقلال من الألم المصاحب لنزلات البرد والجوع بالإضافة أيضاً لأثره المخدر. وترتبط عملية شم الكلَّة بالمخاطر الصحية المختلفة بدءًا من الأعراض الضئيلة مثل الصداع المتكرر في الصباح ونقص القدرة على التركيز وسيلان الأنف وفقدان الشهية ونقص الوزن والسعال وغيرها ووصولاً إلى المشكلات الصحية مثل الأنيميا والأمراض العصبية وإصابات المخ والكبد والفشل الكلوي والأمراض المزمنة للجهاز التنفسي والقلب. وقد يؤدي شم الكلَّة بكميات كبيرة إلى تسمم حاد وموت مفاجئ. كما لوحظ أيضاً أن العديد من الجروح التي يسببها الطفل أو الشاب لنفسه تحدث تحت تأثير المخدر.

تعاطي الأقراص

هناك مختلف أنواع الأقراص التي يتعاطاها الأطفال والشباب: وأكثرها انتشاراً أقراص الباركينول والكوميتال وغيرها من الأقراص التي تؤدي جميعها إلى الهلوسة. ولم يتم دراسة أثر تعاطي هذه الأنواع من الأقراص دراسة متعمقة في مصر، ويوجد احتياج ملح إلى التعمق في تفهم ما يتصف به تعاطي مثل هذه المواد المخدرة، وأمثل الطرق الفعالة للتدخل لإنقاذ المتعاطين.

الصحة الإنجابية

هناك العديد من قضايا الصحة الإنجابية والمشكلات التي تم التعرف عليها:

- حمل غير مرغوب فيه من قبل الفتيات المراهقات والشابات البالغات.
- ممارسات جنسية محفوفة بخطر العدوى.

- الجهل بوسائل الحماية من الحمل.
- الجهل بوسائل منع العدوى من الأمراض التناسلية وخصوصاً مرض نقص المناعة (الإيدز).

وهناك حالات شائكة بشكل خاص حين تود الفتيات المراهقات الاحتفاظ بالطفل بينما تكون جاهلة تماماً بما يتطلبه العناية بالطفل قبل وبعد الولادة، وكثيراً ما يواظبن على ممارسات ضارة وفي تعاطي المخدرات، وهذا بالإضافة إلى تغيب أو عدم تواجد أب شرعي لهذا الطفل مما يجعل تسجيل الأطفال حديثي الولادة صعباً مما يؤدي بالتالي إلى صعوبة حصولهم على الخدمات الطبية والصحية الأساسية مثل التطعيمات.

العنف

في حين أن أطفال وشباب الشارع نادراً ما يعتدون بالفعل على المارة والمشاة ولا ينتمون إلى شبكات الجريمة المنظمة إلا أن سلوكياتهم العنيفة تكون بين بعضهم بعضاً، وكثيراً ما تكون متجهة نحو الذات. وعليه فإن الجروح التي يسببونها لأنفسهم تتمثل في ١٥٪ من حالات الإصابة البدنية، أما الاعتداءات من قبل الزملاء فتمثل ٣٠٪.

ويتحتم دراسة وفهم العوامل النفسية للعنف النفسي وهي ظاهرة شائعة وغير مفهومة. كما يجدر أيضاً دراسة العنف المصاحب للاعتداء الجنسي واستغلال الأطفال جنسياً وممارسات أخرى مضرة.

ثالثاً: استنتاجات خاصة بالتدخلات

١- التحديات التي تواجه التدخلات مع أطفال الشارع

إن الصفة الأساسية التي توصف بها البرامج "ذات النية الحسنة فقط" هي الإصرار على اقتلاع الأطفال من الشارع بأسرع وسيلة تحت أي ظرف أو تكلفة. والأطفال الذين لا يتعاونون مع الأخصائيين لتسهيل عودتهم إلى أسرهم يوصفون بحالات ميئوس منها و/أو بالمنحرفين المزمنين أو بالمتشردين. وكثيراً ما يحرمون من الخدمات والرعاية. وكثير من الأطفال الذين يتعاونون ويعودون إلى أسرهم يبقون فترة قصيرة ثم يرجعون مرة أخرى إلى حياة الشارع. ويظل الأخصائيون متحيرين ومحبطين حين يواجهون بأسر غير متحمسة لعودة أطفالها الهاربين. وأن الكثير من الحالات التي ينجح الأخصائيون في إرجاع طفل إلى أسرته الأصلية هي الحالات التي لم تستطع التكيف مع حياة الشارع والتي كانت سترجع إلى الأسرة إن عاجلاً أم آجلاً. واستمرار الفشل المتكرر في تحقيق هدف إرجاع طفل إلى الأسرة وانتشاله من الشارع يحبط العاملين في هذا المجال.

وفي حين يعد إرجاع طفل إلى الأسرة هدفاً نبيلاً، إلا أن استخلاصات هذه الدراسة توضح أن الأطفال لا يصبحون في يوم وليلة من أطفال الشارع ولكن العملية تحدث على خطوات ومراحل مختلفة تنتهي بانضمامهم إلى حياة الشارع. وحتى يتركوا الشارع ويتركوا هذا المسلك من الحياة في الشارع يتطلب هذا تدخلات مختلفة.

إن الخروج المؤقت من حياة الشارع يعد سمة مشتركة بين الأطفال والمراهقين الهاربين بناء على قرارهم الشخصي ولمدة معينة من الوقت. لأن التواجد بالشارع لعدة أشهر بأنماط غذائية غير سليمة، وتعاطي المخدرات، والنوم على الأرصفة، وتدخين السجائر، وشم الكلَّة، والقلق والتشكك من هذا التواجد، تجعل الأطفال في حاجة من حين لآخر إلى نوع من الراحة من حياة الشارع. ويتراوح طول فترات الراحة هذه من بضعة أيام إلى أسابيع وفي بعض الأحيان تطول هذه المدة لتصل إلى شهر أو شهرين. وعادة ما تعكس فترات الراحة الطويلة التفكير في محاولة الانفصال عن حياة الشارع. إلا أنهم يعودون إلى الشارع إما لأنهم لم يستطيعوا التوصل إلى الإقلال من العوامل التي دفعتهم في المقام الأول إلى الهروب إلى الشارع أو لأنهم يجدون صعوبة في التخلي عن الصداقات الحميمة والتي تعتبر ثابتة إلى حد ما مع مجموعة أطفال الشارع. وكلما زادت الروابط مع بعضهم البعض كلما كان من الصعب التنازل عنها. وهذه الروابط لا تختفي بسرعة لو نظرنا إلى الاعتماد العاطفي الذي يميز العلاقات بين المجموعات.

والخروج من مسلك الحياة في الشارع نادراً ما يأتي كموقف مفاجئ، بل إنه عملية مركبة تحتاج إلى سلسلة من عمليات التقييم والتكيف المستمرة. ففى أثناء هذه العمليات تأتي فترات الراحة خارج الشارع وتعد اختباراً لمدى تقبل البدائل. ويبدو أن هناك تفاعلاً بين العديد من المتغيرات التي تحدد وتؤثر على قرار الخروج من مسلك حياة الشارع مثل الرضا الذي تبعثه حياة الشارع وتكلفته، وطبيعة الروابط والعلاقات مع الأسرة الأصلية، والقدرات والمهارات المساندة على البقاء بالشارع، والقدرة على الاحتمال، والسن والنوع ودرجة التواجد مع مجموعات الشارع، ودرجة التداخل والقدرة على خلق علاقات مع آخرين من غير مجتمع الشارع، بالإضافة إلى العديد من المتغيرات الأخرى. أما الخروج والانفصال عن مسلك حياة الشارع فيتطلب تحولاً وإعادة صياغة للهوية وهذا صعب حدوثه إلا من خلال إعادة التنشئة. ومن الواضح أن مثل هذا التحول في الهوية يمكن حدوثه بدعم من آخرين مهمين في حياة الطفل أو الشاب. والشباب والشابات الذين يفكرون في الانفصال عن حياة الشارع يسعون إلى الحصول على مثل هذا الدعم من الذين يستطيعون مساندتهم وتسهيل عملية التحول لمفهومهم لذاتهم. وهذا معناه أن وجود دعم حقيقي للطفل أو الشاب الذي يفكر في إمكانية الخروج من مسلك حياة الشارع مهم للغاية. ويستطيع العاملون الميدانيون من خلال تنمية العلاقات المخلصة والمبنية على الثقة والاحترام والمستمرة داخل بيئة الحياة في الشارع توفير الدعم اللازم لاتخاذ مثل هذا القرار الذي نادراً ما يحدث بأسلوب مفاجئ بل يمر بعدة مراحل في سلسلة مستمرة من التقييم وإعادة التقييم والتفاوض ومحاولة التكيف. إن دور فريق العمل في الشارع هو مصاحبة الطفل أو الشاب خلال مراحل هذه العملية دون ضغط بالإسراع في اتخاذ قرار الانفصال لأن التسرع في مثل هذه القرارات يؤدي إلى الارتداد والرجوع إلى حياة الشارع.

٢- المعوقات التي تواجه مدخل الإنقاذ

التنوع والاختلاف سمتان أساسيتان في ظاهرة "أطفال الشارع" تم عرضهما وهناك سمة ثالثة رئيسة للظاهرة وهي التواجد المتأصل في مجتمعات الشارع، التي تعد في حد ذاتها ظاهرة أكبر. وهذه النتائج الرئيسة توضح استحالة التوصل إلى أسلوب عام كحل للمشكلة يقوم على فكرة الإنقاذ السريع. فإذا ظن أحد أن إتاحة مختلف الخدمات لأطفال وشباب الشارع سوف يجعلهم أكثر قدرة على تحويل مسار حياتهم وإبعادهم عن حياة الشارع بهذه السهولة ومعالجة انحرافاتهم فإن ذلك يتعارض مع الواقع الذي يدل على أن الأغلبية العظمى منهم يمثلون جزءًا لا يتجزأ من النسيج الشديد التماسك لمجتمعات الشارع اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

إن الذي يجعل حالة أطفال وشباب الشارع قضية هي الثقافة المميزة لحياة الشارع بقيمه التي بالرغم من كونها متسقة داخلياً إلا أنها تتعارض وتتنافى تماماً مع قيم المجتمع السائد. وبتعبير آخر فإن ثقافة الشارع تعد فريدة من نوعها وكثيراً ما يكون من الصعب عمل مصالحة بينها وبين المجتمع السائد. ويجب الاعتراف بأن طبيعة حياة الشارع تتطلب من أفراده القيام بممارسات تختلف تماماً عن القيم والممارسات التي يتقبلها المجتمع مما يدفع المجتمع إلى استخدام أساليب تأديبية بالإكراه حتى في حالة اعتبارها أساليب "تأهيل". ولا عجب في أن مثل هذا "التأهيل" نادراً ما ينجح.

٣- استنتاجات تنموية

تكشف القصص التي يحكيها أطفال وشباب الشارع على أنهم ليسوا ضحايا لا حول لهم ولا قوة، بل إن لهم دوراً في تفسيراتهم للحياة وفي تشكيل حياتهم كما يحلو لهم. إلا أن الواقع الاجتماعي والنفسي الذي ينشئون وينمون ويتعلمون فيه يطرح كثيراً من الأسئلة من وجهة النظر التنموية. فعلى سبيل المثال ما التأثيرات المحتملة على نموهم المعرفي نتيجة للمحاولات اليومية للبقاء في الشارع؟ كيف يتأثر تشكيل الهوية بالخبرات المحدودة مع الذات والأدوار الاجتماعية خارج ثقافة الشارع؟

تعد مرحلتا الطفولة والمراهقة من أهم وأخطر المراحل لاكتساب أي مهارات اجتماعية. وتعتمد هذه العملية على وجود روابط أو صلات إيجابية وإتاحة فرصة ومصادر تعلم هذه المهارات مع غياب للظروف التي تؤدي إلى ضغوط عصبية. وكثير من أطفال

وشباب الشارع يأتون، كما وضح سابقاً، من خلفيات أسرية يكون فيها توجيه أولياء الأمور ضئيلاً للغاية أو غائباً تماماً. أو يأتون من أسر تقدم لهم نماذج سلوكية من تعاطي المخدرات، وغياب علاقات المشاركة الحميمة مع أطفالهم في أنشطتهم، وضعف الطموح في مجال التعليم، وضعف الرقابة والانضباط والشعور بالالتزام، ومن استغلال لأطفالهم عاطفياً وبدنياً أو حتى جنسياً. وعندما يتعرض الأطفال لمثل هذه الظروف يكون أحد أشكال ردود الفعل هي النزول إلى الشارع حيث يجدون نوعاً وإحساساً بالانتماء إلى "أسرة بديلة" وجديدة، وكثيراً ما تكون أكثر اهتماماً بهم ورعاية لهم. وسريعاً ما يصبحون أطفالاً معتمدين على أنفسهم وبتوجيه أخلاقي ضئيل عن كيفية استخدامهم هذا الاستقلال. وترغمهم حياة الشارع على تركيز طاقاتهم وانتباههم إلى الأمور الملحة والمباشرة للبقاء في إطار الحياة اليومية. وبالرغم من قدراتهم على البقاء في إطار ظروف صارمة وقاسية للغاية كدليل على ما لديهم من ذكاء وقدرة على التكيف، إلا أن التركيز المتناهي على الحاضر قد يؤثر بالسلب على جوانب أخرى من النمو وخصوصاً في غياب البالغين الذين عليهم مسئولية الإشراف والرعاية. وقد ينتهي الأمر بكثير منهم باستغلال استقلالهم لإشباع الاحتياجات الجسدية أولاً ومثل الشخصيات البالغة المهمة في بيئتهم بالشارع يبدءون في التدخين وتعاطي المخدرات وممارسة الجنس في مراحل مبكرة جداً مقارنة بأطفال آخرين.

إن أحد المشكلات الرئيسة لبتر النمو الصحيح للطفل هي عدم تنمية المنطق الافتراضي الذي يمكن البشر من موازنة المخاطر والتكلفة والعائد طويلة الأجل التي تأتي كنتيجة لأفعالهم، والقدرة على التقييم النظري لما يتخذونه من قرارات حالية وأثرها في المستقبل. وفي حالة أطفال الشارع حيث التركيز على الواقع الفعلي الفوري الملح للبقاء في إطار الحياة اليومية، فإن فرص تنمية التفكير والتأمل التجريدي طويل الأمد لا تتوفر لهم. لذلك يؤثر على قراراتهم وأفعالهم ما يتم تحقيقه من رغبات آنية دون التفكير في احتمالات نتائجها المستقبلية.

وبغياب الظروف الاجتماعية المعرفية اللازمة لتنمية القدرات المنطقية المنظمة، فإن هؤلاء الشباب غالباً ما يقومون بأفعال تعرضهم للمخاطر. فعلى سبيل المثال الجوع والخوف والرغبة في إرضاء الأصحاب كلها تمثل الواقع الفعلي الذي يؤدي إلى قرار تعاطي المخدرات أكثر من التفكير التجريدي في احتمالات المرض بالجهاز التنفسي في المستقبل. كذلك الحاجة إلى المال أو الملابس أو الشعور بالحنان تبدو أكثر واقعية عند أخذ قرار ممارسة الجنس مع غرباء عن التفكير في المستقبل من حيث خطر حدوث حمل أو الإصابة بعدوى مرض تناسلي. وهناك اللجوء إلى السرقة التي قد تمنحهم بضعة جنيهات يسدون بها شدة الجوع أو الحاجة إلى المخدرات التي سوف تحررهم مؤقتاً من وعيهم بكآبة أوضاعهم يجعلهم لا يفكرون في احتمالات القبض عليهم والتعرض لسوء المعاملة.

ويزيد هذه الأوضاع النظرة المألوفة لدى أطفال وشباب مجتمع الشارع ككل بأنهم بدون مستقبل، ولا يوجد لديهم مكان للحياة الاجتماعية بالمجتمع الأصلى. فحتى إذا مارسوا التفكير الافتراضى فإن مستقبلهم قد أصبح بالفعل من البؤس بحيث لا يجدى التفكير فيه. وبالرغم من أن هذه الموازنة غير بناءة لعملية النمو البشرى إلا أنها متأصلة فى الواقع الذى يعرفونه وعليه يصعب عليهم إغفاله. ولأنهم بالفعل قد خاب أملهم فى وضع أسرهم ومجتمعاتهم فى ظل ظروف صعبة تمثل ضغوطاً آدمية، فإن أملهم الوحيد الذى يمكن أن يوجههم حالياً هو تلبية رغباتهم المباشرة والفعلية فى الشارع مثل التقبل من قبل الأصدقاء والمخدرات والممارسات الجنسية وحرية الحياة بدون إشراف أى أطفال بلا أطار للحماية والرعاية.

وتعد هوية أطفال وشباب الشارع مشكلة إضافية للنمو البشرى السليم فشعورهم بذاتهم يتم فى ظروف غير مواتية. فهم كثيراً ما يوصفون بالمتشردين والأحداث المنحرفين، ويعاملون كذلك مما يدعم تحديد هويتهم بذلك لزيادة القدرة على البقاء. والصفات التى تطلق عليهم من قبل المارة والشرطة وحتى الكبار الذين يعاملونهم معاملة حسنة فى معظمها تقلل من شأنهم وتربطهم بالانحراف. ويتساءل المراهق "من أنا"؟ أو "من سأكون"؟ وقد سبق أن أجاب المجتمع عن هذه الأسئلة نيابة عنه.

إن أطفال وشباب الشارع فى حاجة إلى فرص لاختبار هويات إيجابية حتى يمكنهم أن يؤمنوا بأنه من الممكن لهم أن يصبحوا

أكثر من مجرد "منحرفون أحداث" وأنهم أيضاً يستطيعون أن يصبحوا بشراً ذوى أهلية. وحتى يبدأ هؤلاء الصغار الدخول فى علاقات إنسانية مع المواطنين والشرطة والأخصائيين الاجتماعيين ومؤسسات ووسائل الإعلام، فسوف يظل مستقبلهم فكرة مجردة للغاية بالنسبة لهم لا ترتقى إلى مستوى اهتمامهم أو العمل لإصلاحه.

٤- مفهوم الانحراف فى مجتمع الشارع

نحن ندعو ونعمل على كسب الرأى لتبنى نظرة للانحراف والأحداث المنحرفة فى الشارع على أنها فى معظمها محاولات لتوفير مكان اجتماعى لمجموعة من البشر أدت مسارات حياتهم إلى التواجد المهمش بالمجتمع. وهذه المحاولات يمكن فهمها كاستجابة لقوام المجتمع الأصلى. وبذلك لا تكون المسألة هى "علاج" الأحداث المنحرفين بل يجب أن يستهدف التدخل الاجتماعى تقديم الفرصة لأطفال وشباب الشارع لاكتشاف عوامل أخرى لإعادة التنشئة وأن يشاركوا إيجابياً فى أنماط أخرى من العلاقات المجتمعية.

وعليه فإن التفهم الواضح لعمليات التنشئة المنحرفة التى تتم فى الشارع وأثرها على حياة طفل وشاب الشارع هى أساس لأى تدخل فعال. كما أن جدوى بدائل الشارع لا تقتصر على كونها إتاحة للمصادر التأهيلية، بل هى فى المقام الأول إعادة تنشئة وبدونها لا يمكن استيعاب أو إدراك هذه البدائل.

تتطلب القدرة على تحديد الاحتياجات المتنوعة وغير المتجانسة الناتجة من واقع أطفال وشباب الشارع إلى تواجد مستمر ومكثف وفعال لفريق عمل فى بيئة الشارع التى يتعايش هؤلاء الشباب والأطفال فيها. كما تتطلب قدراً كبيراً من الوقت لتعميق علاقات الثقة المتبادلة مع هؤلاء الأطفال والشباب الذين كانت تجاربهم مع البالغين والمؤسسات الاجتماعية الرئيسية بالمجتمع فى معظمها تجارب سلبية. ففقدان الثقة بالبشر قد أنهك ثقة الأطفال والشباب بسلطة البالغين بصفة عامة، والاستقلال الذاتى والحرية قد أصبح السمة الطاغية لهم نتيجة لغياب أطر الحماية من الأسرة أو المدرسة أو مجتمعهم المحلى. ولذا يجب ألا نتوقع منهم أن يتنازلوا عن استقلاليتهم وحريتهم بسهولة. ولكن من خلال العمل المستمر والمتواصل بالملازمة يدرك أطفال وشباب الشارع سواء أفراداً أو مجموعات أن هناك بالغين يعتنون بهم ويحبونهم ويحترمونهم ويتقبلونهم كما هم وأن هناك بدائل للحياة بالشارع يمكن أن يدركوها ويستوعبوها ويخططوا لها بالمشاركة مع الأعوان.

الفصل السادس

توصيات منهجية التدخل والخلاصة

المقدمة

لقد وضح من هذه الدراسة أن الغالبية العظمى من أطفال الشارع لا يعيشون بطريقة انعزالية وإنما هم منخرطون اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً في نسيج يشمل مراهقين وشباباً وراشدين من الذكور والإناث جميعهم مشاركين في حياة الشارع اليومية بكل أشكالها وإشكالياتها. أي أن طفل/ طفلة الشارع يتواجد داخل إطار كيانات مجتمعية حقيقية تمثل ما سميناه "مجتمع الشارع" ويتعرض لتنشئة اجتماعية منحرفة وغير نمطية. وفي ضوء هذه الحقائق وضح أيضاً أن هذا الانغماس والالتحام العميق لطفل/ طفلة الشارع في أحضان أوساط الشارع المختلفة يتعارض بشدة مع الاتجاه السائد الذي بمقتضاه يتصور البعض أنه من الممكن "إنقاذ" أو "انتشال" هؤلاء الأطفال من محيط الشارع بمجرد توافر البدائل والإمكانات المختلفة. ولكن حقيقة الأمر أن الانفصال عن حياة الشارع يتطلب تحويلاً تدريجياً طويل الأمد لهوية هؤلاء الأطفال. والتواجد المستمر بالشارع والذي سمي بالعمل الاجتماعي في الشارع يساعد على إعادة بناء الهوية من خلال تنشئة اجتماعية جديدة تستدعي الكثير من الجهد والمثابرة لفترات زمنية طويلة.

ويطرح هذا الفصل الخبرة التي توصل إليها فريق العمل في إطار تجربة الجمعية المصرية لسلامة المجتمع عند تنفيذ برنامج العمل الاجتماعي في "الشارع" الذي يدعمه مركز استقبال. ولقد تم اختيار منهجية العمل الاجتماعي في الشارع لأن هذه المنهجية خلال العشر سنوات السابقة قد أصبحت معترفاً بها كأكثر المنهجيات مناسبة حين يكون الهدف هو العمل مع مجموعات مهمشة مثل أطفال وشباب الشارع، أو الذين يديرون أوكار دعارة وعملائهم أو بعض مجموعات مدمني المخدرات، حيث يتم التدخل في نفس بيئاتهم المعيشية وفي الأماكن التي يترددون عليها.

إن العمل الاجتماعي في الشارع هو ممارسة لعمل اجتماعي له فلسفة إنسانية معترف بها ويستهدف خلق حلقة الوصل بين مؤسسات المجتمع الأصلي والشباب الذين يمثلون شريحة منشقة عنه. وهو ممارسة أو تدخل إنساني غير مؤسسي يستهدف ملازمة ومصاحبة بصفة مستمرة هؤلاء الأطفال والشباب الذين لا يمكن التوصل إليهم بأي أسلوب آخر وهم يمثلون فئة من المواطنين محرومة من حقوقها الإنسانية الأساسية.

١- العمل في الشارع واستراتيجية الوصل

يمكن وصف مفهوم العمل الاجتماعي في الشارع بأنه عملية بناء جسور للتوصل إلى الشرائح المهمشة من القائمين بالشارع داخل سياق النظام السائد فيه والبيئات التي تعيش فيها هذه المجموعات كعناصر فاعلة نشيطة. وسياسة العمل الاجتماعي هي التوجه إلى الشارع وبناء علاقات تتسم بالثقة والتقبل المتبادل مع مجتمعات الشارع لبناء جسور تقلل الفجوة الكبيرة بين المجتمع الأصلي ومسار الانحراف عنه.

لقد فقد كثير من أطفال وشباب الشارع الثقة بالراشدين، ويرجع ذلك لأسباب نفسية واجتماعية مختلفة، ولسوء المعاملة والاستغلال المستمر لهم، فأصبح من المحال أن يقتنعوا بأن أي محاولة تقرب من الكبار لهم هي محاولة خالية من أي نية خفية أي أنهم يقدمون شيئاً لهم نظير أشياء أكثر في المقابل. ولذا فإن الاتصال الأول بهم في الشارع وتقديم الصداقة لبناء الثقة والتقبل يتطلب ليس فقط مهارات متميزة وحساسة من جانب الراشدين الذين يقومون بالتدخل، بل يجب أن يتم التدخل في الشارع على أساس منهجية عمل في الشارع تتسم بدقة التصميم والمتابعة وتتم في إطار البحث من خلال العمل.

ويعد العمل في الشارع في المقام الأول منهجية تقوم على عملية تغلغل اجتماعي منظم في البيئات الهامشية بهدف تنمية علاقات تتسم بالثقة والاحترام المتبادل مع المجموعات والأفراد المستهدفة. وتصبح علاقات الثقة هذه الأساس لجمع معلومات حيوية وبيانات تتعلق بالمجموعة المستهدفة. ثم يتم استخدام هذه المعلومات لبدء عملية تنظيم وتنمية للمجتمع المستهدف في حين يتم الإعداد لبدائل المبادرات من داخل المجتمع المستهدف والعوامل الوقائية المناسبة ونشرها في البيئة بمشاركة فعالة من القيادات الرئيسية التي يتم استقطابها.

والأفراد الذين يقومون بتنفيذ منهجية العمل الاجتماعي في الشارع يشار إليهم بالعاملين/ المعلمين بالشارع. ودورهم أكثر من جامعي البيانات أو الأخصائيين الاجتماعيين حيث تتمثل أول مهمة لهم في التسلل إلى بيئة الشارع. فعليهم تعلم كيفية التعامل مع مشاعرهم والتحكم في مخاوفهم الشخصية، والتعامل والتفاعل مع الخوف والتشكك والسرية التي عادة ما تشهرها هذه المجتمعات في وجه الغرباء. وعليهم التحلي بالصبر واللباقة وعدم التطفل في أثناء تواجدهم في بيئة الشارع. ويحتاج الأمر من العاملين في الشارع إلى أسابيع طويلة من الملاحظة تتبعها ملاحظة بالمشاركة وذلك قبل محاولة التعامل الموجه مع الأطفال والشباب. ويدخل العاملون في الشارع إلى عالم أطفال وشباب الشارع كمبتدئين وجهلة لأن ثقافة الشارع لها قيمها وعاداتها ولغتها وقواعدها ومبادؤها وطرقها في التفاعل والتعامل الاجتماعي والتي تختلف تماماً عما هو راسخ في أنماط التعامل بالمجتمع الأصلي وتحتاج إلى التعرف عليها وفهمها. ولكي ينجح العاملون في الشارع في الدخول إلى عالم الشارع فعليهم أن يعتمدوا على إرشادات وتوجيهات الأفراد في الشارع أنفسهم لتفسير هذه الثقافة ولضمان أمانهم داخل بيئة قد تكون غير آمنة. فمجرد كون الشخص مؤهلاً علمياً هذا لا يضمن الحماية له من عناصر عدائية في بيئة الشارع والتي تحتاج إلى ذكاء وفهم لنبض الشارع ممثلة في استراتيجيات يستعان بها للبقاء في الشارع.

ومما يؤدي إلى تعقيد الوضع هو ميل أطفال وشباب الشارع للمراوغة حيث يروون قصصاً غير صادقة تدربوا عليها جيداً وتتعلق بخبرات وخلفيات أسرية، وبوضعهم الحالي، وبسنهم، وبأسباب تركهم المنزل. وكل هذه القصص تعتبر جزءًا لا يتجزأ من أنماط ممارساتهم لأن المراوغة أساسية للبقاء بالشارع وتزيد من قدرة التحكم في البيئة.

ويصبح العاملون في الشارع عنصراً إضافياً في بيئة الشارع على الأطفال مناورته بنجاح للبقاء. كما ن هناك أسباباً أخرى وراء تحريف الأولاد المعلومات حيث إن هذا التحريف له وظيفة سيكولوجية نفسية تمكن الأطفال من الانتقام من مجتمع يبخس قيمتهم. حيث تؤدي المعلومات المزيفة أيضاً إلى وضع المجتمع في حالة دفاع عن النفس كأن المجتمع بمؤسساته مسئول عن أوضاعهم فيما يتعلق بتفاصيل حياتهم. وعليه فإن على العاملين في الشارع تعلم كيفية تقبل درجة معينة من التحريف الذي يكون مفيداً للأطفال والشباب ويشعرهم بالسيطرة والتفوق. وهذا يسهم في سيطرة الأطفال على حياتهم الخاصة وييسر إقامة علاقات معهم حسب شروطهم.

فضلاً عن ذلك فهناك خط رفيع وموازنة حساسة يجب على العاملين في الشارع ملاحظتها وهي الحفاظ على نزاهتهم المهنية وعلى هويتهم، وفي نفس الوقت أن يتسموا بقدرات تساعدهم على سهولة ويسر التحرك داخل عالم الشارع دون أن يصبحوا مثل شباب الشارع ويفقدوا هويتهم. فهناك خطر التثقيف بثقافة مختلفة عنهم عندما ما يتقمص العاملون في الشارع سمات ثقافية دخيلة عليهم.

وعليه فيجب أن يكون العاملون في الشارع أفراداً قادرين على التعامل مع المهمشين والتهمش بحياد تام حتى يتمكن الأطفال وأقرانهم من إقامة علاقات معهم دون الشعور بالتهديد. وبعد اكتساب أمان واطمئنان المجموعات المستهدفة تبدأ مرحلة عملية بناء الثقة تدريجياً. وهذا يتطلب تواجداً وتفاعلاً مستمراً للعاملين في الشارع بجمهور الشارع يتميز باللباقة وحسن المعاملة وإقامة صداقات مع الأطفال بمشاركتهم حياتهم وطعامهم وجوانب أخرى من وجودهم. وهذا يؤدي إلى تعلق الأطفال بأفراد معنيين من العاملين في الشارع. وبالرغم من أن مثل هذه العلاقات مهمة للطرفين إلا أنها قد تكون أيضاً مرهقة للعاملين. والواقع العملي في الشارع هو عمل منهك جسدياً ومرهق نفسياً وعاطفياً.

إن التواجد والملازمة المستمرة لشباب وأولاد الشارع يعتبر مدخلاً وقائياً، لأن الارتقاء والتنمية لأطفال الشارع يحتاج إلى عملية تعليمية وتثقيفية حياتية تقوم على أساس الحوار المستمر والتعامل مع مشكلات حياتهم اليومية. وتمثل العلاقات التي تنشأ طواعية بين العاملين في الشارع والأطفال/ الشباب من الملازمة، الوسيلة الفعالة لتسهيل عملية إعادة التنشئة الاجتماعية، لأنها توسع الآفاق لهم اجتماعياً وثقافياً وفكرياً. وعندئذ فقط يمكن لهؤلاء الصغار أن يضعوا في اعتبارهم فكرة التصالح مع المجتمع الذي يرونه عدائياً ورافضاً لهم ولوجودهم.

ويدخل بُعد "مجتمع الشارع" في أثناء العمل فيه من خلال تقوية شبكة الحلفاء داخل مجتمعات الشارع. فيقيم العاملون في الشارع علاقات ليس فقط مع الأطفال بل أيضاً مع مجتمعات الشوارع ككل. عليهم في ذلك توخي الحرص والحذر لتجنب التدخل الغشيم في النظم والقواعد السائدة. وهذا يتطلب درجة عالية من اللباقة والقدرة على تفهم أنماط وديناميكيات الشبكات المتواجدة بالشارع، وذلك من خلال التعرف على العناصر الرئيسية الفاعلة والمرشدين والقيادات الطبيعية وكسب ثقتهم. ويستخدم العاملون في الشارع للتوصل لكسب ثقة الشخصيات المؤثرة في بيئات الشارع قدراتهم في خلق الوفاق والتفاهم، وتبادل المعلومات والمساعدة المتبادلة. ويتبع ذلك البدء في عملية العلاج المجتمعي للتأثير على ديناميكيات مجتمع الشارع من خلال تعزيز وتقوية مواطن القوة التي تم التعرف عليها وصلات التضامن. ويتم استقطاب العناصر الرئيسية والقيادات الطبيعية لتشارك العاملين في الشارع في الارتقاء بآليات التضامن والمساعدة المتبادلة. وباستخدام أساليب التعلم والإرشاد من الأقران تضاف عناصر فاعلة أخرى تنظم وتشارك، ومع توطيد صلات التضامن تستخدم تدريجياً كعامل مؤثر ويبدأ المجتمع في الشارع في تولي نوع من المسئولية الجماعية. وعندئذ فقط يمكن إيجاد بدائل مقبولة ثقافياً عن الوضع في المؤسسات وفي نفس الوقت تكون حامية وملائمة لهم لأنها بدائل وضعت بمشاركة فعالة من مجتمع الشارع.

كل هذه الاعتبارات بالإضافة إلى عدم تواجد مفهوم العمل الاجتماعي في الشارع في مصر، زاد من أهمية العناية في اختيار وتعيين وتدريب وتثقيف والإشراف والتوجيه للعاملين في الشارع. لقد تبنى القائمون بالبرنامج هدفاً مهماً هو التصدي للتحدي وتمكين العاملين في الشارع ليكونوا باحثين ومحللين لثقافة الشارع. وقد تطلب اختيار العاملين في الشارع قدراً كبيراً من الحرص والحذر، حيث إن كثيراً من الأفراد يتطوعون لمثل هذا العمل من نابع شعورهم بالأسى والعطف على هذه الفئة من الأطفال، ورغبتهم في مساعدتهم. والأفراد الذين لديهم مثل هذه المشاعر غالباً ما يواجهون مشكلات بمجرد بدئهم العمل. ويعد الاكتئاب من أكثر النتائج شيوعاً حيث ينزعج العاملون إذا تصوروا بأسى وحزن ما يكون حالهم أو حال ذويهم لو أنهم تعرضوا لنفس هذه المحن والشدائد بالشارع. ومثل هؤلاء الذين يبغون المساعدة والذين لا يستوعبون أو يتحكمون في مشاعرهم قد يؤذون الأطفال بزيادة شعورهم بالاستبعاد واليأس. وعلى نقيض ذلك يوجد الأفراد الذين ينظرون إلى الأطفال بالشارع على أنهم منبوذون أو مجرمو أحداث بدلاً من النظر إليهم على أنهم أطفال في طور النمو يعيشون ظروفاً قاسية. والأفراد الذين يعتبرون الأطفال مجرمين ومنحرفين لا يمكنهم البقاء في العمل في الشارع طويلاً من خوفهم أو تجاهلهم الأطفال والشباب في الشارع مما يقلل من فاعلية العمل.

نفذ تدريب وتثقيف العاملين في الشارع من منظور منهجية العمل العلمي الذي يأخذ في الحسبان أن صعوبة وتداخل الأوضاع الاجتماعية يعوق إمكان توقع كل ما يجب تنفيذه في الواقع العملي. وبتعبير آخر فإن مبدأ نظرية المعرفة في منهجية العمل العلمي يؤكد أن المعرفة لا يمكن أن تسبق العمل الفعال بل في المقابل فإن التفهم النظري ينبثق من العمل نفسه. وبناءًا عليه فإن الإدراك وتفهم العمل هي مفاهيم إجرائية في منهجية العمل العلمي تؤدي إلى تداخل وتوافق بين العمل والفهم في سياق كل مرحلة شاملة عمليات التوصل إلى الحقائق والتحليل والتنظير والتخطيط والتنفيذ والتقييم.

٢- ديناميكيات العمل في الشارع ومنهجية التدخل داخل البيئة

يتم العمل في الشارع والتدخلات في البيئة في الخطوط الأمامية للظاهرة وفي قلب الميدان الذي يشمل أنماطها وأنظمة مجتمعات الشارع. وهذا يتطلب وقتاً من العاملين في الشارع للتغلغل اجتماعياً في هذه المجتمعات حتى يمكن خلق حضور ذو مغزى يتسم بالعمق والمشاركة. وهذا الحضور يجب أن يكون في جوهره حضوراً إنسانياً ويأخذ شكل العمل الملازم الذي تتمثل سماته وأهدافه الرئيسية فيما يلي:

- تؤكد الفلسفة الرئيسية للعمل الاجتماعي في الشارع أن أي تحسن في الظروف المعيشية للفرد لا يمكن أن تتم دون موافقته/ موافقتها ومشاركته/ مشاركتها.
- يجب أن يأتي التفويض بالتدخل مع أطفال وشباب الشارع منهم أنفسهم. ولا يكفي تفويض جهة العمل.
- إن السؤال الأول الذي يوجهه العاملون في الشارع ليس: "ما مشكلتك؟" بل "كيف حالك؟".
- إن الارتقاء بعملية نمو الأطفال بالشوارع يستلزم عملية تعليم حياتية تقوم على أساس من الحوار المستمر والتصدي لمشكلات الحياة اليومية.
- يعنى مفهوم الإصغاء التفاعلى معرفة كيفية الاشتراك فى حوارات تعطى فرصة للطفل لمعارضة معطياتها دون الشعور بالتهديد أو الضغط.
- تتطلب ملازمة ومصاحبة شباب وأطفال الشارع لعب مختلف الأدوار كوسيط وأخصائى اجتماعى ونفسى ومحرك للحياة والأمل بالإضافة إلى كونه متخصصاً أنثروبولوجياً يتحسس الرموز والدلائل وإيقاعات الأحداث وطقوس الحياة اليومية بالشارع.
- تعنى ملازمة الشخص إقامة صلة وعلاقات لا تقتصر على غرض تقديم المساعدة. بالإضافة إلى تقديم الدعم وتسهيل الوصول إلى مصادر سد الاحتياجات. ويتمثل الدور الرئيسى للعامل الاجتماعى فى الشارع فى تأكيد حضوره/حضورها بالمشاركة فى الحياة اليومية للأطفال والشباب الخارجين عن سياق المجتمع الأصلى بحيث يوفرون لهم فرصة اختبار نوعية من الحياة والعلاقات تختلف عن تلك التى يعرفونها.
- إن ملازمة الشخص تعنى تشجيع بناء علاقة متبادلة ومتعادلة دون تحكم وتؤدى إلى تحرره وبالتالى يفعل المثل مع الآخرين فى محيطه الاجتماعى.
- علاقات الملازمة تقوم بصفة أساسية على الثقة التى تخلقها المشاركة المستمرة الدافئة والرقيقة للحياة اليومية فيتحركون معاً ويشتركون معاً فى مواقف هزلية أو مضحكة مع إعطاء الآخر حرية الحياة والتعبير عن مختلف المشاعر، وحرية اللعب والاستمتاع والتفكير والتأمل والابتكار والدعابة مع الاعتراف بحقه فى التعايش مع الأزمات وفى التعبير عن الخداع والمخاوف والآلام وحتى تمنى الموت.
- تتطلب المشاركة الفعالة فى واقع الحياة اليومية للشارع الاستعداد للتعامل مع مواقف معقدة وغامضة ومحملة بالقيم.
- إن ملازمة الفئات المهمشة يعنى القدرة على البقاء فى وضع الوسيط المشاهد للواقع الإنسانى من ناحية ومن ناحية أخرى الداعى إلى زيادة الاحتمال المتبادل بين المجتمع الأصلى والفئات المنحرفة عنه.
- تتطلب ملازمة الفئات المنحرفة القدرة على المواجهة والتعامل مع ممارسات مثل تعاطى المخدرات والعنف وممارسات الجنس وقيم وأنماط حياة تدينها التقاليد المحترمة المجتمعية.
- هذه القدرة لا تعنى تقبل أو موافقة على أى نمط من الممارسات بل يعنى عدم منع الآخر من التحدث عنها وعدم إصدار الأحكام المسبقة والقدرة على التعامل بواقعية وتناول الحقائق بدلاً من إخفائها. كما يعنى ذلك أيضاً عدم الإذعان للرغبة فى السيطرة على الآخر بل مساعدته على اكتساب مزيد من الاستقلال لنوعية حياة أفضل. الاعتراف بحق التجربة والفشل وعدم الاستسلام بادعاء "أنه لم يعد هناك ما يمكن عمله معه/معها".
- ملازمة ومصاحبة الأطفال فى الشارع يستلزم تعلم توقع النكسات، حيث إن التقدم الذى يحرز فى شهور قد ينتكس فى لحظة على أثر ثائرة لسلوك اجتماعى معادٍ اجتماعياً. ومثلما لا يفقد الأب أو الأم الأمل فى الطفل بمجرد اقترافه أخطاء أو يفشل فى الحكم السليم على الأمور أو يكذب، فبالمثل يظهر العامل الاجتماعى فى الشارع تفانياً والتزاماً لا يكل نحو الأطفال.

- ملازمة ومصاحبة شباب وأطفال الشارع هو الاكتشاف والتعرف على قدراتهم ومهاراتهم ومواهبهم وكافة مواطن قواهم التى عادة ما تكون خافية على من يصورهم بأنهم إما "ضحايا لا حول لهم ولا قوة" أو "منحرفون لا جدوى منهم".
- ملازمة ومصاحبة شباب وأطفال الشارع هو تشجيعهم على النظر إلى أنفسهم على أنهم قادرون على تغيير حياتهم مستهدفون إعادة دخولهم فى سياق المجتمع الأصلى من خلال مشاركة فعالة فى إعادة بناء هويتهم ومسار حياتهم.

وأخيراً فإن ملازمة ومصاحبة شباب وأطفال الشارع هو الدعوة لأن ينظر إليهم المجتمع نظرة واقعية إنسانية على أنهم مواطنون صغار السن يعيشون مهمشين على حافة المجتمع وبدون إطار للحماية المجتمعية ومحرومون من حقوقهم الاجتماعية الأساسية.

٣- مركز الاستقبال كمدخل لإعادة التنشئة الاجتماعية

إنشاء مركز استقبال يأتي في إطار برنامج العمل الاجتماعي في الشارع بعد إقامة علاقات تتسم بالثقة المتبادلة بين الأطفال والشباب والقيادات في بيئات الشارع المستهدفة، حيث يكون الوقت مناسباً لإنشاء مكان بمشاركة المستهدفين يكون بمثابة علامة مميزة أو مرجعية لتعبئة فعلية لمجتمع الشارع لتحقيق حياة أفضل. علماً بأن إنشاء مركز استقبال لا يعد بديلاً للعمل الاجتماعي في الشارع والعلاج داخل بيئته، بل يكون أداة لدعم وتقوية واستكمال الخط الأول للتدخل في الشارع.

لقد قامت الجمعية المصرية لسلامة المجتمع في إبريل من عام ١٩٩٧ بتأسيس مركز استقبال أطفال وشباب وقيادات الشارع الذين كانوا يترددون على المركز وهم من ضمن الأفراد الذين أقام معهم العاملون الاجتماعيون في الشارع علاقات ثقة وملازمة. ولم ينتظر منهم التردد على المركز بصفة منتظمة ولا أن يأتوا كلما كان المركز مفتوحاً.

وقدم المركز خدمات لسد احتياجاتهم الأساسية وللتعبير عن رسالة الرعاية والاهتمام بهم. وتضمنت هذه الخدمات خدمات طبية وصحية وإمكانية للاستحمام وغسل الملابس مع تقديم وجبات غذائية. وكانت للرعاية الطبية والصحية أهمية خاصة قدّرها المترددون على المركز لأنهم يواجهون صعوبات حين يحاولون اللجوء إلى المستوصفات العامة والمستشفيات، حيث إنهم يمثلون فئة واضحة المعالم لها وصمة سلبية تعامل معاملة سيئة وقاسية وقد يّرفض تزويدهم بالخدمة مع أن قسوة ظروف الحياة في الشارع تعرض الأطفال والشباب للعديد من المخاطر الصحية مثل الأمراض الجلدية وأمراض الجهاز التنفسي ومختلف أنواع الإصابات والجروح المنتشرة بينهم.

وكان التركيز في مركز الاستقبال على تنمية مواطن القوة والمهارات عند الأطفال وليس على إبعادهم عن الشارع، بحيث قام العاملون في الشارع بمعاونة مجموعة من المتطوعين بتنظيم مجموعة مختلفة من الأنشطة الثقافية والتعليمية والرياضية والترفيهية مع الأطفال والشباب الذين يشتركون حسب رغبة كل منهم سواء الذكور أو الإناث منهم. وعليه فإن التدريبات الرياضية وتنس الطاولة وقص الحكايات والرسم والحياكة والدق على الطبول والتحطيب والألعاب الاجتماعية وفصول محو الأمية ودروس الحاسب الآلي وأعمال الخرز والخشب ومشاهدة التليفزيون وأفلام الفيديو التعليمية تعد جزءاً من البرامج اليومية التي تم إعدادها من خلال الخبرة والمشاركة في سياق أسلوب التعليم غير النظامي. وفرت هذه الأنشطة الفرصة للتفاعل والتعامل مع أناس خارج المجال المألوف من المتطوعين والعاملين في الشارع غير الملازمين لهم ومجموعات أخرى من الأطفال والشباب. وهذه التفاعلات والتعاملات المتبادلة ساعدت على توسيع مدى تنشئتهم الاجتماعية وتعرضهم لمبدأ المساءلة لتقوية الشعور بروح الجماعة بين المشاركين.

وعلى مستوى آخر شارك بعض الأطفال والشباب حسب رغبتهم في أنشطة تدريب مهني مثل الحياكة والنجارة حتى يمكن توجيه من له القدرة والرغبة إلى جهات أخرى لزيادة مهاراتهم المهنية. لأن هدف مثل هذه الأنشطة لم يكن للتدريب المهني المتكامل بل كان لتقديم فرصة لتجربة المهارات المهنية الأولية والتي تساعد بدورها على التعرف على المواهب والميول القابلة للتنمية حسب رغبة الفرد وبمعاونة العامل الاجتماعي في الشارع الملازم.

وبالإضافة إلى الأنشطة التي تم وصفها سابقاً فقد وفر مركز الاستقبال مساحة مناسبة للعاملين بالشارع للالتقاء بأطفال يرغبون في التحدث على انفراد عما يقلقهم أو عن مشكلاتهم. وهذا توقيت مناسب لمتابعة حالات فردية وزيادة فرص إحداث التغيير المطلوب. وسهل تواجد المركز تناول العديد من الموضوعات الخاصة بتنظيم مجتمع الشارع مثل فض الخلافات والمنازعات وتبادل المعلومات عن الرفقاء الغائبين ومناقشة الصعوبات والمشكلات التي تواجههم في الشارع وتخطيط الرحلات وكذلك تنفيذ جلسات مناقشات جماعية تساند في عملية إعادة التنشئة الاجتماعية وتدعيم المشاركة الجماعية للتوصل إلى تفهم أفضل للأفراد والمجموعات.

وعلى مستوى آخر تم تكثيف العمل مع القيادات الطبيعية وإعطاء الكثير منهم مسئوليات داخل مركز الاستقبال لخلق فرص ملاحظتهم وتوجيههم عن قرب وتنمية علاقات عمل حقيقية معهم تؤدي عن طريق الحوار والتشاور إلى إعادة تفكيرهم لأسلوب حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم بعضاً بالإضافة إلى تفكيرهم في تنظيم العمل وتقسيمه. وبتعبير آخر فإن المعاملات والتفاعلات تخلق فرصاً للتأمل والتفكير في إطار موضوع عام مشترك وهو "كيف نقوم بتنظيم أنفسنا حتى يكون لنا وجود وحياة أفضل؟".

وحين أصبح موقع مركز الاستقبال معروفاً لمجتمعات الشارع بدأت الأسر تأتي إلى المركز للبحث عن أبنائهم المفقودين وكثيراً ما وجدوهم بالفعل في المركز أو دلهم أقرانهم أو العاملون في الشارع عن مكانهم مما منح فرصة التعرف على أولياء الأمور والوساطة بين الطفل الهارب وأسرته والتأكد في نفس الوقت من ضمان مصلحة الطفل وأفضل وضع له من منظوره الخاص.

٤- مدخل التعليم غير النظامي

كل الأنشطة التي نظمها مركز الاستقبال سواء كانت ثقافية أو تعليمية أو رياضية والتي اشترك فيها الأطفال والشباب حسب رغبتهم كانت في إطار مدخل التعليم غير النظامي على أساس مفاهيم تعلم لتتحرر (باولو فرايري) والمدارس الحرة (سمرفيل وأيليش). وهذه المفاهيم تمثل النقيض للفكرة التقليدية للتعليم الذي يقوم على أساس الإعداد للمستقبل بينما التعليم غير النظامي يقوم على أساس أن التعلم في حد ذاته يؤدي إلى التحرر والتمكين، لأنه يساعد على إعادة تفسير التجربة التي يقدمها التعلم في اللحظة الحاضرة حيث تمنح معنى للحياة الحالية للإنسان. ودعونا نتناول ذلك باختصار على النحو التالي:

التعلم لا هو عملية "سلبية" ولا "إيجابية". وفي كونه عملية فكرية فهو يشمل التعبير والإبداع ولذلك لا يمكن فصله عن التعامل مع الحياة. وهذا هو الجوهر الاستراتيجي لمفهوم التعليم غير النظامي. وحين تنجح عملية التعلم في تعريف وتشكيل أسلوب ترابط العلاقات مع البيئة يصبح ممكناً إعادة تعريف وبناء بيئات مادية شاملة علاقات القوة بين الكيانات البشرية. وبناءًا عليه يصبح التحول الاجتماعي على المستوى الفردي عنصراً جوهرياً في تجربة التعلم داخل عملية إعادة التنشئة ويحدث التغيير كناتج طبيعي لهذه العملية.

وتتمثل السمات الرئيسية لأسلوب التعلم غير النظامي الذي تبناه مركز الاستقبال فيما يأتي:

١- دمج التعلم مع الإبداع

يتم بصفة عامة اختصار التعريف الرئيسي للتعلم ليقتصر على وظيفته الاجتماعية دون الأخذ في الاعتبار عملية التعلم نفسها التي تعد جزءًا لا يتجزأ من التعليم. فعادة ما يتم التمييز القاطع بين التعلم والإبداع، ولذا فإن الهدف الرئيسي لأسلوب التعليم غير النظامي هو إلغاء هذا التمييز غير المرغوب فيه. ووجهة النظر هنا هي أن التعلم هو سعي الكائن الحي نحو الكمال. وهو لا يقتصر على كونه عملية إضافية أو تراكماً للمعلومات في حد ذاته بل هو بالأحرى عملية دمج وتحليل في ذات الوقت مع اختراق الحدود وحل وفصل وتجريد الهياكل وخلق جديد منها والتحرك من التقيد إلى الإمكانات غير المحدودة. وعليه فإن تحديد الحدود بين التعلم والإبداع يصبح لاغياً.

٢- العلاقة بين المعلمين والمشاركين

تستهدف العلاقة بين المعلمين والمشاركين إلى زيادة وعي المشاركين من خلال رفض علاقة السلطة المطلقة المتأصلة في التعليم التقليدي، مع تشجيع المشاركة الفعالة من خلال الحوار ومناقشة قضايا حيوية.

وتؤكد بيئات التعلم التي يتم خلقها على صدق العلاقات الشخصية بين المعلم والأطفال/ الشباب التي يدعمها تواجد المعلم في بيئة حياة الشارع الخاصة بالمشاركين. والمعلم ليس فرداً يرونه فقط في المدرسة بل إنه/ إنها شخص ثبت براءته/ براءتها من الاشتراك في الظلم قبل بدء مغامرة التعلم.

وتعد علاقة التعلم مساحة خلاقة يتم فيها بناء العديد من الحقائق التي تمكن الفرد من إعادة خلق نفسه وفي نفس الوقت إعادة تعريف علاقته بالآخرين.

وحين يدرك المشاركون قدرتهم على تركيب كلمات جديدة وحدهم، وحين يبدعون وينتجون رسومات ولوحات ومسرحيات، يخلق لديهم كل هذا الشعور بالإبداع والابتكار وتزداد الثقة بالنفس وتتسع الآفاق والمدارك لكي يمكن الحديث عن "حياة أفضل".

٣- عناصر التمكين

- الوعي الاجتماعي: يمكن اكتساب المعرفة الاجتماعية من خلال بحث جماعي في الذات وتأمل في البيئة الاجتماعية للحياة اليومية وأسلوب سيرها. والمعرفة في حد ذاتها والشعور بالمعرفة من خلال البحث في الذات لهما أهميتهما حيث إنهما يمنحان المشاركين شعوراً بالمساواة مع من قد حصل على تعليم من المؤسسات التعليمية. بل إن اكتشاف الذات بما يشمل اكتشاف ذاته ككائن يفكر وخلاق للمعرفة يجعل التعلم عملية نوعية أكثر منها كمية.

- الاعتماد على الذات: تنبع قوة الفرد بصفة أساسية من اعتماده على ذاته. والاعتماد على الذات ليس اكتفاءً ذاتياً بل هو تركيبة من القوة المادية والفكرية التي من خلالها يقدر الإنسان أن يتعامل مع الآخرين على قدم المساواة وأن يؤكد على حقه في تقرير مصيره.

٤- عناصر أساسية أخرى

- التعليم لا يعني فقط نقل المعلومات والمعارف بل تحويلها وتوصيلها أيضاً.

- خوض تجربة ما: لا تدور عملية التعلم حول الحقائق فقط بل إن المشاركين مدعوون لدراسة وتأمل مشاعرهم. "كيف تشعر إذا وضعت نفسك محل شخص آخر؟" وهذا السؤال عادة ما يؤدي إلى دراسة شاملة ودقيقة للمشاعر والقيم والاهتمام والتحيز وغيرها.

- استخدام الخيال: يتم الاستغلال الكامل لقدرات الأطفال والشباب على الدخول إلى عالم الخيال والخروج منه حسب رغبتهم وبمنتهى السهولة.

- من بين الأدوات الأساسية المستخدمة ما يلي: ممارسة الأشغال الفنية اليدوية، تمثيل الأدوار، تخيل مواقف، العمل في مجموعات عمل صغيرة، الدراما السيكولوجية، مناقشات متوازنة.

٥- استخدام قدرات شباب وأطفال الشارع

على الرغم من أن الحياة في الشارع تعمها المخاطر والأضرار للأطفال والشباب، إلا أنه من الأهمية معرفة القدرات والكفاءات التي تكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية بمجتمع الشارع حتى يمكن استثمارها والاستفادة منها بدلاً من مجرد التركيز على المشكلات السلوكية. وهذا لا يعني تجاهل المشكلات السلوكية والنفسية بل على النقيض هناك الحاجة إلى مدخل متكامل لا يقتصر على معالجة وشفاء الانحراف، بل يلجأ إلى الاستفادة من مواطن قوة وقدرات الفرد. وبعض القدرات الواضحة بين شباب وأطفال الشارع هي التالية:

القدرات المعرفية

- معرفة وتفسير المواقف المحفوفة بالمخاطر والمجازفة وإجادة الحكم عليها وأن يكون رد فعله وفقاً لذلك.
- ملاحظة الآخرين والتعرف على معلومات عنهم يستخدمها في المواقف المختلفة.
- تعلم وخلق لغات مشفرة وإيماءات.
- تعلم واحترام والاستفادة من قواعد وثقافة الشارع.
- المعرفة الشاملة والدقيقة للمساحة العامة من أماكن إيواء مناسبة و/أو أماكن النوم وموارد مختلفة ..الخ.

القدرات العملية

- الاستخدام المبدع للمساحات العامة من خلال تحويلها إلى أماكن للعمل وللحياة وللترفيه وللإيواء .. الخ.

- التحكم في ردود فعل الآخر وإثارة ردود فعل إيجابية والتصرف وفقاً لها .على سبيل المثال يعرف شباب وأطفال الشارع كيف يثيرون الشفقة والشعور بالذنب والخوف والرعب.
- التحكم في الإيماءات وصياغة الكلمات لتمثيل الإعاقة.
- القدرة على التفاوض على هويته/ هويتها بمخزون من قصص مختلفة عن حياتهم.
- التحكم في مختلف استراتيجيات البقاء والاستعانة بالمناسب منها حسب الموقف.
- القدرة على تنظيم العمل في مجموعات صغيرة وتحقيق التعاون والتضامن مع تحديد قواعد تتبعها المجموعة.

مما لا شك فيه أن التعرف على هذه المهارات والقدرات واستثمارها يؤدي إلى تمهيد الطريق إلى نجاح عملية إعادة التنشئة الاجتماعية للمساعدة على إعادة دمجهم في المجتمع الأصلي وإحاطتهم بالحماية والرعاية.

الخلاصة

وضحت نتائج هذه الدراسة المتعمقة بعدين أساسيين. فالبعد الأول هو التنوع والتباين والاختلافات في ظاهرة أطفال الشارع مما يحد من القدرة على التوصل إلى تعريف واحد محدد ودقيق وملائم، كما يحد من القدرة على تحديد منهجية واحدة ملائمة للتدخل لتوفير الحماية.

أما البعد الثاني فهو تواجد أطفال وشباب الشارع ضمن نسيج اجتماعي متماسك لمجتمعات الشارع اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً يساعدهم على التكيف والبقاء بالشارع مما يحد من القدرة على "إنقاذ" أو "انتشال" سريع لهؤلاء الأطفال والشباب من محيط الشارع إلا في حالات قليلة من أطفال حديثي التواجد بالشارع ويقابلون مصاعب في التكيف على حياة الشارع ويترددون في الرجوع إلى التفكك و/أو العنف المتواجد بأسرهم المعيشية.

ومما سبق يمكن استخلاص التوصيات كالآتي:

- أكثر احتياج لأطفال وشباب الشارع هو توفير حقوقهم الأساسية في الحصول على الموارد المطلوبة لحمايتهم والارتقاء بعمليات نموهم الاجتماعية والنفسية والفكرية والصحية والثقافية.
- استخدام الأساليب التأديبية والتأهيلية بالإكراه لا يجدي في توفير مثل هذه الاحتياجات التنموية، لذلك فالمنهجية المقترحة هي منهجية بناء علاقات مع الأطفال والشباب بالشارع تتسم بالثقة والاحترام والتقبل كأفراد لهم كرامتهم وقادرون على تغيير مسارات حياتهم.
- يحتاج الأطفال والشباب في الشارع إلى بناء علاقات ثقة واحترام مع بالغين يهتمون بهم ويحاورونهم ويصغون إليهم ويوفرون لهم فرص التعلم غير النظامي الذي يوسع مداركهم ووعيهم الاجتماعي ويمكّنهم من الاختيار الإرادي لنوعية حياة أفضل. وهذا يتطلب من البالغين المهتمين بهم عدم فرض الحلول على الأطفال ولكن يتطلب المصاحبة المستمرة لهم في حياتهم اليومية بالشارع مع تقديم المساندات للتصدي لمشكلات الحياة اليومية دون شروط مسبقة ولاستثمار مهاراتهم وقدراتهم على تمهيد الطريق لإعادة التنشئة الاجتماعية للمساندة في إعادة دمجهم في سياق المجتمع.
- إن ظاهرة أطفال وشباب الشارع ليست من الظواهر التي يمكن القضاء عليها بسهولة ولكن هناك احتياج إلى التخفيف من وطأتها بالاهتمام بالآتي:
- تدخل الجمعيات الأهلية في مساندة الأسر لزيادة تماسكها ولتعميق مبادئ التنشئة السليمة للأبناء الخالية من العنف ومبادئ حقوق الأبناء على الوالدين، وأهمية دور القدوة من الآباء والأمهات.
- زيادة قدرات الإدارات المدرسية في متابعة التلاميذ عن قرب من حيث غيابهم وتسربهم وضعف إنجازاتهم وربط التعليم بالتربية، وجعل العملية التعليمية متعة لتحقيق الذات.
- تفعيل قانون الطفل من حيث إتاحة فرص نظام الصبية للتدريب المهني في بيئة مناسبة صحياً ونفسياً واجتماعياً.
- زيادة الدعم والخدمات والعناية بمجتمعات المناطق العشوائية والشعبية بالمدن مع التركيز على فرص متاحة للأطفال والشباب لتنمية قدراتهم الذهنية والبدنية والإبداعية والاجتماعية كبديل لمغريات الشارع.

الملاحق

ملحق رقم (١)

حالات ونماذج من قيادات الشارع بالمكان الأول بمنطقة (ب)

ملحق رقم (١)

حالات ونماذج من قيادات الشارع بالمكان الأول بمنطقة (ب)

الحالة الأولى من قيادات الشارع بالموقع

القائد يبلغ من العمر ٣٥ سنة ويعيش بمفرده في الشارع، وأحياناً يبيت في جراج عربات الميكروباص بالميدان، وفي أحيان أخرى يؤجر حجرة يعيش بها بمفرده أو مع أحد الأطفال. في أحد الفترات كان يقيم في عشة قرب الحديقة. ومصدر دخله يتنوع من فترة لأخرى، أحياناً يقوم بالجلوس على أحد صناديق الورنيش، وأحياناً أخرى يصنع أبواب المحال، أو يقف بفرشة شاي، أو يقوم بتصنيع صناديق الورنيش ويشغل عليها الأطفال. يعمل الطفل على صندوق الورنيش ويعطيه كل ما يكسبه في مقابل حصوله على الحماية والكلَّة والطعام.

في أحد المقابلات مع الباحث بمنطقة عمله بالميدان دار الحوار التالي بين هذا القائد وبين أحد الأطفال الجدد:

- خد يا ابني أنت اسمك إيه؟
- ■ اسمي أحمد
- هو أنت منين؟
- ■ أنا من أسيوط
- وسايب البيت ليه؟
- ■ أصل أمي ميتة وأبويا متجوز غير أمي. ومراته بتضربني.
- طب تشتغل معايا؟
- ■ ماشي أشتغل إيه؟
- هتشتغل معايا تاخد ٥ جنيه في اليوم وتقعد على الفرشة بتاعتي.
- ■ ماشي انت اسمك إيه؟
- أنا اسمي (..) ولو واحد كلمك قولّي، يلاّ روح أقعد على الفرشة اللي هناك دي واستناني هناك.

لا تبدأ علاقة (..) بالطفل كعلاقة عامل بصاحب عمل، بل هي أقرب إلى علاقة أب بالابن أو الابنة. تبدأ العلاقة بأن يطلب القائد من الطفل القيام ببعض المهام الهينة. ومن المعروف عن القائد ممارسته الشذوذ الجنسي مع الأطفال. وفي أحد المرات قبض عليه من أحد أمناء الشرطة وهو يمارس الجنس مع طفل، وتعرض لضرب مبرح من أمين الشرطة. هذه المسألة مشهورة عنه في الحديقة كلها ولم ينكرها للباحث. أيضاً إنه يتناول البرشام بشراهة شديدة جداً، ويعطي الأطفال البرشام، ويبرر فعلته بأنه مدمن ويعرف جيداً مدى حاجة المدمن إلى البرشام.

وفي أحد المرات شاهده الباحث وهو يعطي أحد الأولاد في الحديقة علبة من الكلَّة ويأخذ منه جنيها. وحين سأله الباحث عن ذلك فقد رد بأن الأولاد تشتري الكلَّة في كل الأحوال، فلماذا لا يستفيد هو من بيعها لهم حين لا يكون لديه عمل أو مصدر رزق.

في الحوارات معه يقدم القائد نفسه باعتباره فاعلاً للخير، يساعد الأولاد على تدبير أحوالهم بتوفير صندوق ورنيش أو توفير نومة أو حمايتهم من البلطجية. أحياناً يستفيد منهم مالياً. ولكن الاستغلال الجنسي لهم مع الإشباع النفسي الناتج عن العلاقة المتبادلة هو العنصر الفاعل. ويشتكي (..) من أن الأولاد ينسون ما فعله معهم في أيام وجودهم الأولى في الشارع، بعد أن يجدوا طريقاً آخر لحياتهم في الشارع، بل إن بعضهم يقوم بسرقة صندوق الورنيش الذي يعطيه لهم للاسترزاق منه.

والعديد من الأطفال ينادونه أبا (..) أو عم (..)، ورغم قسوته أحياناً مع الأولاد فهو مصدر مهم للعون والحماية لهم. تقول فتاة عمرها ١٣ سنة: "أنا أحب الجنينة لأني لاقيت فيها أبويا (..)، هو حنين قوى يا ريته كان أبويا الحقيقي ما كنتش سبت البيت أبداً". حيث يتمتع بحس قوي للفكاهة والكوميديا. لا يسبب له مشكلة قيام الأطفال بالضحك عليه أو حتى السخرية منه. في فصل الصيف يسهر في المساء ويقوم مع الأطفال بتأدية تمثيليات هزلية. وهو متسامح مع حياة الأولاد بالنسبة لشم الكلَّة أو السجائر، بل ويوفرها لهم بمال وبدون مقابل.

وهو يتعرض بصفة دائمة للقبض عليه في حالة حدوث أي سرقة بغرض الحصول منه على معلومات عن المترددين على الحديقة خاصة من أطفال وشباب الشارع. يبدو أن شخصيته المرحة والمتفاهمة تجعله قادراً باستمرار على التفاهم مع الشرطة. ويشير في حواراته مع الباحث إلى قيامه بدفع نقود لأمناء الشرطة. في أحد الخناقات التي نشبت مع أحد الشباب في الحديقة تمكن (..) من تعبئة عدد ضخم من البلطجية (٨ مسلحون بالسنج والمطاوي). وحينما سأله الباحث عن كيفية جلب هذا العدد الكبير قال إن وجوده أكثر من عشرين سنة في الشارع جعل له العديد من الأصدقاء "أنا أتربى على أيديّه أكثر من ٥٠٠ عيل".

الحالة الثانية من قيادات الشارع بالموقع

القائد عمره ٤٢ سنة ويعمل مرشداً للشرطة. له فرشة للشاي يبيع للزبائن من مرتادي الحديقة والمسافرين. له علاقة بالأولاد الذين يقومون بمسح عربات موقف الميكروباص وبسائقي الميكروباص. يحصل على دخل من هؤلاء الأولاد نظير تركهم يعملون في "سلام". عمله مرشداً غير رسمي للشرطة إضافة إلى علاقة الصداقة التي تربطه بالمخبر هي مصدر نفوذه الرئيسي. ومعروف عنه تحرشه الجنسي ببنات الحديقة.

القائد متزوج ويسكن قرب الميدان، ولكن زوجته تعيش أغلب الوقت في الصعيد. كثيراً ما يسأل البنات أن تقمن بتنظيف البيت له، ويتحرش بهن جنسياً بمشاركة المخبر بالحديقة. وقد نتج عن علاقته بإحدى الفتيات حمل، وعرف أبوها بذلك، وجاء إلى الحديقة وتكلم معه مهدداً بإبلاغ الشرطة فأبدى استعداده للزواج منها (سنها الآن ١٦-١٧سنة) ولكن الفتاة رفضت بشدة.

ورغم علاقاته المتعددة بالبنات لا توجد دلائل على استخدامه لهن في الدعارة، أو الحصول على مكسب مادي باستثناء تدعيم صلته بالمخبر. وقد حاول باحثو مركز الاستقبال التعامل معه واستقطابه بشرح دور مركز الاستقبال وأهدافه. وقد أبدى حماساً ظاهرياً في المساعدة ولكن أكثر من طفل صرح للباحثين بقيامه بزجره وتهديده في حالة اتصاله بالمركز. كما أنه يقوم بنشر الشائعات السلبية عن المركز.

الحالة الثالثة من قيادات الشارع بالموقع

القائد عمره ٣٥ سنة، ويعتبر مشهوراً في الحديقة رغم عدم إقامته الدائمة بها. أسرته من منطقة أم المصريين، وقد تعود على ترك الأسرة منذ سن السابعة. قبض عليه عشرات المرات في قضايا سرقة لأنه يسرق أساساً من الأسواق التي تقام في الأحياء الشعبية مثل سوق الثلاثاء في إمبابة.

الحديقة بالنسبة له هي بداية علاقته بالشارع والآن تمثل مكاناً لزيارة أصدقائه القدامى ولجلب أطفال جدد يعاونونه في السرقة ويمارس معهم الجنس المثلى. في أحد المرات قابله الباحث في الميدان وشاهد معه طفلاً فسأله عنه ورد القائد قائلاً: "أنا عارف أنا لاقيته مع (القائد الأول) روحت مدي (..) بنطلون وقلت له سيب الولد ده معايا، راح قال للولد خليك مع (..) وهو هايجيبلك اللي انت عايزه، وأديني لسة ما شفتش منه حاجة بس باين عليه واد غلبان، وأهو هايقعد يومين ويغور".

يقضي القائد أغلب وقته في منطقة أخرى ويأتي الحديقة أساساً لجلب أولاد جدد أو لبيع مسروقاته من الأسواق. وقد سأله الباحث لماذا لا يأخذ سكناً (حجرة) كما فعل العديد من أصحابه أجاب: "أنا قبل كده خدت شقة في أبو النمرس. كنت واخد أوضة هناك وجايب معايا وابور جاز وحلل وكنت مبسوط، وكنت أروح كل يوم المغربية. لغاية ما فيه مرة ظابط جالي، وكانت الساعة اتنين الصبح، هو واتنين مخبرين وخدوني القسم وخدت علقة لسة فاكرها لحد دلوقت. وعرفت بعدها أن السمسار اللي أنا واخد الأوضة عن طريقه يبقى مرشد للحكومة ولما شافني غيرت كذا عيل في الشهر اللي قعدته، قال بس الواد ده بتاع عيال وراح مبلغ فيّ".

إن مغامرات هذا القائد، وقدرته على التصرف تثير خيال الأطفال حيث يرون فيه فيلماً سينمائياً من أفلام عادل إمام، الممثل الأكثر جاذبية لدى الأطفال.

الحالة الرابعة من قيادات الشارع بالموقع

هذا القائد متخصص في صناعة وتوفير صناديق ورنيش الأحذية حيث العائد من كل طفل من الممكن أن يصل من ٢٠-٣٠ جنيه يومياً. والطفل الذي لا يحقق هذا العائد في الغالب لا يحصل على أجر نقدي إطلاقاً، بل يحصل على احتياجاته من أكل ومكيفات وحماية. العلاقة هنا ليست علاقة صاحب العمل بالعامل مثل أطفال الورش بل تتسم بطابع العلاقات التقليدية الأبوية، حيث يشبع البالغ جزءً من احتياجات الطفل العاطفية للأب وأحياناً يوفر لأحد الأطفال الإقامة في الحجرة التي يعيش بها. إن ذلك لا ينفي وجود الاستغلال في هذه العلاقة كما لا ينفي تخلص الطفل منها بعد فترة من الزمن.

لقد كشفت دراسة الفاعلين في مجتمع الشارع أنه بالإضافة إلى علاقات الجوار في الشارع توجد علاقات جوار ومعيشة مشتركة ناتجة من تأجير هذه الحجرات، فطفل الشارع المنفصل عن أسرته أحياناً يكون له مأوى.

ملحق رقم (٢)

حالات ونماذج متفرقة لأطفال وشباب الشارع

ملحق رقم (٢)

حالات ونماذج متفرقة لأطفال وشباب الشارع

مقدمة

في إطار الدراسة الميدانية تمت مقابلات عديدة مع أطفال وشباب الشارع. لجأ فيها الباحثون إلى مهاراتهم الوظيفية وتواجدهم لفترات طويلة بالشارع وكسبهم ثقة المقيمين فيه. وبتكرار المقابلات وخصوصاً بمركز الاستقبال استكملوا المعلومات ودققوها. وما سوف نعرضه من حالات هو مجرد نماذج لدراسة حالات تمت صياغتها بشكل قصصى لتعبر عن الحالة وتاريخها ومدة تواجدها وما تصادفه من أحداث في الشارع. والأسماء المذكورة ليست حقيقية حفاظاً على سرية الحالات وأمانة البحث العلمي.

الحالة الأولى .. ماهر

قصة ماهر نموذج لطفل يعمل عملاً هامشياً مع الأسرة بالشارع، فهو طفل عمره تسع سنوات قابله الباحث وهو يقوم بالتسول. يعمل والده بائعاً متجولاً للفاكهة، كان دائم الشجار مع الأم فطلقها وتزوج أخرى تاركاً للأم تربيته وأخاه محمد الذي يكبره بعام واحد وأخته التي تبلغ من العمر ١٥ سنة.

بعد الطلاق تركت الأم منزلها بشبرا وحالياً تعيش في حجرة مؤجرة بمنطقة ميت عقبة مع بنتها وتعمل على فرشة شاي في حديقة أمام مستشفى وجامع. تجلس الأم طول النهار على فرشة الشاي وبجانبها ابنتها. الابنة تساعد الأم على فرشة الشاي بينما يقوم ماهر وأخوه محمد بالتجول بين الأماكن والمناطق المختلفة للتسول.

يقول ماهر أنه يحصل من التسول على ٥ -١٠ جنيهات في اليوم. يعطي أمه منهم ثلاثة جنيهات ويقوم بإنفاق الباقي على نفسه. وينفق ماهر نقوده على شراء الجيلاتي والحلوى ويذهب إلى منطقة ميت عقبة حيث توجد قهاوي تعرض أفلام فيديو وبجانبها بعض محال الأتاري والفيديو جيم. أحياناً يشتري ثلاث سجائر "فرط" ويقوم بتدخينها مع أخيه وأصدقائه الذي يعملون بالتسول في المنطقة أو على القهوة في ميت عقبة.

ماهر ينام دائماً في فترات الصيف في حديقة عامة هو وأخوه. وعندما سأله الباحث لماذا لا يذهب إلى بيت أمه في ميت عقبة رد قائلاً: "علشان الجنينة كبيرة والحتة اللي أمي مأجراها ضيقة وصغيرة بأحس فيها أني مخنوق، هنا الهوا حلو".

في الشتاء يقضي ماهر وأخوه أغلب الوقت مع الأم في حجرتها وإن كانوا يتركونها أحياناً لمدة يوم أو يومين.

بالنسبة لتاريخ علاقة ماهر بالشارع فيبدو أنه معتاد عليه منذ وعي على الدنيا حيث كان يرافق أباه عندما يتجول بفاكهته. لم يدخل ماهر مدرسة على الإطلاق. عندما سأله الباحث عن السبب قال "أخويا محمد دخل مدرسة كام شهر، وبيقول على المدرسة إنها عاملة زي السجن".

يحب ماهر أخاه حباً شديداً ويتحركان سوياً أغلب الوقت. الأم من ناحيتها ليس لديها مشكلة كبيرة مع تركهما المنزل ومبيتهما في الشارع طالما يعطيانها جزءًا مما يحصلان عليه من مال من خلال عملهما في التسول. أيضاً فإن ماهر وأخاه عندما يتسولان في الشارع يكونان تحت "عين" الأم بصورة أو بأخرى. فهما يمران عليها في فرشة الشاي خلال اليوم. أن مورد المساندة لماهر هو أخوه الأكبر محمد فهو مستشاره وزميله في الشارع. يتعلم منه ويسير على خطاه. أيضاً فإن الأم قريبة جغرافياً من مكان عملهما. يحصل ماهر وأخوه على عطف البالغين في الحديقة من باعة شاي وباعة فل نتيجة لمعرفتهم بالأم.

برغم أن الأم والأخ يشكلان مورد مساعدة معقول لماهر إلا أن له علاقة بالأقران الذين يقضي معهم وقت الترفيه في ميت عقبة. لقد جرب ماهر المخدرات في أحد المرات "مرة خدت نصف حباية من الصراصير خلاني أشوف حاجات طايرة في السما وأعمل حركات غريبة والعيال قعدوا يضحكوا عليا" حينما سأل الباحث محمد إذا كان كرر ذلك مرة أخرى ذكر ماهر أن رجلاً يعرف أمه شاهده وهو يجلس مع الأولاد الذين أعطوه القرص المخدر فأخبر الأم التي ضربته ضرباً مبرحاً بسبب ذلك.

رغم صغر سن ماهر وأخيه فهما على معرفة جيدة بجغرافية المنطقة والمناطق المحيطة بها. عندما يتحركان للتسول يعودان للأم مرة أخرى. أصدقاؤهم في الشارع يعرفون مكان عمل الأم وينقلون لها أخبار ماهر وأخيه محمد.

ماهر يحب الشارع جداً ولكن شكواه الأساسية منأكبر الأولاد سناً الذين يرغبون "في النوم معه" على حد قوله. ليس لماهر مشكلة مع الشرطة حيث لم يصادف أن تم القبض عليه حتى الآن.

لا يحمل ماهر مرارة تجاه الأسرة. يشعر بأنه شخص مسئول يعتمد على نفسه "لأن ما حدش بيصرف عليا، بالعكس أنا اللي بساعد أمي وأختي".

ملحوظة: تثير حالة ماهر مجموعة من القضايا بشأن تعريف طفل الشارع. ماهر هنا ليس طفلاً هارباً من الأسرة بل هو على صلة طيبة بها وفي نفس الوقت فهو ينام في الشارع ويتعرض لأخطاره. رغم تعرضه لأخطار الشارع فإن الأم هي مصدر مساندة بصورة ما.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا أماهر مشروع طفل شارع في المستقبل أم هو أحد الأطفال العاملين في الشارع؟

الحالة الثانية ... محمود

محمود عمره ١١ سنة ويعمل بمسح العربات أمام محل أطعمة جاهزة وهو في الصف الرابع الابتدائي. يعمل ومستمر في الدراسة في نفس الوقت.

في أثناء الدراسة يعمل محمود يومي الخميس والجمعة وفي إجازة نصف العام أو آخر العام يعمل طوال أيام الأسبوع في فترة النهار حتى الساعة السابعة مساءً.

الأب يعمل سائق تاكسي ومتزوج من زوجة أخرى بالإضافة إلى أم محمود. ومحمود له ثلاث أخوات شقيقات وسبع أخوات غير شقيقات من الأب (أربعة أولاد وثلاثة بنات). تعيش أم محمود وأخواته في أرض اللواء. أما الأب وزوجته الثانية فيعيشون في الشرابية.

محمود هو ثاني أخواته في الترتيب. الأخ الأكبر عمره ١٨ عاماً. يعمل حداداً في ورشة ويشارك في الإنفاق على الأم وأخواته. يقوم محمود بمساعدته على المصروفات من خلال عمله في مسح العربات للإنفاق على الأم وأختيه الصغيرتين.

إن الهدف الذي يحرك محموداً في الحياة هو أن يسهم في الصرف على أمه وأن يستمر في المدرسة لكي يصبح أفضل من أخوته من أبيه.

حينما سأله الباحث عن سبب اشتغاله بمسح العربات وليس أي عمل آخر؟ كانت إجابته: "أي شغل تاني هيكون من الصبح لحد بالليل، والفلوس قليلة قوي، مش هأعرف أجيب فلوس لأمي، ولا استمر في الدراسة. هنا ممكن اشتغل ساعتين تلاتة، وأجيب أكتر من اللي هاخده في ورشة من الصبح لحد بالليل. أنا لو اشتغلت في ورشة الأسطى هيقعد يضربني ويديني عشر جنيهات بس في الأسبوع، ودول أنا بأكسبهم في يوم واحد".

لا يعتبر محمود عمله نوعاً من التسول "أنا ما بأعرفش اشحت فلوس من حد وعمري ما عملتها ومش هأعملها. أنا بامسح عربيات وباخد فلوس أحسن من التسول".

مشكلة محمود الأساسية هي قيام الأولاد الأكبر منه بالسطو على ما جمعه من نقود. ويتغلب على هذه المشكلة بأن يقوم بتخبئة ما حصل عليه من نقود في ملابسه الداخلية. أحياناً يقوم بادخار جزء من ماله لدى أحد أصحاب محال الحلويات. أيضاً فإنه على علاقة جيدة بأحد الأولاد الكبار الذي يحميه من تحرشات الآخرين في مقابل حصوله على علبة سجائر أو اثنين من الجنيهات منه.

محمود لا يدخن السجائر ولا يشم الكلَّة أو يتعاطى أي نوع من البرشام. حين سأله الباحث عن ذلك قال إنه يرى غيره من الأولاد يفعلون ذلك لكنه لا يفعل ذلك مطلقاً، محمود يعرف المصطلحات الخاصة بأنواع المخدرات (صراصير، جماجم، وغيره) مما يدل على صلته بعالم أطفال الشارع. ولكنه لم يتعاط أياً منها لقد جرب مرة واحدة تعاطى البرشام، حيث كان قد سمع عنه من الأولاد ووجد واحدة منه في علبة كبريت مع أخيه. استغل فرصة نوم الأخ وقام بابتلاعها أحس بدوخة شديدة جداً، واكتشف أخوه ذلك فضربه وأبلغ الأم عن سلوكه. فعاتبته بشدة ولم يكرر التجربة حيث يقول إن هذه البرشامة ضيعت ١٠ جنيهات بسبب عدم قدرته على العمل في اليوم التالي.

لقد تعرض محمود للقبض عليه وقضى ثلاثة أيام في الحجز، ثم أعادوه إلى أهله. بعد أن قام الأهل بضمانه.

يعطي محمود الأسرة مائة جنيه كل شهر، ويقوم هو وأخوه الأكبر بالمشاركة في المصروفات بالإضافة إلى هذا المبلغ. يرفض بشدة فكرة أن تمارس أمه أو أختاه أي عمل "فهو راجل البيت" مع أخيه الأكبر. محمود يكره أباه بشدة ويقول إنه يتعاطى البانجو ويشرب البيرة والخمور.

يحكي محمود عن يومه كالتالي:

"أنا لو زي الأيام دي (يقصد الدراسة) بأقوم من النوم أفطر وأروح على المدرسة ولما أرجع، بأقعد آكل وبعد كده أنزل على (..) اشتغل لحد المغرب كده وبعدين أنام. في أيام الإجازة بأنزل ألعب في الشارع لحد العصر، وأنزل لحد بالليل وأرجع آكل وأنام".

ملحوظة: يكثر العمل بنفس المنطقة في الصيف حتى المساء المتأخر. بعض الأولاد الآخرين الكبار في السن يعملون حتى الثانية صباحاً، حيث تكون المنطقة مزدحمة في الشتاء يكون العمل أبكر نسبياً. ويعمل محمود في المنطقة منذ مدة سنة وشهرين.

ويسرد محمود عن تعرفه بالمنطقة فيقول:

"أنا كنت بأشتغل في أحد الشوارع دي اللي قدام (..)، كنت بأجيب الأكل للأسطوات وأمسح المحل وممكن أروح اشتري حاجات للمحل، وكنت مرة بأمسح زجاج المحل، المهندس قال لي معلش يا محمود، احنا عايزين واحد كبير شوية، لما تكبر ابقى تعالى". كنت زعلان قوي، رحت اتمشى شوية قبل ما أروح أقول لهم أن صاحب المحل مشاني. رجلي جابتني عند (..)، لقيت العيال ماسكة فوطة، والناس عماله تديها فلوس، قمت رجعت لصاحب المحل وقلت له عايز فوطة، قام اداني الفوطة ورحت تاني عند (..). أول عربية امسحها لقيت الراجل اداني خمسة جنيه، ورحت قلت لأمي ده فيه مكان العيال بيقفوا هناك، ويمسحوا عربيات والناس بتديهم فلوس. أمي قالت لي روح فرح أبوك بالخمسة جنيه، وقالت لي ابقى روح هناك على طول".

يقول محمود إن أباه لا يعرف بالطبيعة المنتظمة لعمله في مسح العربات لأن الأم تخشى أن يطمع الأب فيما يحصل عليه من مال. يحصل محمود على ١٠-١٥ جنيهاً في اليوم في أيام الجمعة والخميس يحصل على دخل أكبر من ذلك حيث يكثر عدد الزبائن.

يتمنى محمود أن يكمل تعليمه ويصبح ضابط شرطة يقوم بالقبض على الأولاد الكبار الذين يفرضون إتاوات على أصغر الأولاد سناً في الشارع ويقومون بشم الكلَّة وبيع الحبوب المخدرة للأطفال. يتمنى أيضاً الحصول على مال يكفي الأسرة بدون الاعتماد على الأب، وأن يجعل محمود أخوته الصغار يكملون تعليمهم ويصبحون أفضل من أولاد الأب من الزوجة الأخرى.

إن حالة محمود نموذج آخر لطفل بالشارع له صلة بالأم ويعاني التفكك الأسري ويحمل مسئولية وطموح أخوته.

الحالة الثالثة ... أشرف

أشرف عمره ١٣ سنة له علاقة متقطعة مع الشارع من قبل أن يبلغ العاشرة من عمره وبدأ في الإقامة في الشارع منذ أكثر من عام بصفة شبه دائمة وإن كان يزور الأسرة بشكل متقطع.

يتحرك أشرف بين المناطق المختلفة التي يتحرك بينها باقي الأطفال والشباب الذين تم دراستهم.

ولد أشرف لأب يعمل في محل فول وطعمية وأم ربة منزل وله أخت وحيدة. وقد ولد بمنطقة الجيارة بمصر القديمة ثم انتقلت الأسرة (الأب والأم) إلى كفر الجبل (آخر شارع الهرم) عندما بلغ من العمر عشر سنوات. كان لدى الأب قطعة من الأرض فقام ببناء خيمة ظلوا مقيمين فيها حتى انتهى الأب من بناء منزل من دور واحد ليقيموا فيه. وقد واجه الطفل مشكلات مع الحي الجديد والمدرسة التي لم يستطع التكيف معها. وساءت نتائجه الدراسية فخرج من المدرسة وهو في الصف الرابع الابتدائي. بعد خروجه من المدرسة عمل لمدة شهر في ورشة ميكانيكي. في الهرم بدأت المشكلات بين الأب والأم كان الأب دائم التغيب عن المنزل ويرغب في أن يعاونه أشرف في كسب الدخل للأسرة. يعتقد أشرف أن أباه يحب أخته أكثر منه وكان دائم الضرب له كلما عمل في ورشة وهرب منها. في الفترات التي كان يغيب فيها الأب عن المنزل تعرفت الأم على رجل كان يتردد عليهم في المنزل وبدأ يعاملهم باعتباره الأب الفعلي، وكان يضرب أخته الصغيرة.

في أثناء الدراسة كان يعمل في ورشة، ونتيجة لانشغال الأم عنه تعلم أشرف التدخين وبدأ في زيارة منطقة الجيزة. وكانت أول تجربة هروب حقيقي له من الأسرة لمدة ٧ أيام متواصلة كان ينام فيها في حديقة الميدان، يلعب ويتفرج على الأطفال التي تطير طائرات ورقية، وتعرف أشرف على أحد السائقين كان يعمل على خط الواسطى- البدرشين وكان يعامله كأبنه -على حد تعبير أشرف- وكان يعمل معه على عربة ميكروباص ويبيت عنده. في أحد الأيام شاهده خاله مع هذا الرجل بالصدفة فأخذه ليعيش معه في موطنه القديم في الجيارة (قرب منزل الجد) ثم أعاده إلى الأم في كفر الجبل. ولكي يتجنب أشرف المعيشة مع الأم أبلغ جده وخاله عن علاقة الأم بالرجل وترتب على موقف الأسرة من الأم أن تركت المنزل في كفر الجبل (الهرم) وهربت مع الرجل إلى الزاوية الحمراء حيث تزوجا بعد طلاقها من الأب وقبلت أسرة أشرف هذه العلاقة على مضض. تعرف أشرف على منزل الأم في الزاوية الحمراء وقال إن سبب سعيه للمعيشة مع الأم هو حبه الشديد لأخته الصغيرة وارتباطه بها، في أثناء معيشته مع الأم وزوجها ضاقا به ذرعاً. حاول في أحد المرات إقناع أخته بترك المنزل معه وهي أصغر منه بعامين ولكنها أبلغت الأم بخطته فقامت بعقابه بالضرب هي وزوجها. هرب منهم لبعض الوقت وذهب إلى أبيه الذي ساعده على العمل في ورشة لبعض الوقت ولكنه تركها بعد أن سرق ٢٠ جنيهاً. في كل مرة كان يهرب فيها أشرف كان يذهب إلى الميدان أو إلى مكان آخر حيث كانتا المنطقتين المألوفتين بالنسبة له. لقد حاول زوج خالة أشرف بدعم من الخالة أن يخرجاه من عالم الشارع. كانا دائمى السؤال عنه في مركز السيدة ومركز الجيزة للأطفال بالشارع وكان دائم الذهاب إليهما عندما يحتاج إلى ملابس أو علاج أو إلى فترة راحة من الشارع ثم ما يلبث أن يتركهما مرة أخرى. ساعده زوج الخالة على الالتحاق بعمل في مصنع الأخشاب الذي يعمل به زوج الخالة فهرب منه. يبرر أشرف هروبه بأن العائد لم يكن كافياً على الأقل بالمقارنة بما كان يتحصل عليه في الشارع من التسول، حيث كان قد تعلم التسول ومسح العربات. أيضاً فإنه كان مستاءًا من فكرة أن الأسطى الذي يعمل معه في المصنع كان مدركاً أن خاله قد "لمه من الشارع". على حد تعبير الأسطى في أحد المرات التي كان يعنف فيها أشرف على عدم كفاءته في العمل، كما كان زوج الخالة دائم التعنيف والضرب مما كان يؤدي إلى هروبه المتكرر من منزل الخالة رغم حبه الشديد لها على حد قوله. الخالة من ناحيتها مرتبطة به جداً ودائمة السؤال عنه كلما هرب.

في أحد المرات قام المشرف الميداني بلقاء الخالة وأشرف في المركز وناقشوا حالته حيث طلب من الخالة وزوجها عدم استخدام العنف معه ومن ناحيته تعهد أشرف بعدم الهرب منهم ولكنه طلب أن يأتي معه أحد أصدقائه في الشارع لكي يعمل معه، ويعيش في بيت الخالة معه. في هذه الفترة تحسنت علاقة أشرف مع خالته وزوجها جداً إلى أن سرق هذا الصديق نقوداً من منزل الخالة وهرب إلى الشارع فعاقبت الخالة أشرف على سلوك صديقه باعتباره مسؤولاً عن فعلته، وانتهي الأمر بأن ترك المنزل مرة أخرى وعاد إلى أصدقائه في الشارع. قابله الباحث بعد شهر من هروبه وهي أطول مدة متصلة قضاها أشرف بالشارع منذ بدأ الهروب المتكرر من الأسرة وقد برر أشرف عدم ظهوره في المركز كل هذه الفترة بخوفه من محاولات إرجاعه إلى الخالة مرة أخرى، حيث عقد العزم على الاستمرار في الشارع. عندما سأله الباحث عن نيته بخصوص المستقبل قال:

"الشارع أحسن، الأب مش بيسأل والأم خلاص تعتبر مش موجودة وخالتي بتضربني خلاص هأعمل إيه؟. من ساعة أمي ما هربت مع الراجل اللي كان بيطلع البيت معاها وهو الواحد حاسس أنه حقيقي ما فيش فايدة خلاص. لولا حكاية أمي الله يسامحها كان زماننا الحمد لله عايشين كويسين".

وعلاقة أشرف بالشارع بدأت منذ أن كان في مدرسة كفر الجبل الابتدائية حيث كان دائم الهروب من المدرسة لتعنيف المدرسين له نتيجة لمستواه الدراسي "النص نص" على حد تعبيره. تعلم التدخين وبدأ في التعرف على حديقة الميدان كمنتزه. هناك بدأت تنمو علاقاته بعالم الشارع حيث تعرف على التسول وطور من تقنياته فبدأ في معرفة أكثر الأماكن ربحية. وقد دله أصدقاؤه على منطقة من المناطق حيث يستطيع مشاهدة الفيديو ولعب الأتاري ومعاكسة الفتيات. نتيجة لتردده المستمر على الأسرة في أثناء وجوده في الشارع فإن ملابس أشرف تبدو نظيفة نسبياً. في هذه المنطقة تعرف على شم الكلَّة. يقول أشرف عندما سأله الباحث إذا كان يشم الكلَّة "العيال كلها بتشم الكلَّة مش أنا بس".

يحصل أشرف على الكلَّة من أكبر الأولاد سناً الذين يبيعونها لهم بسعر أغلى نسبياً ويقول إن ذلك أسهل من الحصول عليها من الموان (بائع معدات الدهانات) الذي يرفض أن يبيعها لأصغر الأولاد سناً حينما يلاحظ من مظهرهم أنهم يشترونها للشم.

يحكى أشرف يومه في الشارع كما يلي:

"يوم الجمعة باصحى الصبح وأروح على جامع السيدة والناس خارجة من الصلاة باشحت فلوس وأكل، فيه ناس كتير بتوزع أكل وندر بعد الصلاة يوم الجمعة. وبعد كده أروح على قهوة اتفرج على فيلم أو فيلمين فيديو، ساعات أروح أنام في دكان العربية النقل اللي في وسط البلد أو أدور على حتة أنام فيها في (..). أما في الأيام العادية نروح الصبح على السيدة نفطر وبعدين كل واحد يروح على رزقه. ساعات نروح نمسح عربيات علشان نجمع فلوس، واللي بيجيب سجاير بيجيب واللي يجيب كلَّة يجيب، وساعات نروح نشحت أو ساعات نروح البحر عند التحرير تحت الكوبري. هناك بقة نستحمى ونعمل شغل كويس، أصل كل واحد واقف هناك بيبقى معاه واحدة إحنا بقى نقعد نرخم عليهم، بالتسول وساعات نجيب ورد ونبيع لهم بالعافية".

تعرف أشرف على أماكن النوم المناسبة والآمنة، حيث ينام على كرتونة أمام أحد المحلات أو في عربة نقل غير مستخدمة، ويمتلك خبرة ومعرفة جيدة بجغرافيا القاهرة، حيث إنه دائم التنقل سواء لتجنب المضايقات الأمنية أو تحرشات أكبر الأولاد سناً من أطفال الشارع أو للبحث عن فرص أفضل لتقليب الرزق، يقول أشرف "ساعات بأروح حلوان وساعات التحرير والناصرية، ما أحبش أكون في حتة على طول". العمل بالنسبة له لا ينفصل عن الترفيه لا يقوم بأي عمل منتظم في الشارع بل هو أقرب إلى تقليب الرزق وبالقدر الذي يسمح فقط بالبقاء والحصول على "الضروريات" من أكل وشراء كلَّة وسجائر. هو لا يدعم الأسرة مالياً على الإطلاق.

يحمل أشرف مشاعر طيبة للأم رغم عدم مقدرته غفران علاقتها برجل آخر غير والده. على عكس مشاعره تجاه الأب حيث أكد أشرف أكثر من مرة قيام الأب بالسرقة وتعاطيه المخدرات والأقراص المخدرة وعدم اهتمامه بشئون الأسرة. من ناحية أخرى فإنه يحمل كرهاً شديداً لزوج الأم الذي يعتدي بالضرب على أخته الصغيرة.

بالنسبة للمشكلات التي تواجهه في الشارع فمثل الكثير من أصغر الأولاد سناً نسبياً، نجد أن مصدر الشكوى الأساسي من أكبر الأولاد سناً الذين يحتالون عليه أو يحصلون على النقود أو السجائر أو كلَّة بالإكراه. رغم هذه المشكلات التي يواجهها في الشارع فإنه يفضل الشارع على البيت فكما يقول: "في الشارع أنا على راحتي وما حدش يتحكم فيا ويقول روح وما تجيش".

أشرف متفائل ويتطلع إلى أن يمتلك ورشة ميكانيكي حيث يحب هذه المهنة، أيضاً فإنه يرغب عندما يكبر في أن يكون أسرة ويكون لديه أولاد يعطف عليهم بحيث لا يضطرون إلى ترك المنزل مثلما فعل هو.

إن حالة أشرف نموذج للطفل الهائم على وجهه المحب للشارع رغم ما فيه، مع وجود أسرة بها الأب مدمن والأم خائنة.

الحالة الرابعة ... رمزي

كان رمزي يعيش مع أسرته في حي دار السلام جنوبي القاهرة. الأسرة تتكون من الأم وتعمل خادمة في المنازل والأب يعمل قهوجي بالإضافة لثلاث أخوات أكبر منه واحدة صغيرة ولدت في أثناء زواج الأم الثاني، ولكن يعتقد رمزي أنها أخته من أبيه ولكن زوج الأم كتبها باسمه بعد طلاق الأم من الأب الأصلي.

كانت أسرة رمزي تعيش في شقة مستأجرة من صديق زوج الأم الذي أصبح الزوج الثاني للأم. هذا الصديق كان في وضع مالي أحسن من الأب ويعمل تاجراً متجولاً للأدوات المنزلية البلاستيكية (الساكسونيا) وله عربة متنقلة في منطقة العتبة يبيع عليها الأدوات المنزلية.

يحكي رمزي عن هذه الفترة

"كنت صغيراً ومش فاهم حاجة بس أبويا كان دايماً يتخانق مع أمي، بسبب أن صاحبه كان دايماً يدخل البيت وهو مش موجود. لما كبرت عرفت أن أمي كانت ناوية من الأول تتجوز الراجل وتسيب أبويا".

الشجار الدائم في البيت بين الأب والأم تطور إلى أن تركت الأم المنزل ورفعت قضية طلاق ظلت منظورة أمام المحاكم لمدة سنتين خلال السنتين كانت الأم تسكن في حجرة عن طريق صديق الأب في دار السلام، وحينما حصلت على الطلاق فإنها تزوجت من صديق الأب وأخذت أولادها الأربعة لكي يعيشوا مع زوج الأم.

كل ما يذكره رمزي عن أبيه أنه "كان راجل في حاله، مالوش دعوة بيا كان طول النهار يشتغل وبعد كده يرجع ينام".

يقول رمزي إن معاملة زوج الأم كانت جيدة في السنة الأولى، بعد مرور الوقت بدأت معاملته في التغيير بشدة ولم تكن الأم في وضع يسمح لها بوقف ذلك فكانت توافقه على كل ما يفعل. بعد ذلك خرج رمزي من المدرسة في الصف الرابع الابتدائي وبدأ أخواته الكبار يخرجون من المدرسة حيث يعملون ويساعدون الأسرة على المصروفات.

بعد أن خرج رمزي من المدرسة كان يسرح مع زوج الأم في عمل عربته التي يبيع فيها الخردوات والأدوات المنزلية . لم يكن زوج الأم يدفع له أي أجر عن عمله. في نفس الوقت كانت الأم تعمل خادمة في المنازل. بعد أن قضى رمزي مع زوج أمه شهرين في العمل طلب من أمه إقناع زوجها بترك العمل معه ليتعلم صنعة أفضل. عمل رمزي بورشة خراطة في دار السلام حيث يسكن ويقول إنه كان يحب عمله في الورشة ويحصل منه على ١٠ جنيهات أسبوعياً تقبضهم الأم بالنيابة عنه.

وظل يعمل لدى هذه الورشة حتى سن ١٢ سنة (عمل لمدة عام ونصف) خلال عمله مع الورشة كان الأسطى يذهب به إلى رمسيس والسبتية لشراء قطع غيار ومستلزمات للورشة وأحياناً كان يرسله بمفرده، يحكي رمزي عن انطباعاته عن المنطقة بأنه كان مبهوراً بالقطار "كنت باشوف القطر قولت ياريت أقدر آجي هنا لوحدي، أقعد أشم هوا وامشي. وفي مرة بعتني الأسطى للسبتية قعدت اتفسح طول اليوم، ولما رجعت ضربني واتحججت إني تهت في الشارع".

في أحد الأيام حينما حصل رمزي على أجره الأسبوعي طلب من زوج الأم أن يشتري له بنطلون فرفض ذلك بشدة وقام بتعنيفه على طلبه. أحس بالظلم الشديد لأن هذه نقوده التي كسبها بنفسه وقرر أن يعانده بأن يتوقف عن الذهاب إلي العمل بالورشة رغم حبه الشديد للعمل بالورشة على حد قوله والمعاملة الطيبة لصاحب الورشة وفي صباح اليوم التالي بدلاً من الذهاب للورشة ركب أتوبيساً ذهب به إلى رمسيس لأن هذا المشوار كان مألوفاً له بحكم عمله في الورشة.

بعد العودة للبيت استمر رمزي في الهروب المتكرر من البيت كلما تعرض للضرب من زوج الأم وفي كل مرة جديدة كانت تجربة الهروب أكثر سهولة لتطور خبراته المكتسبة في الشارع ولزيادة عدد أصدقائه. تبلغ المدة التي قضاها رمزي في الشارع خمس سنوات عند مقابلته ولكن أطول تجربة هروب متصلة من البيت كانت لمدة ثلاثة شهور متصلة قضاها في الشارع. فيما عدا ذلك فهو مثل غيره من أطفال الشارع يقبض عليه ويتم تسليمه للأسرة ثم يعود للهروب مرة أخرى. حيث يعود إلى الأسرة يعمل مع زوج الأم في الساكسونيا ثم ينتهز الفرصة ويسرق مبلغاً من المال ويهرب به. الأسرة تعرفت على مركز الجيزة ومركز السيدة لقرية الأمل وأصبحت على علم بأماكن تواجده أو على الأقل بالأماكن التي يمكن لهم السؤال عنه فيها.

في رمسيس تعرف رمزي على وسائل كسب الرزق من التسول وأخذ ينوع الأساليب. فقد علمه الأولاد أن يشتري مناديل ويقوم ببيعها في المواصلات العامة. في بعض الفترات كان يقوم بتبخير المحال. في رمسيس بدأت علاقته بشم الكلَّة. يقول:

"لما كنت شغال في الورشة كنت بشرب سجاير على خفيف، لكن لما هربت ورحت رمسيس، كانت السجاير عادي بيننا. وكانوا بالليل بعد الشغل بتاعنا واحنا في رمسيس نجيب علبة كلَّة ونقسمها على بعض. وكان فيه ساعات واد كبير بيجي يبيع لنا برشام الصراصير ده"من خلال التجول بالمناديل في الأتوبيسات ومن خلال أصدقائه في رمسيس تعرف على الجيزة. يحكي رمزي عن بداية تعرفه على الجيزة: "كنا بعد ما نتعب من اللف نقعد في جنينة السكة الحديد، وهناك اتعرفت على رجل كبير قاللي سيبك من البهدلة اللي انت فيها دي وتعالى اشتغل معايا. وراني معاه فلوس كتيرة وكان معاه فرشة كويسة بينام عليها. وابتديت أقعد معاه شوية على صندوق الورنيش وشوية على بيع المناديل، وكنت كويس معاه قوي ييجي أربع شهور، لحد ما لقيت معاملته اتغيرت. روحت واخد صندوق الورنيش وسبته ومشيت. رحت تاني على رمسيس وقعدت ييجي شهر كده، وبعدين رجعت تاني على الجيزة. أنا كنت خايف منه على حكاية الصندوق دي بس هو ما اتكلمش معايا على الموضوع ده خالص، وأهو أنا قاعد مع العيال السيس اللي هنا بناكل ونشرب من التسول ومسح العربيات".

يلاحظ رمزي أنه عندما كان يعمل مع الرجل الكبير لم يكن أحد من المخبرين في الجنينة أو أمناء الشرطة يتعرض له أو يعتدي عليه وبعد أن تركه أصبح يتعرض للضرب والطرد من الجنينة، ويفسر ذلك بأن بعض هؤلاء الكبار يعطون نقوداً للمخبرين وأمناء الشرطة.

بعد أن ترك رمزي هذا الرجل ساعده آخر على مزاولة العمل بسينما في منطقة الجيزة. كان يحصل على مرتب ٩٠ جنيهاً شهرياً. قبض عليه للتحرى في أحد المرات ففقد هذه الوظيفة.

رمزي يعتبر أصدقاءه من نفس السن (الصغيرين) هم أفضل من الأخوات يضحك معهم ويأكل معهم ويكسبون الرزق سوياً. كل مشكلة هي من الكبار الذين يقومون "بتقليبهم" والحصول منهم على النقود وأحياناً يحاولون الاعتداء الجنسي عليهم بالعافية.

بالنسبة لفكرة الرجوع للأسرة فهو يستبعد حدوث ذلك تماماً ما لم يترك زوج الأم أمه وبشرط أن تسمح له الأم بزيارة أصدقائه في الشارع. ويكون معه نقود باستمرار من خلال العمل في الورشة أو بأي عمل يدبره له المركز بالجيزة.

يحلم رمزي بأن يكون ممثلاً كوميدياً عظيماً مثل عادل إمام وشارك في الأنشطة المسرحية للنادي بحماس واضح.

هذا نموذج آخر لأطفال الشارع ذوي الصلة المتقطعة بالأسرة والذين يتعرضون لمساعدة الكبار وأيضاً مضايقاتهم والاعتداء عليهم.

الحالة الخامسة ... حسين

تتكون أسرة حسين من الأم والأب وأخ أصغر توفى حينما كان سن حسين ست سنوات بسبب حادث سيارة عندما كان يعمل مع الأم في الإشارة. وله أخت صغيرة سنها ٥ سنوات وأخ سنه ١٨ سنة يعيش ما بين الشارع ومؤسسات الأحداث منذ سن عشر سنوات.

أم حسين تعمل في بيع المناديل بمنطقة مصر الجديدة منذ وعي حياته. أما الأب فليس له مهنة محددة فهو يعمل ارزقي في مجال المعمار مثل صب الخرسانة. ولكن حينما كان يعيش مع الأم في مساكن عين شمس فقد كانت الأم هي المصدر الرئيسي لدخل الأسرة من عملها في بيع المناديل.

كان حسين يخرج مع الأم لبعض الوقت حينما كان سنه ست سنوات حتى خرج من المدرسة في سن ثماني سنوات (بعد ثانية ابتدائي) وخلال هذه الفترة كان أخوه يعيش في منطقة أحمد حلمي ويعرف نادي شبرا.

وكان حسين يبيت أحياناً مع أخيه في حديقة أحمد حلمى وكان يأخذه للعمل معه في سوق روض الفرج. حكى له أخوه عن نادي شبرا وبدأ في زيارة النادي. كان يقضي الليل في حديقة أحمد حلمي ويقضي جزءًا من نهاره في النادي. وأحياناً يزور الأسرة التي بدأت تدب فيها الخلافات والمشاحنات طول الوقت بسبب تعاطي الأب المخدرات وضغطه على حسين وأخيه لكي يقوما بالعمل مع الأم في بيع المناديل.
خلال الفترة من سن ٨ سنوات وحتى سن ١٣ سنة كان حسين يتحرك بين العمل مع الأم في بيع المناديل ونادي شبرا والشارع بمنطقة أحمد حلمي قبل إزالة الموقف والبيت. خناقات الأم مع الأب كانت كثيراً ما تصل إلى بلاغ الأم ضد الأب في قسم البوليس. في أحد المرات حين كان سن حسين ١٠ سنوات قام الأب بقذفه بسكين أصابته في فخذه. فقد كان قد طلب منه أن يعد له كوباً من الشاي وأنكر وجود شاي في البيت وحين علم أبوه بوجود الشاي قذفه بالسكين. قامت الأم بتبليغ الشرطة عن هذه الحادثة ولكن حسين فضل التنازل عن المحضر مدعياً أنه وقع من على السلم فاصطدم فخذه بقطعة من الخرسانة البارزة وأصابته. حينما كان سنه ١٣ سنة ترك الأب الأسرة نهائياً بعد أن أبلغت الأم عن تعاطيه المخدرات وقضى بعض الوقت في أقسام البوليس كعب داير. على أثر ذلك ترك حسين بيت الأم وذهب إلى جده وجدته حيث عمل مع الجد في زراعة الأرض. وتركهم حسين بعد فترة لعدم تعوده على حياة الريف ولعدم حصوله على أجر. عندما عاد إلى الأم وجدها قد تزوجت من شخص معوق (ذراعه مقطوعة) كانا يعملان سوياً ببيع المناديل ويحققان دخلاً معقولاً. أما الأب فقد أخذ الطفلة الصغيرة وذهب ليعيش بها في الصعيد. بالنسبة لأخ حسين الكبير فإن صلته مقطوعة تقريباً بالأسرة. يصف حسين وضعه في هذه الفترة كالتالي:

"كل ما اروح اقعد مع أمي، جوز أمي عايزني اشتغل معاه يعني ابيع مناديل وكده. أمي تقول لي روح لأبوك، مش هاينفعك ده صايع، قلتلها امال انتي اتجوزتيه ليه، وقلتلها انت مش أم انت عمله أكتك مرات أب".

طلب حسين من الأم أن تساعده على أن يقيم بنادي قرية الأمل ولكي يتمكن حسين من ذلك كان عليه أن يحضر أمه لتشهد وتؤكد أنها لا تريده معها وقدمت صورة بطاقتها وقسيمة الزواج إلى النادي. فتم قبوله في قسم المبيت الدائم بقرية الأمل في المقطم.

أقام حسين في قرية الأمل لمدة عام تقريباً. توقف خلالها عن شم الكلَّة نهائياً لأنه كان قد تعلمها من إقامته في أحمد حلمي ولكن كان لا يشمها بانتظام على حد قوله. وهناك سهل له المركز العمل لدى خطاط ثم عمل لدى محل موان وكان يقوم بأداء بعض الخدمات في مجال الإعاشة وفقاً للنظام المعمول به بالمركز. اتهم حسين بمحاولة الاعتداء الجنسي على أحد أطفال الحي في منطقة المركز وتعرض لعقاب المشرفين على ذلك كما أن أهل الطفل كادوا يفتكون به. من وجهة نظره فإنه بريء من هذه التهمة حيث يدعى أن أحد الأولاد كان يقوم بالاعتداء على هذا الطفل ذاكراً أن اسمه حسين أيضاً وقد ذكر حسين فيما بعد أن له خبرة مع بعض الممارسات الجنسية الشاذة مع الأطفال ولكن من الأولاد بالشارع. وساءت علاقة حسين بالنادي لأنه بالإضافة إلى ذلك قام بأخذ عجلة كان النادي قد وفرها له لكي يستعملها في شراء احتياجات المطبخ للنادي. ومن وجهة نظره فهذه العجلة يجب أن تكون ملكه وبالتالي فهو لم يسرقها. ذهب حسين إلى جدته بالشرقية وباع العجلة بمائتي جنيه ثم ترك جدته وذهب ليعيش مع أبيه بالصعيد عمل حسين هناك لمدة ٨ شهور حين كان في عمر ١٦ سنة وفي مغسلة للملابس لدى شركة سياحة، كان يحصل على ١٣٠ جنيه في الشهر. الأب كان دائم العراك معه لمحاولة الأب الحصول منه على ما يكسبه حارماً إياه من شراء الملابس لأنه يهتم جداً بمظهره. ترك حسين الأب ونزل إلى القاهرة وقابل شلته القديمة التي كان يعرفها عن طريق إقامته في أحمد حلمي ونادي رمسيس وأغلبهم يزورون منطقة السيدة لمشاهدة الفيديو في قهاوي الفيديو . يقول حسين:

"نزلت الناصرية قابلت صديقي (..)، أنا كنت عارفه من أيام نادي رمسيس. قابلته في الفيديو قاللي تعالى نجيب كلَّة، وشمينا وبقينا مية مية. كان معايا خمسين جنيه محوشهم من الشغل في الصعيد، كنت بتعشى أنا وعادل وكل شوية يسنكح (أي يعتمد عليه في المعيشة) عليا وجبتله أكل ومية مية. بعد ما خلصت الفلوس أنا قلت ما فيش صاحب في الدنيا ديه. رحت بقيت أمشي مع نفسي قابلت سيد وقعدت معاه في آخر ساعة وكده".

عند مقابلة الباحث حسيناً كانت علاقته بالشارع قد تعمقت. وكان دائم شم الكلَّة ويقضي أغلب وقته مع زملائه الذين توطدت علاقته بهم حيث يزودونه بالكلَّة والبرشام والممارسة الجنسية الشاذة مع الأطفال، ومثل كل الأطفال نفى حسين تعرضه لاغتصاب جنسي أو علاقة جنسية كان هو فيها الطرف السلبي ولكنه ذكر ممارسته الجنس مع الأطفال الذين يعلم مسبقاً أنهم يحبون ذلك وبدون إرغامهم على فعله، كما تعرف على أماكن النوم ومصادر الدخل في الشارع يقول حسين عن منطقة معينة:

"أحلى حاجة في (..) يعني اللي يروحها يروح علشان الفيديو. يقولك أنا أبعد عن القلق أروح معايا فلوس من التسول في وسط البلد ٢-٣ جنيه، أقعد بيهم على الفيديو لغاية لما القلق يخف، بعد كده أرجع على الحتة بتاعتي".

حينما يرغب حسين في الحصول على نقود فإنه يعتمد أساساً مثل باقي أفراد المجموعة على صديقه وهو شاب معوق لا يجد صعوبة في الحصول على المال من التسول. أيضاً فقد عمل حسين في جمع القمامة وخاصة الزجاجات البلاستيكية وبيعها في منطقة ناهية عند مزلقان بولاق. إن ميزة بولاق بالنسبة له وباقي الأولاد هي بعدها عن القلق بسبب طبيعتها كمنطقة مزدحمة "ما فيش حد عارف حد" على حد قوله. عندما يحس بالجوع يذهب إلى منطقة المطعم وهي الملجأ الأساسي للحصول على الطعام.

رغم اختلاط حسين بأكثر مجموعات الشارع عنفاً إلا أن خبرته في قرية الأمل في التعامل مع جمهور وبالغين من غير أطفال وشباب الشارع تجعله قادراً على اكتساب عطف الناس واحترامهم فإن مظهره لا يدل على المعيشة بالشارع. يتحدث بصوت هادئ ومؤدب. ليس في وجهه علامات ناتجة عن إصابات أو جروح رغم إصابته في كتفه بكسر في إحدى المشاجرات على الكلَّة. إن هذه الصفات الشخصية جعلت له مركزاً محترماً وقيادياً في وسط محيط الشارع رغم عدم تملكه القدرة الجسمانية مثل الآخرين.

يجيد حسين شراء الصداقة بالنقود. كثيراً ما كان يعمل بعيداً عن مجتمع الشارع ويتحصل على نقود ويقوم بصرفها على أصدقائه. بالنسبة لعلاقته بالعاملين في الشارع من عمال نظافة على سبيل المثال يقول حسين:

"شفت الناس اللي بتبقى لابسة أزرق اللي بتكنس المحلات بالليل (يقصد عمال النظافة) جنب (..)، دول بيحبوني علشان أنا كويس معاهم ولا باعمل أي حاجة، لما بيقولولي أمشي من هنا بامشي على طول، أقعد هنا باقعد. عايزين حاجة اروح أجيبها لهم زي سندوتشات أو سجاير من المحال القريبة. يعني مية مية مع الناس فالناس بتطلع مية مية معايا. الصراحة بتوع النظافة دول بيقولولي بطل كلَّة فبقولهم ماشي هابطل".

إن أهم ما يميز علاقة حسين بالشارع رغم طول الفترة التي قضاها به منذ سن الثماني سنوات. هي انقطاعه عن الشارع لفترة عام ونصف العام في قرية الأمل ولمدة حوالي ٨ شهور في الصعيد حيث كان يعمل بانتظام في المغسلة، الآن يعمل في مركز الجيزة منذ عدة شهور، وتشير ملاحظات الباحثين الميدانيين إلى انقطاعه تماماً عن شم الكلَّة أو تعاطي البرشام. إلى جانب عمله في النادي فإنه يعمل في سينما صيفي بمنطقة الجيزة حيث يقوم بتنظيفها مقابل نومه فيها وأجر شهري.
حينما سأل الباحث حسين إذا كان يعتقد أنه مختلف عن أطفال الشارع أم لا؟ رد قائلاً:

"مختلف في أسلوب التعامل، عمال أروح من مكان لمكان ومش عارف إزاي رحت قرية الأمل واشتغلت إزاي. أنا مش مصدق اللي أنا باعمله دلوقتي، لما قعدت بالشارع ما كانتش حكاية مستقبلي دي تيجي على دماغي، كنت قاعد وخلاص دلوقت فقت عن الأول كتير وبقيت عارف إزاي اشتغل. العيال التانية فيه اللي يقولك أنا مش عايز اشتغل عايز افضل صايع ليه اشتغل".

نموذج للمتردد بين الأسرة ومؤسسات الرعاية وبدأ أثر خدمات المؤسسات تظهر على سلوكياته.

الحالة السادسة ... زينب

تعيش زينب في مصر القديمة مع أسرة مكونة من الأم وزوج الأم وأخت ولها أخت متزوجة وتعيش في امبابة. أما الأب الأصلي للمبحوثة فكان يعمل ميكانيكياً ولكنه توفى من أربع سنوات. بعد وفاة الأب بدأت الأم في النزول للعمل حيث تبيع الذرة المشوي على الكورنيش بالمنيل وبدأت زينب في العمل مع الأم ببيع الذرة إلى جانب دراستها. تزوجت الأم بعد ذلك من شخص يعمل سائقاً بهيئة النقل العام. تقول زينب "أبويا (تقصد الأب الأصلي) كان بيشتغل ميكانيكي في أثر النبي وكنا عايشين مبسوطين وكويسين لحد ما هو مات".

من سن ست سنوات وحتى سن العشر سنوات ظلت زينب تعمل إلى جانب الدراسة فبدأت أولاً في مساعدة الأم بعد الظهر في بيع الذرة ثم عملت لدى أحد باعة الجرائد في المنيل. حتى تعرفت على شخص من منطقتهم وهو شخص معوق كان يعمل في بيع المناديل وعرض عليها هذا الشخص أن تعمل معه في بيع المناديل. من خلال عملها معه في الشارع تعرفت على سيدة تعمل على فرشة شاي معروف علاقتها ببنات الشارع ظلت تعمل معها. وفي العام الماضي وعندما كان سنها ١٠ سنوات تركت المدرسة بتشجيع من أمها وزوج أمها لكي تتفرغ للعمل ببيع المناديل حيث يدر الدخل الناتج من بيع المناديل حوالي ١٥ جنيه في اليوم. تشتكي زينب من أن المدرسين كانوا يعاملونها بطريقة سيئة ولكنها كانت تحب المدرسة وترغب في العودة إليها.

تعمل زينب في الغالب من الساعة العاشرة صباحاً وحتى السادسة مساءًا. لأن عليها أن تبيع كمية من المناديل في اليوم على حسب "الربحية وكرم المشترى" وعلى مهارتها في الاستعطاف، إذا تمكنت من بيع الـ ٦٠ علبة فإنها تحصل على ١٥ جنيه في اليوم وهو ما يعني أن كل طفل يبيع بما قيمته ١٦٠ جنيه في اليوم ليحصل على هذا الدخل. كثيراً ما تتعرض زينب للضرب إذا فشلت في بيع الكمية المحددة لها. وكثيراً ما تجبرها السيدة التي تعمل لديها على العمل حتى التاسعة أو العاشرة مساءًا حتى تبيع الكمية كلها. بعد أن تنهي يوم عمل تعود إلى بيت الأم للمبيت ولكنها أحياناً ما تبيت لدى صاحبة العمل وهي معروفة جيداً للأسرة. في إحدى المرات مرضت فكانت أمها تعمل مكانها في بيع المناديل. تأكل زينب الوجبتين في الشارع من محل شهير وليس رخيصاً في المنيل يبيع الكباب والأرز والخضار.

تمارس صاحبة العمل سيطرتها على العاملين معها من خلال جلوسها في الحديقة المواجهة للأطفال الذين يعملون معها في إشارة المرور. في حالة حدوث أي مشكلة مع زينب فإنها تلجأ إليها.

هذه المشكلات إما أن تكون مع أحد الأطفال العاملين معها "واد جديد يا أبله بيقول لي حاجات وحشة، بيقول لي تعالي تحت الكوبري وأديكي عشرة جنيه، رحت قايلة للست، راحت ضربته وشتمته". أيضاً في حالة مجيء رجال الحملة للقبض على هؤلاء الأطفال يأتي زوج صاحبة العمل ليضمنها وأحياناً يدفع نقوداً للمخبر لكي يترك الأطفال العاملين معه.

إن السلطة "الأبوية" التي تمارسها هذه السيدة وزوجها على الأطفال في مكان العمل تحجم كثيراً من العنف السائد في وسط أطفال الشارع باستثناء العنف الذي يمارس بواسطتها هي أو زوجها. أيضاً فإنه يقلل من ممارسات شم الكلّة السائدة بين أطفال الشارع حيث لم يقابل الباحثون لدى هذا النمط من الأطفال انتشار شم الكلّة على الوجه الآخر فإن هذه الرقابة لا تغري العديد من أطفال الشارع بالمعنى الدقيق بالعمل لدى هذا النوع من البالغين. إن طفل الشارع المبهور بحرية الحركة وشم الكلّة لن يقبل أن يعمل في مكان واحد طول النهار تحت إشراف صاحب عمل. على الوجه الآخر فإن مهارة التعامل مع الشرطة والتعود على الحجز في قسم البوليس الذي يمكن أن يكتسبه الطفل خلال العمل مع هذا النوع من قادة الشارع البالغين. وشبكة العلاقات التي يكونها في قسم البوليس من الممكن أن تجعل تحوله إلى طفل شارع بالمعنى الضيق- أي منفصل تماماً عن الأسرة ويتحرك في الشارع بحرية واسعة- أمراً محتملاً. إن هذا النمط من طفل الشارع برغم اختلافه البين عن أنماط أخرى من الوجود في الشارع. قد يكون نمطاً انتقالياً نحو حياة الشارع الكاملة.

التقت الباحثة مع عدد من الفتيات اللاتى يعملن مع صاحبة العمل. حيث ذكر بعضهن أنها تشغل بعض الفتيات الكبريات سناً في الدعارة. وقد أكدت زينب هذه المعلومة ولكنها قالت إنها صغيرة ولا تعمل إلا في بيع المناديل. إن المسار الأكثر احتمالاً لهذه الطائفة من أطفال الشارع بالنسبة للإناث هو الانخراط في الدعارة أكثر من التحول إلى أطفال وشباب شوارع بالمعنى "الاصطلاحي".

الشكوى الأساسية لزينب هي من زوج الأم

"من ساعة ما أمي اتجوزت الراجل ده واحنا شوفنا معه الويل، بيضربنا ويضرب أمي. وكل ما بيجي عرسان لأخواتي، كان بيطفشهم علشان ياخذ الفلوس اللي بنشتغل بيها".

تقول زينب إن الأم تحصل على دخل من بيع المناديل وتقول إنها تضعه باسمها في دفتر توفير، ولكنها متأكدة أن زوج الأم يأخذ هذه النقود للصرف منها على "مزاجه" حيث إنه يتعاطى البرشام والحشيش. تحكي زينب أن هذا ما حدث مع أختها الكبرى التي كانت تعمل ببيع المناديل "كانت بتدي كل الفلوس لأمي علشان تحوشهلها، علشان لما تيجي تتجوز تقدر تجهزها. بس لما جالها العريس ده وخالي وافق عليه، راحت طلبت من أمي الفلوس اللي عندها، بس أمي قالت لها إن جوزها خد الفلوس اللي كانت محوشاها".

تقول زينب إن أكثر ما بيضايقها في عملها هو العنف اللفظي متمثلاً في الشتائم. أيضاً فإنها واعية بأن عالمها في الشارع محفوف بمخاطر أخلاقية تدور حول كونها أنثى ورغم أن عمرها ١١ عاماً لكن وعيها بذاتها كأنثى قوي جداً تقول: "أنا ما بحبش البنات اللي في الشارع علشان أي ميكروباص معدي تقعد تبوس في ده وفي ده في الشارع". إن رأي الجمهور في عملها يؤثر عليها جداً "ما بحبش أصلاً الشغلانة دي كل الناس بيقولوا مش حلوة ومرمطة". أيضاً فإن التحرش الأمني يضايقها "الحملة لما بياخدوني بيقعدوا يضربوني على إيدي ويضربونا بالسلك والبونية". رغم هذه المشكلات مع العمل في الشارع فإن زينب فخورة بقدرتها على الكسب "أنا باشتغل من زمان وباحب الشغل عند الست دي قوي، علشان باكسب فلوس كتير وباشتري اللي أنا عاوزاه".

هذا الموقف الملتبس من العمل والشارع يكمله موقفها المختلط من صاحبة العمل فبرغم شكواها من عنفها فإنها تنتقد البنات اللاتي يعملن معها ويقمن بشتمها والشكوى منها للباحثات "البنات دول كلهم (..)، اللي بيشتموا فيها قدامكم كلهم مبسوطين في الشغل قوي، ولو شفتهم وهما بياخدوا الفلوس وبيقعدوا يشكروا فيها وبيعظموا فيها دول. (وسبتهم تاني)".

بالنسبة لتطلعاتها المستقبلية ترغب زينب في ترك مهنة المناديل وأن تعمل في مصنع أو أن تتعلم الخياطة ولديها رغبة في أن تعود إلى المدرسة وتصبح طبيبة! على المدى الأبعد فإنها تعتقد أن الخروج من وضعها سيتم عبر زواجها. فبرغم سنها الصغير (١١ سنة) فإنها دائمة التفكير والحديث عن زوج المستقبل. لقد روت للباحثة عن علاقتها بسائق أتوبيس عمره ٢٢ سنة صديق لزوج الأم بالإضافة إلى شخص آخر مشيت معه فترة وتركته عندما اكتشفت أنه متزوج. الرقابة الأسرية على زينب في الشارع من الأسرة ضعيفة أو معدومة. تحكي زينب عن خروجها مع السائق وذهابهم إلى السينما والذهاب إلى امبابة معه.

الحالة السابعة ... ميرفت

ميرفت سنها ١٧سنة. حجمها صغير وقصيرة القامة حيث يوحي مظهرها بأن عمرها ١١-١٢ سنة. شكلها غريب نسبياً. تعاني نوعاً من أنواع الصلع لأن شعرها خفيف جداً، تشعر أن شكلها قبيح وهذا يسبب قدراً من السلوك الانطوائي، تجلس أغلب الوقت بمفردها في حديقة محطة السكة الحديد بالجيزة، تتعاطى البرشام بشراهة.

الأسرة الأصلية لها تعيش في شبرا، لها تسعة أخوة أشقاء (٥ إناث و٤ ذكور) وأربع أخوة غير أشقاء من الأب، الأب تزوج من اثنتين غير الأم وهو حالياً متوفي.

تعيش ميرفت مع أمها في حجرة بمنطقة شبرا، حيث تعمل بائعة جرجير للإنفاق على ميرفت أما بقية أخواتها فهن كبيرات ومتزوجات باستثناء الأخت الصغرى عمرها عشر سنوات.

تحكي ميرفت عن ملابسات نزولها إلى الشارع ما يلي:

"أنا أمي بائعة جرجير وأخوتي كلهم متجوزين، وأمي تخرج وتسبني لوحدي، أفضل أنضف البيت وأغسل المواعين لحد ما تيجي. اختي الصغيرة بتروح مع أمي وهي بتبيع الجرجير، وأنا أمي بتسبني على طول لوحدي في البيت، وكان فيه واحد ساكن في الأوضة اللي قدامنا يقعد يعاكس فيه، ويجيب شباب في الأوضة عنده، وأنا كنت باطنش، لغاية لما جه مرة وكان معاه أصحابه الثلاثة، ونادى عليا، كنت بانضف الأوضة، ورحت أشوفه عاوز إيه، لما رحت شدني لجوه الأوضة، وراح شايلني مقعدني على السرير، وطلع المطوة وقال لي اقلعي كل هدومك، وفضل يعمل حاجات وحشة معايا من قدام أما أصحابه كانوا من ورا، قعدت أصوت لأني تعبت جداً، بس ما فيش حد نزل ولا سأل فيا".

عندما عادت الأم من الخارج أخبرتها ميرفت بما حدث لها فقامت الأم بالشكوى لأب وأم الشاب. فتشاجرا معها وأنكرا قيام ابنهما بعمل ذلك. تقول ميرفت إن ما حدث لها جعلها تكره البيت جداً، خاصة في ظل وجودها أغلب الوقت في المنزل بمفردها حيث تخرج الأم للعمل طول النهار مع أختها.

أحياناً كانت ميرفت تخرج وتساعد أمها على شراء الخضار من سوق الجملة، وأحياناً كانت تنزل وتتمشى في شوارع رمسيس ثم تعود للأم آخر النهار.

في رمسيس تعرفت على سيدة تجلس بفرشة شاي التي قامت بتشغيلها معها على فرشة الشاي. من خلال جلستها على فرشة الشاي تعرفت على إحدى بنات الشارع في منطقة رمسيس رغم أنه من النادر تواجد بنات الشارع في رمسيس، كانتا تتقابلان سوياً وتخرجان معاً في أثناء إقامة ميرفت في البيت مع أمها، وفي أحد المرات باتت خارج البيت مع فتاة في الشارع وعندما عادت إلى البيت عاقبها أخوها الأكبر بشدة، حيث قام بلسعها بالنار على حد قولها.

بناء على ذلك اتفقت ميرفت مع صديقتها على أن تهربا وتذهبا سوياً إلى منطقة لا يعرف أحد مكانهما فيها، فذهبتا سوياً إلى منطقة ميدان السكة الحديد بالجيزة التي كانت مألوفة بالنسبة لزميلتها.

ميرفت تعيش في ميدان المحطة منذ ٥ أعوام حتى الآن منذ اللحظة التي تركت فيها البيت. تعتمد في بقائها على التسول أساساً، وأصبحت معروفة لكل من في الحديقة.

فكرة الجنس وتعرضها الدائم للاغتصاب تطاردها طوال الوقت، شكواها الأساسية هي من قيام "الأولاد الصيع" شباب الشارع بالنوم معها غصباً عنها.

تلجأ ميرفت باستمرار إلى أمين الشرطة بميدان المحطة لحمايتها من هؤلاء الشباب ويبدو أنها محبوبة جداً من العاملين في الحديقة وأصحاب فرشات الشاي ومن المخبر وأمين الشرطة.

بسبب تلك العلاقة بهم تتهمها بقية البنات بأنها على علاقة بالأمن. وأنها تقوم بإخبارهم عن أخبار بنات وشباب الشارع وعلاقاتهم الجنسية ونشاطهم في الدعارة.

تحكي ميرفت أن أحد أمناء الشرطة قبض عليها واحتجزوها في المديرية (مديرية أمن الجيزة) وكانوا يلحون في سؤالها عن العلاقات الجنسية ونشاط الدعارة الخاص بالبنات في الجنينة وعندما رفضت على حد قولها أن تذكر أي معلومات "لما ما رضيتش أقول على حد، راحو مقلعني خالص قدام العساكر وضربوني، وعملوا لي كهرباء. فقلت لهم إن واحدة صاحبتي كانت نايمة مع واحد، وكانوا بيعملوا حاجات وحشة تحت البطانية".

خلال الخمس سنوات التي قضتها ميرفت في الحديقة، كانت تذهب إلى أمها كلما رغبت في ذلك: "لما أمي بتوحشني قوي،

باروح مروحة، أقعد معاها شوية وبعدين أرجع على الجنينة. وما باحبش أقعد هناك، (تقصد عند أمها) علشان الشباب اللي في الحتة بيفضلوا يشتموني ويعايروني أن شكلي وحش، وإني بتاعة الشوارع".

يشكل مركز الجيزة مورد المساعدة الآخر بجانب علاقتها بالأم. حيث تذهب ميرفت إلى المركز بانتظام، وتحضر فصول تعليم الرسم، وتقول المشرفة على النشاط الفني إن ميرفت موهوبة جداً في الرسم والتلوين، ولقد شاركت بعدد من اللوحات في المعرض الذي أقامه المركز لرسوم الأطفال. وحظيت لوحاتها بإعجاب الجميع، ولقد أسهم ذلك إلى حد بعيد في إعادة التوازن النفسي لها وأصبحت أكثر قدرة على المشاركة في الحديث مع جمهور المركز، بعد أن كانت معزولة وتشعر بالدونية الشديدة نتيجة لاعتقادها بعدم جمال شكلها.

الحالة الثامنة .. ليلى

ليلى كان عمرها عند كتابة التقرير ١٢ سنة وهى عينة من حالات "أطفال الشارع" الذين يعملون بالشارع ولكن فى وجود علاقة قوية بالأهل حيث يبيتون معاً فى البيت كل يوم. هذا التقرير مبنى على معلومات استقتها الباحثة من لقاء مع ليلى وأختها وجارتيهما وهن جميعاً يعملن بالتسول وظروفهن شديدة التشابه من حيث دافع النزول للشارع (وهو الحاجة إلى المال) ونمط تواجدهن فى الشارع أي يبتن مع الأسرة وتحت إشرافها.

تختلف هذه المجموعة التي تمثلها ليلى عن أطفال الشارع المحترفين من حيث صلتهم بالأسرة، فهذه الفئة لا تدمن المخدرات رغم أن بعضهم يدخن السجائر من وراء الأهل. ولكن يشتركون معهم فى تعرضهم لأخطار الشارع مثل حوادث سيارات واحتمالات القبض عليهم بواسطة الشرطة وأخطار أخلاقية من صلتهن واحتكاكهن بالبلطجية والقوادين المقيمين في الشارع والذين يطلبون من البنات العمل فى الدعارة باعتبارها أكثر الممارسات دخلاً، ويتشابهون مع "أطفال الشارع" فى أن علاقتهم بالأقران القوية جداً فهم يعرفون أخبار بعضهم البعض ولهم أسرارهم الخاصة وإن كانت العلاقة بالأقران ليست على حساب العلاقة بالأسرة. هذه الفئة من أطفال الشارع ليس لديها خبرة بالإصلاحيات ونوادي الرعاية الاجتماعية، رغم احتياج العديد منهم لذلك.

تسكن ليلى وأسرتها فى قرية بجوار الهرم تسمى منشية البكارى وهى جزء من حي شعبي حضري فقير بجوار فيصل يسمى الطوابق. تمارس في القرية بعض الأنشطة الزراعية وهى تتبع الوحدة المحلية لأوسيم. ويعيش أيضا بالقرية بعض المهاجرين الفقراء من الصعيد، أغلبهم من بني سويف. يمتهنون مهناً هامشية وبعضهم يعمل بالتسول.

أسرة ليلى تتكون من ست أخوات كلهن يعملن بالتسول أو في تلميع السيارات أو يسرحن بالبخور. الأم تبيع مناديل بمنطقة فيصل والأب متوفٍ ويعيش معهم زوج الأم الذى يعمل أحيانا فى التسول وأغلب الأوقاتٍ لا يعمل.

تقول ليلى "إحنا سكنين فى أودة واحدة، وفى الأوضة دى بننام إحنا وأمى وجوز أمى، وفى الاوضة اللي جنبنا ساكنة (..) وإخواتها، وإللى جنبنا من الناحية الثانية ساكنة (..) وعيالها"، وكلهم يعيشون من التسول بمنطقة فيصل- شارع الهرم.

عندما قابلت الباحثة هذه المجموعة من الفتيات لاحظت أنهن على علاقة قوية ببعضهم البعض. هذه العلاقات مبنية على الجيرة فى السكن والجيرة فى العمل.

تعمل ليلى أساسا بالتسول، وأسلوبها يختلف من حين لآخر ومن مكان لآخر. أحيانا تقوم بمسح العربات أمام "السوبر ماركت" وفى أحيان أخرى تأتى بمبخرة وتقوم باللف على المحال لتحصل على بقشيش صغير، وأحيانا تقوم بالتسول من خلال طلب النقود من المارة. وتعمل دائما بجانب جارتيها اللتين تعملان في نفس المهن.

تحصل ليلى على عائد يومي يبلغ ٥ جنيهات فى اليوم فى المتوسط وأحيانا يصل إلى عشرة جنيهات. وتقوم بإعطاء ما تحصل عليه من دخل بالكامل للأسرة. وتشكو ليلى من أن الأم وزوجها يقومان بضربها إذا رجعت أحد الأيام بدون نقود أو بنقود أقل من المعدل

تتكون أسرة ليلى من أمها وأخت واحدة شقيقة بالإضافة إلى أختين غير أشقاء من جهة الأم وأختين غير أشقاء من جهة زوج الأم. كل الأسرة تعمل بالتسول ، ولكن بالنسبة للبنات فعندما يبلغن سن ١٦ أو١٧ فإنهن يجلسن فى البيت فى انتظار الزواج، ولا يسمح لهن بالعمل فى الشارع. الأسرة تبدو حريصة إلى حد ما على أبنائها، فهي لا تسمح لليلى بالعمل حتى وقت متأخر بالليل، كما أن أمها حذرتها من العمل فى شارع الهرم لخوفها عليها من رواد الملاهي الليلية.

رغم السن الصغير نسبيا لليلى (١٢ سنة) فإنها واعية بأنوثتها وبمخاطر العمل فى الشارع فى هذه السن الخطرة. فالمشكلة التي تهدد ليلى هي تعامل بعض "الصبيان" أو المراهقين معها ومع أصحابها باعتبارهن "بنات سهلة" والتحرش الجنسي بليلى من قبل هؤلاء الشباب والمراهقين مسألة تؤرقها بشدة.

لقد أخبرت الباحثة إنها تركت العمل "بالتبخير" بجانب "الفيصلية" لأن هناك ولد عايز يعمل معاها "حاجات قلة أدب".

تحكى ليلى أن جارتها وأختها طلبا من ليلى وأختها أن يمارسا الجنس مع أحد الشبان فى أحد الخرابات نظير أجر مالى، ولكن ليلى وأختها رفضتا ذلك.

والمشكلة الثانية التي تؤرق ليلى هي تعامل بعض المارة وأصحاب المحال معها بطريقة مهينة، بعض أصحاب المحال يطردونها ويمنعونها من العمل أمام محالهم .

وتحكى ليلى

"مرة واحدة ست هانم أخذتنى أنا و (..) علشان نطلع لها حاجات من عربيتها لغاية شقتها ولما طلعنا الحاجات وإحنا نازلين، قامت نادت علينا تانى، ولما رحنا نشوفها عايزه إيه، كانت الست مجهزة عصاية ورا ظهرها، ودخلتنا جوة الشقة بالعافية ونزلت فينا ضرب بالعصاية، وكمان جابت سلك كهربا وحطته فى الفيشة وكهربت (..) فى إيدها وقعدت تقول علشان تبطلوا تشحتوا".

ليلى تختلف عن باقي الأطفال بالشارع منقطعى الصلة بأهلهم فى قلة وعيها الجغرافى وخبراتها بمناطق القاهرة المختلفة. إن أطفالاً فى مثل عمرها من أطفال منقطعي العلاقة مع أهلهم يزورون العديد من مناطق القاهرة والمحافظات. كما أن مهاراتها فى التعامل مع المجتمع المحيط بها أقل بكثير عن باقي الأطفال بالشوارع المنفصلين من أسرهم. وبالنسبة للعلاقة مع الأقران، فعلاقات ليلى تقتصر على علاقات العمل والجيرة فهي لا تعرف مصطلح أطفال الشارع وهو "السيس" ولا تدخل معهم فى علاقات مباشرة. وليلى لا تتعاطى المخدرات أو السجائر ، وإن كانت تقول إن زميلاتها من نفس "المهنة" يتعاطين السجائر من وراء الأهل.

تقييم ليلى لذاتها والشارع

ليلى عندها شعور دائم بالضيق من الشارع ناتج عن نظرة الناس لها على أنها "متشردة" هو زى ما قالت البنت: "الظاهر الناس بتبص لنا على أن إحنا كلاب مش بنى آدمين". ورغم هذا الشعور بالضيق من نظرة الناس لها فإنها تعتز بقدرتها على مساعدة أسرتها فى مواجهة الفقر وترى أن الشحاذة أفضل من" المشى البطال". لقد رفضت ليلى على سبيل المثال أن تعمل خادمة لدى أسرة ميسورة، لأن شعورها بالاستقلال الناتج عن عملها فى الشارع في نظرها أفضل من العمل كخادمة.

هذا الشعور المتناقض بالنسبة للشارع ولمهنتها يقابله مشاعر متناقضة تجاه الأسرة. فهي تحب أسرتها جدا بما فيها زوج الأم! على الوجه الآخر فإنها تشتكى من قيامهم بضربها إذا لم تحقق الإيراد المطلوب، ولكن يبدو أنها تعتبر هذا الضرب شيئاً مقبولاً فى إطار سلطة الأب والأم على الابنة. وهذه القناعة تساعد ليلى أمام نفسها وأمام الباحثة على تصوير ذاتها كابنة عادية تمارس "مهنة" مقبولة اجتماعيا مثلها مثل أي مهنة أخرى.

ورغم هذا الرضا عن النفس المتواجد عند ليلى فإن مستقبلها محاط بالمخاطر. فأي تغيير في مشاعرها نحو أسرتها لسبب أو لآخر كفيل بأن يحول ليلى إلى التعمق في قيم وأنماط التعايش بالشارع وقد يعرضها ذلك إلى القبض عليها بواسطة الشرطة والذي نجت منه حتى الآن واحتجازها في القسم واختلاطها بالآخرين المخضرمين على الحياة بالشارع.

هذا بالإضافة إلى أن تقدمها فى السن كأنثى واحتكاكها بفئات مختلفة من شباب ورجال الشارع مثل سائقي التاكسي والباعة الجائلين، والذين قد يكون لبعضهم صلة قوية بعالم الدعارة، يجعل أحد التطورات الممكنة هو التحول لهذا النمط من الممارسات. لأن معيشة كل أفراد الأسرة والبالغ عددهم ٨ أفراد فى غرفة واحدة بمنزل مشترك مع أسر أخرى، يجعل البقاء فى الشارع لأطول وقت خلال اليوم متنفساً ترفيهياً واجتماعياً لها. والزوج المنتظر فى حياتها، قد يجعلها تقبل الزواج العرفي، وقد تقبله الأسرة بعد أن تتضاءل القيمة الاقتصادية والعائد الذي تحصل عليه من عملها فى الشارع بسبب تقدمها في السن. ومن دراسة حالات أخرى فإن الزواج العرفي عادة ما يكون قصيرا وفاشلا وهو أحد المقدمات للتحول إلى تعميق العلاقات مع مجتمع الشارع.

الحالة التاسعة .. مصطفى

تعتبر حالة مصطفى من الحالات التي تشكل صعوبة في بناء تطور لأحداث حياته في الشارع. لقد قضي مصطفى ٩ سنوات في الشارع منذ كان عمره ٤ سنوات. تنقل في العديد من المناطق وعاش فترة في الإسكندرية ورجع إلى القاهرة. تخلل ذلك معيشته لبعض الوقت على فترات متقطعة مع الأسرة وفي المؤسسات حيث قضى ٥ شهور في نادي قرية الأمل. وهذا العرض لخبراته بني على أساس تطور للحظات الحاسمة في حياته بالشارع بناء على مقابلات أجريت معه خلال الفترة من ٢٧ /١٩٩٧/٧ إلى ١٩٩٩/٩/١٤. بعض هذه المقابلات تمت في الشارع في أماكن ممارسة نشاطه (السيدة زينب-الناصرية)، البعض الآخر كان تسجيلا طويلا (٤ ساعات) على مرتين يفصل بينهما حوالي عام ونصف العام. إن تواريخ الأحداث التي وقعت لمصطفى منذ ترك الأسرة لا يمكن الاعتماد عليها من حيث الدقة ، لقد حاولنا أن نتأمل في معني هذه الأحداث ودلالتها على تطوره بأكثر من التدقيق البيوجرافي المعتمد في الدراسات التي تجرى عن البالغين.

مصطفى عمره ١٣ سنة ويسكن في البراجيل. يعمل والده نجاراً مسلحاً. الأب كان متزوجاً من أخرى قبل أمه وله منها عشر أولاد. في سن ٥ سنوات وبعد تركه المنزل لأول مرة طلق الأب الأم. وتزوجت الأم -في أثناء غيابه عن المنزل- من سباك وتاجر أسمنت. ولمصطفى أخ وأخت أشقاء وليس له أخوات غير أشقاء من جهة الأم. والأم شديدة التمسك به وحاولت أكثر من مرة إعادته إلى المنزل ولكنه دائم الهرب. يعتمد في بقائه بالشارع على التسول ومسح العربات وجمع أواني البلاستيك الفارغة لبيعها لإعادة التدوير.

يقول مصطفى عن أول تجربة هروب له من المنزل

"كان عندي أربع سنين. أمي ادتلى اجيب شطة. ورحت علشان اجيب الشطة ركبت اتوبيس ما أعرفش وداني فين، ولا اعرف السيدة ولا الناصرية ولا اعرف أي حتة، مشيت رحت محطة رمسيس لاقيت القطر رايح إسكندرية، ركبته".

قضى مصطفى في الإسكندرية وفقا لروايته حوالي سنة ونصف السنة. خلالها بحثت عنه الأم في كل مكان، بل وقامت بنشر صورته في برنامج تلفزيوني عن الأطفال المفقودين، وحينما أحتجز إحدى المرات في قسم الشرطة أعادوه إلى أسرته. وقد رجع مصطفى إلى أمه وقضي معها بعض الوقت ولكنه كان دائم الهروب من المنزل حتي إن الأم سلمت بهذا الوضع وقبلت به. الآن تعرف الأم الأماكن التي تبحث فيها عنه وتستطيع أن تذهب إليه سائلة إياه أن يقضى معها بعض الوقت. ومصطفى من ناحيته يزور الأم عندما يرغب في ذلك ويتركها بعد يوم أو يومين بعد أن يسرق قدرا من المال. خلال الفترات التي كان يقضيها مصطفى مع الأم كان يعمل أحيانا في ورش سمكرة.

التحق مصطفى بالمدرسة بعد رجوعه من الإسكندرية وخرج من سنة ثانية ابتدائي. نتيجة لمحاولة مدرسة عقابه بالضرب على قدميه وحينما رفض ان يخلع حذاءه حولته الى الناظر الذي قام بفصله من المدرسة. من المناطق التي ذكرها مصطفى والتي تنقلت الأسرة للمعيشة فيها مثل عزبة عثمان بشبرا، وبشتيل والبراجيل بامبابة تبدو أن الأسرة فقيرة تتنقل أساسا حول حزام القاهرة في التجمعات العشوائية الفقيرة.

في أول مقابلة مع الباحث ذكر مصطفى سبب تركه البيت كالتالي:

"أنا سبت البيت بعد ما أبويا طلق أمي وإتجوز وهية كمان إتجوزت، وسابوني لوحدي وماكانش في حد أروح عنده كل ما أروح لابويا مرات أبويا تقول لي يا للا إمشي من هنا، كل ما أروح لأمي، جوز أمي يقول لي إمشي، على كدة على طول".

وعندما سأله الباحث عن أقارب آخرين قال " ما ستي برضك بتقول لي روح لأبوك، قولت أروح لأبويا ليه ما أنا أمشي أحسن".

ومع ذلك كشفت الحوارات المتتالية مع مصطفى أن واقعة طلاق الأم من الأب كانت بعد أول هروب له من الأسرة. وأن الأم –على خلاف ما ذكره –حريصة على استعادة مصطفى للمعيشة معها وأنها كانت تسأل عنه باستمرار حينما يكون في المركز بالجيزة وعندما توطدت علاقة الباحث معه وضح أن الصورة التي قدمها أولاً عن زوج أمه مختلفة تماما عن الواقع حيث قال مصطفى عن زوج الأم في حوار لاحق معه "أنا حاسس إن هوة أبويا، لو كان أبويا ما كانش عمل كده، من غير ما أقوله الاقيه إداني فلوس". وقال في تفسير هروبه المتكرر "أمي تسألني بتهرب ليه يا إبني، لما أقعد كده مع نفسي ألاقي إنى كده بأحب الشارع". ويحب مصطفى أمه حبا شديدا ولما سأله الباحث ماذا يرغب أن يقول لأمه إذا كانت أمامه الآن رد قائلا "أقولها سامحيني يا أمه مش هاعمل كده تاني" وعندما طلب منه الباحث تفسيرا لبقائه في الشارع رغم حبه أمه رد قائلا "الله أعلم ما أنا عايز أتعالج، علشان كده بيقولوا فيه عفريت جوايا، ده حتى أمي جابت لي شيخ".

وبدأت تنشئة مصطفى بالشارع أساسا في الاسكندرية بعد ذلك نزل الى رمسيس ومنها تعرف على بقية المناطق الجاذبة لأطفال الشارع وكان دائم التحرك بينها.

ويقص مصطفى خبرته بالإسكندرية وكان سنه ٤ سنوات:

"أول ما نزلت إسكندرية نزلت سيدي جابر وقعدت في المحطة. كنت جعان ماعييش فلوس فضلت قاعد، وكان معايا جنيه واحد أو إتنين جنيه، وكنت عمال ابص على الناس وهية بتاكل. راح واحد نده لي جاب لي أكل. واتعرفت في المحطة على واد إسمه (..) وأخته (..). هذا الطفل كان أكبر من مصطفى بسنة وكان مريضا بالقلب وأسرته من كفر الدوار وظهر في مناطق الدراسة فترة ثم اختفى. "فضلت ماشي معاه وعرفني على أخته، وهو اللي وراني إسكندرية حتة حتة، وعلمني أشحت إزاي، يقول لما تخش على حد تقول هات عشرة صاغ اجيب بيها أكل، علشان لو عرف غير كدة (يقصد لو عرف انه شحات محترف) ها يضربني".

بالإضافة إلى التسول فقد علمه صديقه كيف يحصل على ملابس. يقول مصطفى "(..) علمني إزاي أجيب هدوم، كنت أطلع عمارة ونقطع هدومنا علشان تبقى وحشة ونقطع البنطلون، ونقول والنبي هاتي أي حاجة نلبسها علشان هدومنا متقطعة. الهدوم القديمة نرميها ونروح نستحمى في البحر".

وبعد أن قضى مصطفى حوالي سنة ونصف السنة في الإسكندرية تعرف خلالها على مباهج ومتاعب حياة الشارع. يقول: "كان فيه حتة اسمها كرموز كنا بنروح ناكل سميط وحاجات ونروح راجعين، نركب الترومواي الأصفر، ننزل المنشية ومن المنشية على محطة الرمل، و(..) هو اللي علمني إزاي أشد كلَّة وهوة اللي علمني السجاير".

ولسبب غير معلوم ترك مصطفى وصديقه الإسكندرية ونزلا القاهرة. من الواضح أن صديقه كان دليله إلى القاهرة كما كان دليله إلى الإسكندرية. وفي رمسيس تعرف مصطفى على أولاد "نادي شبرا" وقد زار النادي ورجعوه الى أمه ولكنه هرب منها. في هروبه المتكرر من أمه كانت أماكن تجمع الاطفال في رمسيس واحمد حلمي والسيدة زينب معروفة لديه. إن شبكة علاقاته في الشارع كانت تجعل عودة مصطفى الى الشارع وأصدقائه شديدة السهولة.

وعندما سأله الباحث كيف تعرف على منطقة من مناطق الدراسة قال إن أصدقاءه في رمسيس دلوه عليها ويقول: "صحابي في رمسيس قالوا لي على الفيديوهات في (..) أنا كنت باحب الفيديو قوي. لقيت شارع كدة ولقيت عيال، قلتلهم انتم رايحين على فين قالوا رايحين الفيديو قلت لهم خدوني معاكم، قاموا خدوني معاهم شربت معاهم كلَّة، اتسطلت خدوا اللي في جيبي كله كان معايا ٤٥ جنيه".

يصف مصطفى يوم له في (..) كالتالي:

"أنا اصحى الصبح أروح على الفرن أقول للراجل ممكن تديني رغيف، يقوم يديني. بعد كده أروح على (محل بقالة نصف جملة كبير) يقوم يديني جبنة وحاجات، بعد ما نخلص أكل نروح الحسين نجيب كلَّة وسجاير. بنجيب الكلَّة من (..)، ده واد زينا بس على طول معاه كلَّة وبيبيعها لنا. وأنا برضه ساعات اشترى من الموان. بعد كده أقعد أتفرج على الفيديو و أجيب كيس كشرى من محل، وبالليل أروح أنام".

ويتكيف مصطفى مع محاولات القبض بالتنقل المستمر من منطقة لأخرى وقد اكتسب معرفة بمنطقتين من مناطق الدراسة تمكنه من هذا التكيف. ويقول: "أنا بقيت عارف مواعيد الحملة، والمعاون دايما بيمر في السيدة يوم الثلاثاء والأربعاء وساعات الثلاثاء بس". يحكي مصطفى عن آخر مرة قبض عليه فيها قائلا: "كان من سنة كنت قاعد في السيدة زينب، لقينا (..) المخبر، قعدت أربع أيام في قسم السيدة قعدوا يسألوا انت منين قلتلهم من الجيزة تبع البراجيل مصدقوش، آخر لما زهقوا كتبوا مدينة السلام. وودوني قسم الأزبكية وأنا في الطريق قلت للمخبر إن أنا من البراجيل وأنا أعرف أروح لوحدي قام فكني ورجعت تاني على (..)".

كان مصطفى دائم التردد على نادي السيدة زينب التابع لقرية الأمل، أحيانا يعود للبيت لمدة أسبوع أو أسبوعين ثم يهرب مرة أخرى ويقول: "أنا كنت باروح ع السيدة (يقصد النادي) وكل ما يرجعوني البيت أهرب تاني، آخر ما زهقوا مني سابوني (يقصد مسئولي النادي بالسيدة زينب) وقالوا لي ما تجيش هنا تاني. شهادة الميلاد والبطاقة بتاعة أمي لسة هناك".
خلال حياة مصطفى في الشارع زار مناطق عديدة سواء للفسحة أو للعمل أو لكليهما معا. لقد كان يذهب مع أصدقائه إلى مرسى مطروح وبورسعيد بالإضافة الى الإسكندرية. في القاهرة زار الدويقة والموسكي والجيزة والناصرية والحسين والمنيل بالإضافة إلى منطقة وسط البلد. خلال حياته في الشارع شاهد أحداثا جساما. ويحكي عن الحادثة التالية:

"كنا راكبين فوق قطر وكنا رايحين بور سعيد وهمة عمالين يزقوا في بعض ويهزروا مع بعض، قلتلهم الكوبري جاي يا جدعان قالوا لي مالكش دعوة. قام جه الكوبري مطير مخ الواد (..)" و"مرة ثانية كنا راكبين القطر ورايحين إسكندرية، عند طنطا في المقصات واد وقع من فوق القطر ومات. حاولت أمسك إيده بس كان هايشدني معاه سبته وقع مات".

وكما تتنوع تحركات مصطفى تتنوع أنشطته أيضاً في الشارع من حيث المهنة أو من حيث انتظام العمل وعائد العمل يقول أيضاً مصطفى "لما أكون عايز اشتغل يكون معايا عشرين جنيهاً، لما أكون مش عايز اشتغل يكون معايا اتنين جنيه حق السجاير والكلَّة".

أما من حيث نوع العمل فقد عمل مصطفى في مسح السيارات والتسول أغلب الوقت ولكن بالإضافة إلى ذلك فقد عمل على صندوق ورنيش وفي جمع القمامة. وقد عمل مصطفى لبعض الوقت في جمع زجاجات المياه المعدنية الفارغة حيث كان يقوم بتسليمها لأحد التجار في منطقة الدويقة. في أحد الفترات عمل في منطقة الزرايب. تعرف على أحد الزبالين في الشارع وعرض عليه الزبال ان يعمل معه. كان مصطفى ينام مع الرجل وعائلته في الزرايب ويحصل منه على جنيه أسبوعيا ومصروف يومي وأربع سجائر بالإضافة الى إعطائه ملابس في العيد. كان يقوم بجمع الزجاجات البلاستيك والباغ والألومنيوم والعضم حيث يتم فرزها وإعادة بيعها.

أحيانا يقوم في أيام الجمعة بالمرور على المحال في منطقة (..) حاملا مبخرة في مقابل بقشيش صغير. ويذهب إلى المحال قائلاً: "اللهم صلي على النبي" ويقوم بتبخير المحل.

أما نشاط مصطفى الرئيسي لأغلب الوقت فهو التسول ومسح السيارات. ويقول مصطفى "انا في يوم جبت ٤٠ جنيها وانا قاعد في السيدة. كان كل اللي عايز حاجة أديله، ده عاوز حواوشي أجيب له ده عايز كشرى عايز سجاير عايز كلَّة وكده". في الصيف يفضل مصطفى منطقة أخرى (..) "بيكون هناك سعوديين وكده وبيدوني فلوس كويسة والهوا هناك حلو".

وعمل مصطفى أيضا لبعض الوقت على صندوق ورنيش قام بشرائه بمبلغ ٤٠ جنيهاً وكان يجلس به في الجيزة في ميدان المحطة.

ويقول مصطفى عن حياته في الشارع "أهم حاجة في الشغلانة بتاعتنا ديه إنك تلف طول الوقت، ما تقعدش في حتة واحدة". وفي محاولة للتعرف علي أسباب هروب مصطفى المتكرر من البيت حاولنا في حوارنا معه التعرف على نمط حياته في البيت والمنطقة التي يعيش بها. أسرة مصطفى عندها تليفزيون يجلس طول النهار يشاهده. ليس لمصطفى أي أصدقاء من المنطقة عندما سأله الباحث عن السبب في ذلك قال:

"أنا في حالي ما أحبش أختلط غير بصحابي اللي هنا (يقصد الشارع) وفي شباب يعني أقول لهم عايز العب معاكوا يقولوا لأ. ما أحبش أحرج نفسي فارجع البيت. ساعات وأنا في البيت يكون معايا فلوس، أسلم على صحابي في (..) وأروح على طول".

وفي محاولة لمعرفة سبب نفور شباب المنطقة منه سأله الباحث إذا كان معروفاً في المنطقة أنه من "السوس" رد قائلا: "آه علشان كده ما بحبش أروح هناك، ألاقي واد من دول يقول شفتك بتشرب سجاير ياض ياللي بتهرب من بيتكم. واتحسر انا على نفسي بقي، أروح سامع الكلمة دي وماشي". عندما سأله الباحث هل يلعب مع إخوته رد قائلا: "أصحابي اللي هنا أحسن من إخواتي. أفضل صحبي ده أكتر من أخويا. أنا لما باجي هنا أهزر معاهم بس بتخنق لما أروّح".

إن موقف مصطفى من الأسرة وخاصة الأب بالمقارنة مع موقفه من الأصحاب في الشارع يقدم مفتاحا لفهم علاقته بالشارع. ولما سأله الباحث: "مين أكتر واحد بتحبه في الدنيا دي كلها؟" كان رد مصطفى (..) (الولد الذي عرفه في الشارع في الاسكندرية وجاء معه الى القاهرة). سأله الباحث عن السبب رد قائلاً: "كده علشان عمل معايا واجب.. فلوس وأكل وشرب زي كلَّة وسجاير وكل حاجة، وأنا برده لما يبقى معايا بديله".

بالنسبة لأكثر شخص يكرهه في حياته كان أبوه "أبويا ياريت ياكله قطر" وخالتيه بسبب شجارهما مع الأم وإهانتهما لها. ورغم طيبة زوج الأم معه يحس مصطفى دائما أنه ليس له أب:

> "في أب إمبارح وحنا قاعدين في الحجز، كان واد سارق حمام، كان نفسه في الحمام فسرقه، راح مسكته الحكومة. راح أبوه جه راح حاضن الولد وقعد يعيط. أنا شفت كده فقعدت أعيط انا كمان علي عياط الواد. شفت الأب بيعمل إيه، لو كان أبويا ما كانش عمل كده، روحت عيطت".

رغم انه من المحتمل أن رواية مصطفى تنطوي على محاولة لكسب تعاطف الباحث معه وتبرير وجوده في الشارع، (مثل العديد من الأطفال) إلا أن هجر الأب الطفل وعدم اهتمامه به حتى وإن لم ينطو على إيذاء مباشر له يكون له تأثير قوى على شعور الطفل بمتانة العلاقة التي تربطه بالأقران بالمقارنة بالعائلة. ورغم أن العديد من الأطفال يعانون هذا الهجر وعدم الاهتمام ولا يهربون من الأسرة إلا انه بالنسبة لطفل أتيح له ممارسة علاقات التضامن السائدة في عالم الأقران في الشارع سيتضاعف بالنسبة له هذا الشعور بالهجر.

بالنسبة للحياة المثالية التي يرغبها مصطفى في الشارع فهو يرغب في تعلم صنعة وأن يعيش في بيت مع أقرانه في الشارع تحت إشراف من عاملين ميدانيين "زي الكابتن هاني أو رياض"، بشرط أن يتاح له فرصة زيارة أصدقائه في الشارع ويقضى معهم يوم الإجازة. يقول مصطفى إنه لن يدخن في مكان العمل، "بس ننزل الشارع في يوم الإجازة واللي عايزينه نجيبه وندخن بره المكان".

يبدو بشكل واضح من حالة مصطفى أن عملية التأهيل للعودة إلى حياة طبيعية مع الأسرة أو في مؤسسة مغلقة تنتهي دائما بالفشل نتيجة لتكرار هروبه من الأسرة فقد يئس منه مشرفو قرية الأمل طالبين منه ألا يأتي مرة أخرى. ونظرا لطول الفترة التي قضاها مصطفى في الشارع وتشربه عادات الشارع فإن عملية تأهيل طويلة المدى في نفس بيئة الشارع وتدريجية تتم بواسطة معلمي شارع مدربين هي الحل الوحيد الذي لم يجرب مع حالة مثل حالة مصطفى.

الحالة العاشرة .. نوال

يعتمد هذا التقرير على لقاءات وحوارات تم إجراؤها مع نوال منذ كان عمرها ١٥ عاما وخلال الفترة من ١٩٩٧/٤/١٤حتى ١٩٩٩/٩/٢٥ تم ملاحظة سلوك نوال فى أماكن تواجدها فى الشارع، وعقدت معها حوارات فى المركز وفى أماكن متفرقة. بالإضافة إلى ذلك فقد تمكن الباحثون فى حالة نوال من مقابلة الأب وإجراء حوار معه حول ملابسات خروج نوال للعمل في الشارع وتم تدقيق جزء من المعلومات التي قدمتها نوال حول نفسها من خلال المعلومات التي قدمتها للأب.

وقد قدمت نوال صورة عن نفسها وحكايتها مع الشارع فقالت:

> "أنا اسمي نوال وأمي ميتة وأبويا متزوج من ثلاثة وكلهن حوامل". صورت نوال الأب باعتباره مدمنا لكل أنواع المخدرات يعمل فى الموالد على عربة مراجيح، وأحيانا يقف على "ترابيزة قمار" فى المولد. بعد فترة من العلاقة بنوال بدأت تعترف للباحثة بأنها كذبت عليها وأن أمها ما زالت على قيد الحياة وتعيش مع الأب: "أنا أمى عايشة، وأبويا مش متجوز على أمى ولا حاجة وهوه عايش معاها كويس".

تحكى نوال عن ملابسات وظروف الأسرة والأسباب التى دفعتها إلى ترك المنزل كما يلي:

"أنا ليه خمسة أخوات وأنا السادسة ، أبويا عنده مصنع حلويات بيعمل عرايس المولد وحلويات" وفى مرة أخرى قالت إنه يدور فى الموالد بمائدة قمار. "أنا دخلت مدرسة وكنت بأحب المدرسة وشاطرة. ولما ظهرت النتيجة أعطيت للراجل جنيه علشان يدينى الشهادة بتاعة سنة أولى إعدادى وصرفت الجنية الثانى على نفسي. قام ابويا مسكنى ضربنى، ومسك الشهادة وقطعها وكتفنى. ولما رجعت المدرسة رجعونى سنة أولى إعدادى تانى بدل ما أروح سنة تانية إعدادى".

وبالنسبة لحكاية نوال مع المدرسة، يصححها الأب ذاكرا أنها رسبت فى الصف الأول الإعدادى وإنه بالفعل قام بضربها لأنها خدعته وقدمت له شهادة تثبت أنها ناجحة فى الصف الأول الإعدادى وعندما ذهب إلى المدرسة فوجئ بأنها راسبة، ولا يعلم حتى الآن كيف حصلت على هذه الشهادة. لقد نفى الأب أن يكون مسئولا عن خروجها من المدرسة. قائلا إن لها مشكلات كثيرة مع المدرسة والمدرسين بسبب هروبها المتكرر.

تواصل نوال روايتها عن حياتها ذاكرة أن أباها قد تركهم وسافر إلى ليبيا للعمل. لم يرغب الأب فى تركهم بمفردهم فاقترح عليهم الذهاب إلى العم فى سمالوط بمحافظة المنيا ووعد العم أنه سوف يدخل نوال المدرسة ويقوم برعايتها هى وأمها فى غياب الأب.

وكانت مشكلة نوال الأساسية بسمالوط هى اختلاف تقاليد الحياة فيها عن مدينة المنيا الحضرى حيث تعودت على معيشة كان متاحا لها فيها الخروج وحرية الحركة عن الحياة الريفية فى سمالوط حيث تقول نوال إنهم يشبهون البدو فى عاداتهم.

وتقول نوال:

"ولما رحنا هناك ظهر عمى على حقيقته، مرضاش يدخلنى المدرسة، وكان بيعاملنا معاملة وحشة جدا. وكان بيشغلنا فى الأرض (الفلاحة)، وفى البيت زى الخدامين لحد ما تعبنا كلنا وأختى الصغيرة تعبت جدا وعيت، ولما قلنا لعمى راح جاب لها دواء من غير دكتور يكشف عليها وكانت النتيجة إنها كانت حتموت مننا".

كان عم نوال دائم الإعتداء على الأم والأولاد بالضرب. تذكر نوال أنها فى مرة أعدت لهم صوانى كنافة وبسبوسة فقام بضربها بسبب تبذيرها وإنفاق نقود بدون إذنه وقد ترتب على ذلك الضرب أن أصيبت إصابة شديدة فشكته إلى البوليس، وقد كان معرضا للسجن لولا رجوع الأب الذى أرغم الأم على التنازل عن المحضر. وتقول نوال إن معاملة أبيهم لهم تغيرت بسبب ما رواه العم له عن نوال وأمها.

نتيجة لإجبار الأب الأسرة على الإقامة فى سمالوط، كانت نوال تهرب هى وأخوها إلى مدينة المنيا. وتعيش مع الجدة فى المنيا ولكنها كانت تقضى أوقات طويلة فى الشارع.

وفى المنيا تعرفت نوال على شاب (عمره ١٥ عاما) يعمل بائعا للمياه الغازية فى قطار السكة الحديد وله صلات بعالم الشارع ويعرف منطقة الجيزة. وعندما تركت نوال الأسرة فيما بعد أقامت مع هذا الشاب هى وبنت أخرى فى حجرة مفروشة بمنطقة أبو النمرس.

من سن ١٢ سنة حين هربت نوال لأول مرة وحتى لحظة كتابة هذه السطور تعيش فى الشارع وكلما يتم القبض عليها يتم إرسالها إلى الأب الذى يقوم بضربها وتكتيفها بالجنزير وتقضى معه بعض الوقت ثم تعود للهروب إلى الشارع مرة أخرى. ومن خلال تجارب الهروب المتكررة تعرف الأب على أماكن تواجدها فى الشارع حيث تم الاتصال به من قبل قرية الأمل ومركز الجيزة وأصبح يزورها فى الشارع من آن لآخر.

العلاقة بالأسرة فى أثناء الوجود فى الشارع

مع تطور علاقة نوال بالباحثة وزياراتها المتكررة للمركز بالجيزة طلبت نوال من الباحثة كتابة خطاب لأبيها تخبره عن رغبتها فى العودة للمنزل. لقد كان قصد نوال أن تختبر رد فعل الأسرة تجاه هروبها قبل أن تقرر الرجوع بالفعل إلى المنزل وقضاء العيد معهم ورد عليها الأب يشجعها على العودة.

وكانت أحوال نوال النفسية ممتازة بعد استلامها هذا الخطاب من الأب. وتحكى الباحثة عن خبرتها فى مساعدة نوال فى العودة إلى الأهل كما يلى: "يوم الخميس ذهبت فى الصباح حوالى الساعة التاسعة وقمت بإيقاظ نوال من النوم، وكانت تنام داخل نافورة

محطة السكة الحديد بجوار إحدى صديقاتها، وذهبنا وقطعنا تذكرة القطار إلى المنيا ، وقبل ان يأتى القطار ذهبت نوال إلى مجموعة من أصدقائها الذكور (من أطفال وشباب الشارع الموجودين فى الحديقة) وكانت مدخرة معهم نقوداً فطلبتها منهم، وأخبرتهم بنيتها العودة إلى البيت. فكان تعليق (..) أحد القادة المنتشرين في المكان "سيبك منها، دى بنت مش بتاعة عيشة فى البيت، دى حتضحك عليكى مش حتروح". وأخبرت نوال كل من فى الجنينة بقرارها العودة للأهل وعبر لها العديد عن مشاعر الفرحة بقرارها وإن كان البعض الآخر متشككا فى جدية القرار".

وبعد سفرها كتبت الباحثة خطابا لأم ووالد نوال سائلة إياهما أن يحاولا التقرب إلى نوال والتعامل معها بروح متسامحة حتى لا تهرب مرة أخرى.

لكن بعد حوالى أسبوع عادت نوال إلى الحديقة مرة اخرى وزارت المركز بالجيزة طالبة لقاء الباحثة وكانت في حالة سيئة جدا وتحت تأثير مخدر قوي بفعل البرشام الذي تعاطته بكمية كبيرة. تاني يوم قابلتها الباحثة وسألتها عن سبب عودتها للشارع مرة أخرى فحكت نوال عن تجربة إقامتها في البيت لمدة أسبوع كالتالي:

"لما أبويا شافني خدني بالحضن، وهوة على فكرة يا أبلة طيب قوي وامي خدتني بالحضن وبكت شوية وخلاص. أبويا كان بيسبنى على راحتى فى البلد. كنت أروح لستى وأروّح زى ما أنا عايزة، المهم آخر اليوم أنام فى البيت. أول ما روحت شفت إخواتى كبروا كلهم (تركت نوال البيت قبل هذه الزيارة بثلاثة سنوات). مع أن أبويا بيعاملنى كويس، بس لو حد قال لى كلمة كدة ولا كدة تلاقينى أقعد مع نفسى والكلمة تفضل تكبر فى رأسى، وأحس أنى مش عايزة أعيش معاهم وعايزة أرجع للجنينة وكل شوية تطلع فى دماغى. أصل أنا ملبوسة، وأنا صغيرة أبويا ضربنى على رأسى، وقعت على الأرض، فركبنى عفريت، جابوا واحدة تقرأ قرآن عليّه. وأنا لحد دلوقتى لسة ملبوسة ، مش عارفة إية إللى بيخلينى ما أقدرش أقعد فى البيت".

بعد يومين جاء أبو نوال للحديقة لاستعادتها مرة أخرى. حاول أخذها بالقوة، ولكن تجمع الناس حوله، وادعت نوال أنه ليس بأبيها وتمكنت من الهروب منه فى زحام المحطة.

حكاية نوال كما يرويها والدها

لقد حضر الأب إلى المركز بالجيزة فى أحد الأيام. كان الاب قد تعرف منذ فترة على علاقة نوال بالمركز، فقد سبق لباحثة المركز أن أرسلت له خطابا مع نوال عندما عادت للبيت فى إحدى المرات. أيضا فإن الأب على دراية بمنطقة الجيزة من خلال أخ نوال الذى يقيم فيها ويعود للبيت بعض الأحيان. ولما حضر أبو نوال إلى المركز ليأخذها لتعيش معه بمجرد أن رأته نوال ارتمت فى أحضانه وعبر الأب ونوال عن اشتياقهما لرؤية أحدهما الآخر.

حكى لنا أبو نوال إنه أتى وبحث عن نوال فى حديقة الميدان، وعندما لم يجدها، ذهب عند الكوبرى وسأل أحد الأشخاص عنها، فقام هذا الشخص بدوره بسؤال الأب عن صلة قرابته بها وأخذ يسب أباها دون أن يعرف شخصيته. وحكى له كيف أن أب نوال مدمن للخمور وحرامى وهذه نفس الصورة التى تقدمها نوال لكل من حولها وبدأ الأب يواجهها بالكلام الذى تقوله عنه وسألها إذا كان يشرب الخمور ويقوم بضربها طوال الوقت، فابتسمت نوال وقالت "لا". لقد علمنا من الأب إنه يعمل سائقاً، ولم يسبق له العمل فى الموالد كما ادعت نوال.

لقد قدم الاب صورة مختلفة عن التى قدمتها نوال عنه، ذاكرا كيف كان حريصا على دراستها التى لم تفلح فيها. وقد اكدت نوال المعلومات التى قدمها ولكنها ظلت مصرة على أن الأب تركهم للعم، وعبرت لأبيها عن كرهها الشديد لعمها ولمعيشتهم معه فى سمالوط. لقد برر الأب ذلك بأنه أرسلها لعمها لكى يشرف على تربيتها، وضبط سلوكها، بعد أن أعيته الحيل فى التعامل معها، وبسبب سفره للعمل فى ليبيا. ومؤكدا على أن العم شخص حازم "ماعندوش تفاهم" لذا تصور الأب أن العم أقدر على تقويم سلوك ابنته. وذكر الأب للباحثة أنه يوهم العم حتى هذه اللحظة أن نوال تعيش مع أناس من معارف الأب فى القاهرة. لأنه لو علم بحقيقة معيشة نوال فى الشارع، فمن الممكن ان يقتلها. أيضا ذكر الأب أن نوال مسئولة عن تعليم أخيها شرب السجاير وأنها هى التى عودته على المعيشة فى الشارع. وشم الكلَّة.

بعد تبادل اللوم بين الأب ونوال، تمت تسوية الأمور بينهما بمعاونة باحثى المركز وعادت نوال مع والدها.

بعد أسبوعين من هذه الزيارة، ظهرت نوال وكانت فى حالة شديدة الفوضى، ترتدى ملابس "السيس" الممزقة. وعندما سألت الباحثة نوال عن سبب عودتها إلى الشارع أخذت تسب أباها بألفاظ شديدة السوقية. وقالت إنه ضربها وعاقبها بشدة على الحديث الذى تفوهت به عنه فى المركز، وأمام أصدقائها فى الشارع، وأنه لم يغفر لها أى شىء كما ادعى.

لم تكتف نوال بترك البيت ولكن لكى تنتقم من أبيها، فقد أقنعت أخاها الأصغر أن يترك معها البيت كان أخوها أيضا دائم الهروب من البيت، وإن كان أبوه قد ذكر فى لقائه مع الباحثة أنه قد قرر الاستقرار فى البيت وتعلم مهنة الميكانيكا. تقول نوال "أنا هأخليه يعرف إزاى يضربنى، أخدت أخويا معايا، دى هاتطلع من عينة الحكاية دى".

تذكر بعض البنات من أصدقاء نوال أنها تقوم "بتسريح"أخيها وتحصل منه على نقود نظير عمله فى التسول.

حياة نوال فى الشارع

وبالشارع كما ذكرنا سابقا فإن نوال تقضى اغلب وقتها فى الحديقة. وتدخل فى علاقات قوية جدا بمراكز السلطة والأشخاص المؤثرين فى الجنينة.

تعمل نوال فى بعض الأحيان على فرشة الشاى الخاصة بالقيادات بالمكان.

فى بعض الأحيان تترك نوال الحديقة وتذهب لكى تقيم لدى القائد للمكان حيث تدعى قيامها "بتسلية زوجته"،أو بتنظيف الشقة له. فى أحيان أخرى تذهب نوال لكى تقيم مع إحدى صديقاتها (..) وهى متزوجة زواجا عرفيا من أحد شباب الشارع فى أحد الحجرات (المؤجرة مفروشة) بمنطقة أبو النمرس.

فى فترة أخرى عملت نوال مع أحد الحواة، وكانت تقوم بالتجول معه من منطقة لأخرى. وهو يؤدى ألعابه فى الميادين العامة. وتقيم معه آخر اليوم فى بيته بمنطقة البدرشين. وتستخدم نوال هذا الشخص لكي يضمنها حين يتم القبض عليها، حيث تعطى اسمه باعتباره ولى أمرها، وعنوان بيته فى البدرشين.

فى أحد المرات روت صديقة لنوال وزميلتها فى المنطقة أنها شاهدت نوال فى صحبة امرأتين ومعهن ثلاثة شباب، حيث قضوا وقتا فى بيت إحدى المرأتين. حين روت الفتاة هذه الرواية فى حضور الباحثة ، انفعلت نوال بشدة، وأقسمت أنها لا تفعل أى شىء غلط، وقالت إنها ذهبت معهم للبعد عن الشارع والاستراحة من النوم فى الشارع لفترة حيث كانت تنام فى حجرة منفصلة مع النساء.

لقد حكت أكثر من بنت أن نوال كانت تقنعهم بالذهاب "لتنظيف" شقة القائد والنوم معه، وأن نوال تحصل على الحماية والعطف بفضل نتيجة قيامها "باستقطاب" البنات الجدد فى الجنينة وتوصيلهم له.

وكانت نوال ترتبط بقائد آخر بنفس المكان بعلاقة قوية حيث تعتمد عليه في الحماية اساسا. تقول نوال عن مشاعرها تجاه هذا القائد: "أنا باحب الجنينة علشان لقيت فيها ابويا (..) . ده حنين قوي. يا ريت كان هوة أبويا ما كنتش سبت البيت أبدا".

فى فترة أخرى اشتكت نوال من نفس الشخص "(..) دلوقتى مش بحبه خالص. آخر مرة كان عمال يطلب منى حاجات وحشة ولما بارفض، بيفضل يضرب فيه".

نوال تتعاطى مختلف أنواع البرشام المخدر ، بالذات النوع الشائع والموجود فى متناول اغلب أطفال الشوارع والمسمى (الباركينول).

إن علاقة الحماية التى تحصل عليها نوال من المخبر بالمنطقة والعطف الذى تناله من القائد يساعدها كثيرا على التكيف مع حياة الشارع. فهي ليس لديها مصدر منتظم للدخل، فهى تمارس التسول بشكل عرضى، ولا تمارس الدعارة كمصدر منتظم للدخل. وإن كانت تحصل على احتياجاتها من البرشام والطعام بصورة أو بأخرى عن طريق مشاركتها الحياة مع غيرها من البنات والأولاد فى الحديقة، ومن خلال عملها غير المنتظم مع القيادات بالمنطقة أو مع الحاوى.

نوال لديها شعور انتقامى شديد تجاه النفس، لقد قامت أكثر من مرة بتشريح جسمها بالموس حين تدخل فى مشاجرة مع أحد/ أوحين يتدخل أحد أمناء الشرطة للقبض عليها.

فى أحد الأيام حملها أصدقاؤها فى الشارع وأتوا بها إلى المركز وكانت متعاطية كمية كبيرة من البرشام المخدر. وبعد أن أجرى لها طبيب المركز عملية غسيل معدة، وهدأت قليلا ثم انتابتها نوبة هستيرية من الضحك والبكاء، متهمة كل من حولها بأنهم يكرهونها، وأخذت تحكى عن قيام أمها بخيانة أبيها وعملها كقوادة، وإنها تحب أن تقلد أمها وتشعر بفرحة شديدة عندما تحرض البنات الجدد على الذهاب إلى القائد أو المخبر ليناما معهن.

فى هذه النوبة الهستيرية كانت نوال تسرد أحداث ضرب أبيها لها عندما كانت صغيرة، وكيف كان يمنعها من اللعب مع أخوتها، ويجبرهم على النوم مبكرا. كان حديثها عن المدرسة التى خرجت منها مرغمة، يختلط بروايات وجمل غير مترابطة عن ضرب أبيها لها. بعد أن هدأت قليلا طلبت من الباحثة المسئولة أن تختلى بنفسها، وتغير ملابسها فى الحجرة، وكانت الباحثة متشككة فى سلوك نوال، فأدخلتها الحجرة مع مراقبتها من بعيد، فلاحظت الباحثة وجود موس (شفرة حلاقة)، ومحاولة نوال تقطيع جسمها بالموس كما تفعل دائما، وتم السيطرة على الموقف بعد أن أصيبت بجرح بسيط.

وفى اليوم التالي جاءت إحدى صديقاتها وأخبرتهم أن نوال بعد أن تركت المركز فى المساء أخذت موس وقامت بإصابة نفسها فى أنحاء متفرقة من جسمها، فقاموا بنقلها إلى مستشفى أم المصريين.

حتى لحظة كتابة البحث لا تزال نوال فى الشارع، تغيب أحيانا لتقضى بعض الوقت مع أصدقائها فى حجرات مفروشة، وتأتى لزيارة المركز والمشاركة فى أنشطته، وتنام فى الحديقة العامة أحيانا أخرى.

الحالة الحادية عشر ... سيد

سيد في الأسرة

كان سيد يعيش مع الأم والأب وأخته الشقيقة بالزقازيق. يحكي سيد عن حياته خلال هذه الفترة كالتالي:

"قصتي تبدأ من الزقازيق، أول ما وعيت على الحياة في سن ٤ سنين، كانت أمي وأبويا وأختي عايشين مع بعض. أختي ماكنتش في المدرسة وأنا كنت باروح حضانة المدرسة. كنت باجي من المدرسة ألعب مع أختي وأروح عند ستي نتفرج على التلفزيون. أبويا كان شغال في ورشة حدادة (سوست سيارات). كان في الأيام دي أبويا يقعد يتخانق مع أمي على أسباب تافهة زي التأخير في عمل الأكل أو علشان مغسلتش الهدوم بتاعته. بعد كدة اطلقوا وعرفنا ان أبويا أصلا كان متجوز واحدة تانية من الأصل وماكانش حد يعرف وكان مخلف منها ولد وبنت. بعد الطلاق خدني أنا وأختي نعيش معه ومع مراته التانية وابنها وبنتها. أمي بعد كدة أتجوزت واحد تاني بعد ما اتجوزته اتحبس علشان طلع بتاع مخدرات".

حياة سيد وأخته تغيرت تماما بعد أن انتقلا ليعيش مع زوجة الأب. كانت زوجة الأب دائمة النقد لسيد بخصوص أي تصرف من تصرفاته من فتحه التلفزيون إلى فشله في المدرسة إلى إغاظته باستمرار وتذكيره بأمه الفاشلة التي تزوجت تاجر مخدرات ولم تفلح في تربيته.

في المدرسة لم يكن مستوي سيد مرضيا "أبويا دخلني المدرسة وماكنتش بافهم حاجة خالص من المدرسين، وكنت باكره المدرسة". وبدأ سيد في الهروب من الدراسة التي يكرهها والبيت الذي لا يحبه. كان يقضى الوقت في لعب "الرفه" مع الأولاد في وقت المدرسة ثم يعود إلى البيت في آخر النهار. بعد رسوب سيد في الصف الثاني الإبتدائي أخرجه الوالد من المدرسة وجعله يعمل معه في ورشة سوست السيارات. تعلم سيد العمل وأحبه. ولكن مشكلته الرئيسة كانت مع الأسطى الذي يقوم بمعاقبته بالضرب على أي تصرف. كان الأسطى يتهمه بضياع المعدات ويقوم بضربه وأحيانا كان الوالد يعاونه ويوافقه على هذا الضرب. ثم قام الوالد بإرسال سيد إلى ورشة نجارة بدلا من ورشة سوست السيارات. ويقول سيد إنه كان يكره مهنة النجارة، وكان دائم الهروب منها إلى أن طرده صاحب الورشة. بعد أن ترك الورشة أعاده الأب مرة أخرى للبيت لكي يجلس فيه مع زوجة الأب وأخته.

وكانت حياة سيد مع زوجة الأب في البيت ليست أفضل منها مع ورشة النجارة أو المدرسة. لم يكن من الممكن أن يجلس في البيت بدون مدرسة أو عمل ويحكي سيد عن حياته في هذه الفترة كالتالي:

"مرات أبويا كانت تفضل تضايقني وتخلي أختي تقوم بكل شغل البيت تكنس وتمسح. كنت أسيب لها البيت أروح أنا وصحابي نلعب الرفه عند محطة السكة الحديد. كنت ساعات أروح اقعد عند ستي اللي هي أم أبويا وساعات كنت أروح أقعد عند أمي علشان كانت قريبة من عندنا، مسافة عشرة صاغ بالميكروباص. كنت أقضي طول النهار عندها، وبالليل تقول لي روح علشان أبوك ما يجيش يضربك".

وأسهم تنقل سيد بين بيت الأم والجدة والشارع في إضعاف رقابة الأسرة عليه، وكان هذا التنقل المستمر يعني تقوية جرأة سيد وعدم خوفه من الشارع والحركة فيه وكان مبررا لقضاء وقت طويل فيه بدون علم الأب الذي كان يعتقد أنه مع الأم ويبدو أنه كان فرصة لزوجة الأب للتخلص من مشاحنات سيد معها.

يلخص سيد الوضع كالتالي:

"ما كنتش أحب أقعد في البيت وابويا مش راضي ياخدني معاه في شغل الحدادة اللي أنا باحبه، وعاوزني اشتغل في النجارة اللي ما بحبهاش. في مرة كنت عند محطة السكة الحديد جه قطر قمت ركبته ونزلت في الإسماعيلية. إتعرفت على واد هناك قالي انت بقالك قد إيه سايب بيتكم، قلتلوا لسة النهاردة. قال تعالي إحنا نشتغل مع بعضينا وكل الفلوس اللي نلمها نصرفها مع بعض. كنا نجيب بالفلوس اللي ناخدها أكل وسجاير ولما علمني التسول وكان معايا عشرة جنيه قعدنا نصرف فيها لحد ما خلصت، قام سابني ومشي. ماكنتش عارف أعمل إيه، كنت بالم سبارس من الأرض".

قضى سيد في الإسماعيلية بضعة أيام لم يستطع عدها، ثم ركب القطار ونزل إلى القاهرة. في محطة رمسيس تعرف على بعض الأولاد الذين قاموا بتعريفه على نادي شبرا لقرية الأمل وذهب معهم إلى هناك. في النادي حصل سيد على ملابس جديدة وخضع لفحص طبي. كان يقضي اليوم في النادي حتى الساعة الخامسة مساءا ويقضي بعد الظهر والليل في الشارع ويقوم بالتسول. تعلم من الأولاد أن يمسك بفوطة ويقوم بمسح العربات. كانت نقطة تمركزه هي أساساً منطقة مدخل القاهرة.

من خلال إقامته في منطقة مدخل القاهرة تحدث معه الأولاد عن الجيزة وقالوا له إن فرص الكسب بها أحسن. قدمه الأولاد إلى شخص في ميدان المحطة يعمل على صندوق ورنيش قال له "خليك معايا وهاجيب لك أكل وسجاير وخمرة وكل حاجة حلوة" وكان يجعل سيد يجلس على صندوق الورنيش ويقوم بالإشراف عليه من وقت لآخر. في أحد المرات أخذه إلى حديقة تقع خلف الميدان وحاول أن يعتدي عليه جنسيا تحت تهديد موس (شفرة حلاقة). يقول سيد إن زملاءه أنقذوه منه قبل أن يعتدي عليه وقاموا بضربه ضربا مبرحا.

على أثر هذه التجربة رجع سيد إلى المنطقة الأولى التي يعرفها جيدا ومن خلال علاقته بنادي شبرا تعرف على قيادات الشارع الذين أصبحوا "شلته" الدائمة في الشارع فيما بعد. تعرف من خلالهم على مناطق جديدة، فكان يذهب الى محل المطعم بوسط البلد للحصول على الطعام من التسول وكان أيضاً يقوم بمسح العربات.

وحيث إن العنف والمخدرات هو جزء أساسى من مجتمع أطفال الشارع في هذه المنطقة. لقد تعرض سيد إلى الضرب برقبة زجاجة في رقبته من أحد الشباب الأكبر سنا الذين كانوا يرغمونه على شم الكلّة.

وفي هذا المكان أيضاً قابل أحد الأولاد الذين يعملون في جمع القمامة بمنطقة الزرايب. عرض عليه أن يقدمه إلى صاحب العمل وأن يعمل معه. كان يقوم سيد بمعاونة زميله بالعمل على عربة يجرها حمار ويقومان بجمع قطع النحاس والألومنيوم وعلب السمن الفارغة من القمامة حيث يقومان بفرزها وتسليمها إلى صاحب العمل الذي يبيعها بدوره لمصانع إعادة التصنيع. وكان يحصل سيد من هذا العمل على ١٥٠ جنيها وينام لدى صاحب العمل في منطقة الزرايب.

ولكن في أثناء عمل سيد على عربة جمع القمامة كان قد تعود من خلال زميله على تعاطي البرشام المخدر. وفي أحد المرات قاما بسرقة الواح الومنيوم مخزونة في بيت تحت البناء. ولكي يتشجع سيد على السرقة أغراه زميله بتعاطي كمية من الحبوب المخدرة. وأعطوا الألواح صاحب المحل الذي أعطاهم مكافأة ٢٥٠ جنيها على ذلك.

في أحد الأيام وبينما كان سيد وزميله تحت تأثير البرشام انقلبت العربة التي يستقلونها وسقطت فوق ركبة سيد. لم يدر بنفسه إلا وهو في المستشفى، وعندما أفاق أعطي لهم عنوان أبيه في الزقازيق وأتي أبوه لاستلامه من مستشفى أم المصريين بالجيزة.

عاد سيد مع أبيه إلى الزقازيق، وكانت قدمه في الجبس وقضى مع أبيه بعض الوقت حتى تعافي جزئيا، وفي أثناء ذلك. كان أبوه دائم التوبيخ له على فقد مستقبله وعلى تسببه في إصابة قدمه بسبب تركه البيت. لم يحتمل سيد التأنيب المستمر من الوالد فترك البيت مرة أخرى ونزل في هذه المرة إلى منطقة الميدان بالجيزة. كان هذا النزول الثاني بمثابة تحول لسيد إلى طفل شارع محترف. الخبرات التي تجمعت لديه من الفترة السابقة بالشارع بالإضافة إلى الإصابة التي لحقت برجله وأصبح معها لا يستطيع ان يسير بطريقة طبيعية ويقوم بإسناد يده على ركبته نتيجة لالتواء شديد بالركبة هيأت له الاعتماد التام وطول الوقت على التسول كمصدر للرزق في الشارع. الآلام النفسية التي أدت إلى تحوله إلى شخص عاجز كان يتغلب عليها بتعاطي المخدرات بشكل مكثف (من كلَّة وبرشام مخدر).

وأصبح سيد مصدراً للرزق بالنسبة لأصدقائه المقربين في مقابل ما يتحصل عليه من التسول والذي ينفقه معهم فإنهم مصدر العون والحماية له. يقضي سيد الوقت معهم في التسكع في شوارع القاهرة وشم الكلَّة وتعاطي البرشام وأحيانا ممارسة الجنس مع أصغر الأولاد سنا. إن اندماجه الشديد مع الأقران في الشارع يقابله على الوجه الآخر الأب الذي يذكره طول الوقت بفشله ويقارنه بأخيه "الناجح" طول الوقت. يشعر سيد أن زوجة الأب شامتة فيه. والأم مشغولة بحياتها مع زوجها الثاني. لا يرغب سيد في رؤية أبيه وزوجة أبيه مرة أخرى. يزور الأم باستمرار. كلما ضاقت عليه حياة الشارع بسبب المطاردة الأمنية وآلام ركبته المستمرة لقضاء أسبوع ثم يعود الى أقرانه مرة أخرى.

الأب من ناحيته سلم بوجود سيد في الشارع كأمر واقع. يقول سيد "في آخر مرة رحت لأبويا قاللي إنت حر في نفسك، دلوقت أنا ربيتك على قد ما قدرت وأنت دلوقتي تعتمد على نفسك".

يتحرك سيد أحيانا على كرسي متحرك ويستطيع المشي بنفسه بصعوبة ويقول سيد انه اشترى هذا الكرسي المتحرك بـ ٤٠٠ جنيه، أما أحد أصدقائه فيؤكد أنهم قاموا بسرقته من أمام قسم قصر النيل وقاموا بطلائه من أجل ألا يتعرف عليه أحد. تساعد العاهة سيد على تجنب عنف الشرطة مع الأولاد حين يتم القبض عليهم، ولكنها من ناحية أخرى لا تشفع له عند القبض عليه. لقد قبض عليه للتحرى عدداً لا يحصى من المرات واتهم في قضية سرقة وحكم عليه بثلاث سنوات في مؤسسة الأحداث ولكنه هرب من المؤسسة.

خلال الفترة من سن ١٥ سنة حين أصيب سيد في قدمه وحتى لحظة كتابة البحث حيث كان عمره ١٩ سنة فإن سيداً مستمر في حياة الشارع مع زيارات قصيرة للأم. ويرى أن وجوده في الشارع أصبح أمرا واقعا "موضوع الشارع ده دلوقتي مش مخسرني حاجة. أنا ممكن أرجع بس إيه مستني ربنا يفرجها عليّه بقرشين كويسين، أقوم مروح أحسن ما أروح بإيدي فاضية".

بالإضافة إلى التعود الشديد على المخدرات والأقران فإن العائق الأساسي أمام عودة سيد إلى بلده هو الشعور بالعار والخجل من الفشل والنظر إليه في بلدته كصايع. عندما يزور بلدته فإنه يوهمهم بأنه يعمل في مصر (ميكانيكيا) وسيعود عندما يدخر مبلغا من المال. هذا المبلغ من المال لن يأتي أبدا، ليس بسبب قلة ما يكسبه سيد من التسول ولكن بسبب نمط حياة الشارع نفسها من إنفاق على "المزاج" والتعرض الدائم لفقدان المال بسبب السطو عليه من الأقران.

الحالة الثانية عشر .. زكي

تتفرد حالة زكي عن الآخرين من حيث وضع الأسرة وسبب النزول الى الشارع فإن الحالة الاقتصادية للأسرة تبدو أنها ميسورة حيث يعمل الأب فى الكويت ويمتلك قطعة من الأرض الزراعية يقوم بتأجيرها. كما أن أسرته الأصلية تبدو متماسكة فلا يوجد طلاق أو تعدد زواج كما هو الحال مع غالبية الحالات. المشكلة هنا ترتبط ارتباطا شديدا بالمدرسة التي يرفضها الطفل رفضا مطلقا في حين الأب يرغب في تعليمه بأي ثمن.

من حيث نمط علاقته بالشارع فإن زكي شديد الارتباط بالممارسات الجنسية مع أصغر الأطفال سناً والعنف وعنده حوالي عشر جروح "بشل" في الرأس والوجه والعنق وكذلك المخدرات حيث يشم كلَّة ويتعاطى برشاماً. إنه يمثل شخصية طفل الشارع في أقصى أشكالها تطرفاً. زكي وهو عمره الآن ١٩ سنة بدأ التردد على الشارع من سن ٧ سنوات وبدأ يقيم في الشارع بصفة شبه دائمة منذ سن ١٢ سنة.

زكي له أخ أكبر منه وخمس أخوات بنات. يعيش الوالد والأسرة في سوهاج. يملك الأب قطعة من الأرض يقوم بتأجيرها الى فلاحين وتحصل الأم على الإيجار حينما يكون الأب غائباً. كان الأب يملك قمينة للطوب ولكنه تركها وسافر للكويت. يبدو أن أحوالهم المادية ميسورة فهم يمتلكون البيت الذي يعيشون فيه، الأب يرسل النقود للأسرة بانتظام كما يزور الأسرة من آن لآخر. في أثناء غياب الأب، يقوم العم بالإشراف ومتابعة أحوال الأسرة. أول مرة سافر الأب الى الكويت حينما كان سن زكي حوالي ٩ أعوام. كان الأب شديد الحرص على تعليمه بعد أن فشل الأخ الأكبر في التعليم وعمل مبيض محارة. يقول زكي:

"بعد ما أبويا سافر ماكانش حد يسأل عليا. مرة هربت من المدرسة وروحت مع العيال محطة القطر علشان كانوا بيروحوا يلعبوا هناك ورجعت على البيت. بعد كدة بلغت عني المدرسة اني مابروحش، وكان عمي دايماً يضربني جامد على الحكاية دي وقاللي خليك كدة لحد ما أبوك ييجي يشوف لك صرفة في الحكاية دي. أول ما أبويا وصل، عمي قاله على حكاية المدرسة راح مسكني وضاربني هو كمان. كان بيربطني بالجنزير في السرير ويقعد يضرب فيا".

مشكلة زكي الأساسية هي عدم تكيفه مع المدرسة. إنه دائم الاعتداء على أقرانه في المدرسة ونتيجة لشكواهم منه كان الناظر والمدرسون دائمي العقاب له. كانوا يجعلونه يحمل حقيبة المدرسة فوق رأسه ويقف بها في فناء المدرسة لمدة ساعة أو ساعة ونصف ونتيجة لذلك كان دائم الاستمرار بالانتقام من الأولاد الذين اشتكوه للناظر الذي يقوم بدوره بعقاب زكي وإبلاغ والده أو عمه في أثناء غياب الوالد حول سوء سلوكه. رغم مرور هذه الفترة الطويلة على ترك زكي المدرسة أي حوالي سبع سنوات وما تعرض له في الشارع من عنف فهو لازال قادرا على تذكر ووصف أساليب عقاب المدرسين له!.

واستمر زكي في الغياب من المدرسة وفي ترك البيت وإيهامهم بأنه ذاهب الى المدرسة ثم يقوم بالتنزه واللعب مع أصحابه أمام محطة السكة الحديد بسوهاج حتى انتهت علاقة زكي بالمدرسة في سن ١٢ سنة حيث تم فصله منها بسبب الغياب.

كانت تجربة أول نزول الى القاهرة عندما كان سنه ٨ سنوات حيث أغراه احد أصدقائه بركوب القطار والذهاب لرؤية "مصر" ويصف زكي التجربة كالتالي:

"بعد ما أبويا سافر، رحت مع العيال اللي بيركبوا القطر. روحت ركبت معاهم، بس في القطر العيال تاهو مني وفضلت لوحدي. أنا كنت خايف وعايز أروح، بس قولت ها عمل إيه. فضلت في القطر لحد ما راح رمسيس، ونزلت في رمسيس بس ماكنتش عارف حد خالص هناك. كنت عايز آكل روحت شاحت من الناس أكل. وشوفت عيال زيي هناك بتشحت فلوس وأكل، وقفت معاهم وقالوا تعالى نروح النادي بتاع شبرا. وأنا ماكنتش عارف يعني إيه كلمة نادي. روحت هناك وشفت عيال كتيرة قوي، وهناك عرفت (..) و (..) وباقي العيال بتوع (..) و (..) (مناطق مختلفة)".

خلال الفترة من سن ٧ سنوات وحتي سن ١٢ سنة فإن الأب إما كان يعثر على ابنه في نادي رمسيس أو يتم إرساله إلى البلد عن طريق شرطة الأحداث في القاهرة. السيناريو المتكرر هو قيام الأب بعقاب زكي على الهروب من الأسرة ومحاولة إجباره على الالتحاق بالمدرسة مرة أخرى. بمجرد سفر الأب إلى الكويت قام زكي بترك الأسرة ثانية. يقول زكي:

"كذا مرة أبويا ييجي ياخدني من هنا (السيدة زينب)، يروح مكتفني بالجنزير ورابطني في السرير، أقوم فاكك السلسلة وأقول لهم ماتخافوش مش هامشي. يومين كدة ورحت راكب القطر وماشي".

اللجوء إلى العنف لمنع زكي من الهروب ليس هو الاستراتيجية الوحيدة التي إتبعها معه الأب فالأم من ناحيتها تقوم باستعطاف زكي طالبة منه ألا يترك البيت. ويحكي زكي عندما كان عمره ١٩ سنة:

" المرة دي (كان ذلك من ثلاثة شهور) لما رحت البيت، أمي قالت لما تمشي قوللي بدل ما تهرب مني، قولتلها طيب. جيت أقولها إني ماشي، قعدت تعيط، قولت لها ماشي مش هامشي ما تعيطيش. أنا أصل كنت نويت أمشي علشان ما إدتنيش عيدية ولا حاجة. أنا كنت بس باهديها علشان أمشي من غير ما تعرف، وبعد يومين عملت كدة ومشيت من غير ما تعرف".

كما أشرنا فإن صلة زكي بالشارع بدأت منذ سن ٧-٨ سنوات. لقد تعايشت الدراسة مع وجوده في الشارع لفترة طويلة نسبيا. إن وصول زكي إلى الإبتدائية برغم علاقته بالمدرسة تشير إلى المستوى التعليمي المنخفض للمدرسة في مناطق الوجه القبلي عموما حيث إنه يستطيع أن يقرأ بصعوبة رغم وصوله إلى الابتدائية، كما تشير من ناحية أخرى إلى إصرار الوالد على تعليمه. منذ سن ١٢ سنة وحتى الآن وسنه الآن ١٩ سنة فإن علاقة زكي بالشارع هي الأصل وزيارته للأهل هي الاستثناء، وترجعه الشرطة إلى الأهل باستمرار كما ان الأب يعرف أماكن تواجده والأب على علاقة بنادي قرية الأمل في السيدة زينب ورمسيس كما أنه يعرف مركز الجيزة.

وزكي الآن متشرب بعادات وقيم الشارع الى حد بعيد. إنه يشم الكلَّة ويتعاطى الحبوب المخدرة بشراهة شديدة ويمارس الجنس مع أصغر الأطفال سنا وشديد العنف يجيد العراك واستخدام الموس ووجهه مملوء بالجروح كما قبض عليه أكثر من عشر مرات على حد قوله. وأقسام القاهرة مألوفة لديه حيث قبض عليه للتحري في أقسام بوليس عديدة: الأزبكية، روض الفرج، شبرا، الخليفة، عابدين. كما قضى شهرا في مؤسسة أبو قتادة للأحداث بالجيزة.

زكي من الحالات القليلة التي لا تدعم الأسرة ماليا من خلال وجوده في الشارع. لا يوجد مصدر دخل أو مهنة منتظمة له في الشارع. لقد مارس التسول وتطويق العربات وبيع المناديل. وفي الثلاث سنوات الأخيرة يعتمد في مصادر بقائه للحصول على الطعام والكلَّة والبرشام على عضويته في مجموعة تتكون من أقرانه شباب الشارع القدامى وواحد منهم ذو عاهة تسهل عليه التسول.

في حوار الباحث مع زكي حول مصدر دخله نجد أنه حريص على تقديم نفسه باعتباره شابا عاملا. ولا يذكر بصراحة مورد دخله ودار هذا الحوار.

- الباحث: بتجيب فلوس للأكل والكلَّة منين؟
- زكي: باشتغل
- الباحث: بتشتغل ايه؟
- زكي: أي حاجة مبيض محارة
- الباحث: مع مين؟
- زكي: مع أخويا الكبير في البلد.
- الباحث: هنا (في الشارع) بتشتغل إيه؟
- زكي: واحد عنده شوية تراب أشيلهم.. أو أي حاجة زي كدة
- الباحث: ساعات بتشحت؟
- زكي: لأ باطوّق عربيات وبس، ساعات أبيع مناديل أو كبريت.
- الباحث: ما حدش بيضايقك وانت بتشتغل الشغلانات دي؟
- زكي: طبعا بعد ما كبرت كدة بيقولوا لي روح أشتغل وانت زي الشحط كده.

في فترة سابقة كان زكي قد ترك صديقه القائد وبدأ يتحرك باستمرار مع شاب آخر عاجز ورجله مقطوعة ويقول زكي عن هذه الفترة:

"فضلت أنا و(..) في المنيل والدقي بس لوحدينا مع بعض في كل حاجة، في الكلَّة والمسك من الحكومة وفي البرشام والدوا والمخدرات. وكنت ساعات باشحت وأجيب له فلوس واصرف منها، وكان ساعات هو بيشحت ويجيب لي أكل وكدة. كنا اخوات في الأكل والشرب وكل حاجة".

هذه العلاقة أثارت غيرة الصديق السابق فقام بالاعتداء على الشاب العاجز مستخدماً قطعة قماش مبللة بالبنزين قام بحرقها وإلقائها على الشاب العاجز. وساعده زكي على إطفائها ولكنه أصيب بحروق وتم علاجه في مركز الجيزة.

من خلال العمل الميداني والحوار مع الأطفال والشباب في الشارع ممكن التأكيد على أن زكي في علاقته بهذا الشاب كان يعتمد عليه في الحصول على النقود نتيجة لعاهته، وإن غيرة الشاب الآخر من هذه العلاقة ورد فعله العنيف يمكن فهمها إما برغبته في أن يكون مكان زكي في هذه العلاقة أو بسبب ضيقه من فقدان زكي كعضو في مجموعته.

تتميز مجموعة زكي من الأقران بطول فترة البقاء في الشارع حيث كل منهم قد قضى به حوالى ٧-٨ سنوات، وعادات الشارع من مخدرات وبرشام وجنس واضحة جدا. يحكي زكي عن تجربة قريبة له من ممارسة الجنس مع طفل صغير في الشارع كما يلي:

"مرة كنا في السيدة الساعة ١١ بالليل وكان الواد (..) مصرصر (متعاطي لبرشام يطلقون عليه الصراصير)، وطلعت معايا أنا والواد (..) إننا ننام مع أي حد. كان في الوقت ده في عيل من العيال السوس، بس كان جديد في الشارع (حينما سأله الباحث عن كيفية معرفته بذلك قال ان ملابسه الداخلية كانت نظيفة). رحنا أنا و(..) على الواد، قولتله تعالى معايا علشان نعرفك مكان كويس تنام فيه وراح الواد معانا لحد الخرابة اللي جنب مترو الأنفاق اللي في (..)، راح (..) رافع عليه شومة كبيرة ورحت انا رافع عليه حجر، و(..) قال له إقلع هدومك، قام الواد رفض، راح (..) مديله بالشومة على جسمه ورجليه ورحت انا مديله بالحجر على صوابعه. راح الواد قالع هدومه وراح (..) نايم مخلص معاه وبعدين أنا".

موقف زكي من الجنس غريب نسبيا. من الناحية الأخلاقية هو يعتبر الجنس مع البنات حرام ويمارسه مع الأولاد وحينما طلب الباحث تفسيرا منه على ذلك لم يجد زكي عنده ما يقوله مع أن له معرفة بأضرار الإيدز.

- الباحث: انتوا بتحبوا البنات ولا لأ؟
- زكي: لأ.
- الباحث: ليه؟
- زكي: حرام.
- الباحث: بس انا سمعت عن حاجات مع أولاد؟
- زكي: ده هو (..) وبيعزموني.

- الباحث: انت سمعت عن الأيدز؟
- زكي: آه من التلفزيون.
- الباحث: ما بتخافوش منه؟ تعرفوا انه بيتنقل عن طريق الحكاية دي ولا لأ؟
- زكي: هما يعرفوا، الواحد يقولك كبر دماغك يا عم.
- الباحث: ساعات الجنس بيسبب جروح؟
- زكي: ساعات بتعور آه لما يكون الواد جديد.

ويفسر زكي استمراره في الشارع بحب الشارع بأكثر مما يفسره بموقفه من البيت أو كرهه للبيت كما يفعل العديد من الأطفال. يقول زكي عن الشارع:

"إحنا في الشارع زي الأخوات، عايشين مع بعضينا زي الأخوات في الشارع. إنما هناك بقى (يقصد في البيت)، واحد يقولك مش عارف إيه ، يشتم يقوللي انت صايع وبتاع شوارع. اما هنا بقى كلنا زي بعضينا ما حدش أحسن من حد. لما تكون فيه خناقة مع حد كلهم يقفوا جنبي. كلنا مع بعضينا، مثلاً عايزين كلَّة عايزين برشام، مش عارف إيه كلنا إيد واحدة. أنا باحب زملائي علشان لما أكون متعور بيودوني المستشفى وكدة".

عندما يكون زكي في البيت لمدة يومين أو ثلاثة بين فترات نزوله الشارع فإنه يأتي بالكلَّة في شكل أنبوبة معجون بدلا من العلبة ينزع الغلاف الخارجي الذي يشير إلي أنها كلَّة ويحملها معه في أثناء وجوده في البيت من أجل شمها. والوضع المثالي بالنسبة لزكي هو أن يستمر في حياة الشارع ويزور الأسرة كل شهرين أو ثلاثة لزيارة أمه.

كل ما يطلبه زكي من المراكز العاملة مع أطفال الشارع هو أن يوجد معلم شارع يسمونه الكابتن مثل الكابتن رياض يقوم بمقابلتهم في الشارع بشكل دوري ، يستمع إليهم ويقوم بتدخين سيجارة معهم ويحل مشكلاتهم مع بعض. إن الرغبة في أن يستمع أحد لمشكلات زكي وظروفه لها الأولوية على الخدمات المادية المباشرة من ملابس وهدوم:

"يعني هو (يقصد مشرف النادي) يجيلنا بعجلة مثلا يوم السبت من كل أسبوع يقول الساعة اربعة مثلا استنوني في الحتة الفلانية، نقوم ننتظره. ييجي يصالحنا على بعض، يعرف ظروفنا إيه وإحنا قاعدين هنا ليه وكده. ممكن برضه يطلّعنا رحلة أو يحطنا في شغلانة عند أي حد".

إن حل الرجوع للبيت أو المعيشة في مؤسسة هو حل غير وارد، بالنسبة لزكي. وبرغم نقده حياة الشارع إلا أنه تعود عليها تماماً:

"من خرج من داره اتقل مقداره. الواحد في البلد في وسط إخواته ياكل ويشرب وينام، بس أنا باهرب علشان زمايلي إللي هنا بيوحشوني، أول ما قعد في البيت أقعد أفكر في (..) و(..) والكلَّة".

الحالة الثالثة عشر... دولت

ولدت دولت فى كفر طهرمس بالجيزة، وتركت المدرسة فى الصف الخامس الإبتدائى، الأب يعمل فى مجال المعمار مساعد بنّاء. هربت دولت من البيت فى سن ١٢ سنة. مازالت تعيش فى الشارع حتى سن ٢١ سنة. وتقيم دائما فى منطقة من مناطق البحث. وهى فتاة جميلة نسبيا وتهتم بمظهرها.

تقول دولت:

"أنا مريت فى حياتى بحاجات صعبة جداً. أبويا طلق أمى وأنا صغيرة، لسة فى اللفة. وأنا ماكنتش أعرف حاجة عن أمى لغاية ماكبرت. واكتشفت إنها طيبة جدا غير كلام أبويا عليها. وهية دلوقتى متجوزة ومخلفة تلاتة وأبويا متجوز. أنا تنتى عايشة مع أبويا ومرات أبويا وهى طيبة وأنا بحبها وبقول لها يا ماما، انا إستمريت عايشة مع مرات أبويا وأبويا لحد سن ١٢ سنة لما سبت البيت أول مرة".

وشكوى دولت الأساسية بخصوص ملابسات تركها المنزل: هي أنها كانت تعيش فى بيت واحد مع عمها وزوجته. وكانت زوجة عمها تكرهها "هية مخلفة خمس بنات عايشين معانا فى نفس البيت" ومن أنماط المضايقة التى تسببها زوجة العم، تقول دولت:

"كانت بتخلى أمى تروح السوق وأبويا فى الشغل، وكانت تطلع ترش ميه على السراير، علشان لما أمى (تقصد زوجة أبيها) وأبويا يرجعوا تقول لهم العيال بيتشاقوا من الصبح، وبيرشوا ميه على السراير وهمة بيلعبوا. يروح أبويا ماسكنا ضربنا وهى طبعا تبقى مبسوطة جداً. مرة أبويا تعب ودخل المستشفى يعمل عملية، كان أبويا مش بيعرف يعمل مية (إحتباس فى البول)، وكانت أمى مشغولة معاه فى المستشفى وكنا إحنا قاعدين مع مرات عمى. كانت بتعاملنا وحش جدا. كنا لما نقول لها جعانين تروح تدور على العيش البايت وتديهولنا، ولو طبخت تدى لولادها الطبيخ وتسيبنا جعانيين".

كان الأب يضرب دولت بعنف شديد جدا بسبب أي خطأ ترتكبه. ولكنها قالت إنها تحبه، وأنها رأته فى أحد المرات يبكى بعد أن قام بضربها بالجنزير على رجلها.

حدثت حادثة لزوجة العم كان لها تأثير قوى على دولت فيما بعد. فى أحد الأيام فوجئت دولت بزوجة العم تخرج محترقة وتصرخ. حاولت دولت أن تساعد زوجة العم على إطفاء الحريق، فقامت زوجة العم بجذب دولت إليها بشدة لكى تجعلها تحترق معها –أو هكذا تظن دولت– تم إنقاذ دولت بجذبها بعيدا عن زوجة العم التى ماتت محترقة بعد فترة قصيرة. تقول دولت إن زوجة العم أحرقت نفسها بسبب معايرة الزوج والجيران لها، وسخريتهم منها، بسبب كون كل خلفتها من البنات، وأنها عجزت عن أن تنجب للزوج الولد.

بعد هذه الحادثة أصيبت دولت بحالة من الخلل النفسي جعلها ترى أشياء وهمية، كانت تخاف دخول دورة المياه بمفردها. ودائما ما ترى زوجة العم فى الشقة. عندما اشتكت للأب أحضر لها إحدى السيدات لتقرأ لها القرآن.

استمرت هذه التهيؤات والخيالات تؤرق حياة دولت، وقد طلبت من الأب أن يتركوا المنزل فرفض الأب متعللا بعدم وجود نقود كافية لديه لدفع خلو فى مسكن آخر. تقول دولت إنها كانت تحس إنها مخنوقة فى البيت ومن كل المنطقة التى يعيشون فيها. كانت تترك البيت من سن عشر سنوات وتقضى الوقت فى ميدان الجيزة. لم تشرح دولت كيف تعرفت على الميدان، ولكن من المعرفة بالمنطقة فإن العديد من الرواد والعاملين فى فرشات الشاى بالميدان يسكنون اصلا فى كفر طهرمس.

تعرفت دولت فى المنطقة على إحدى البنات التى أشارت عليها بالذهاب معها إلى سوق التوفيقية، حيث قامت بتقديمها إلى إحدى السيدات التى جعلتها تعيش معها فى شقتها، واهتمت بنظافتها وشراء الملابس الجديدة لها.
لم تذكر دولت طبيعة عملها مع هذه السيدة، ولكنها قالت إنه تم القبض عليها وأودعت بمؤسسة الأحداث بالعجوزة وظلت هناك فترة كبيرة، ولم تذكر عنوان أهلها لكى تستمر فى المؤسسة بعض الوقت. وقالت:

"بنات كتير بتعمل كده، مش بيرضوا يدوا عنوان أهلهم لأحد ولما يتضايقوا من القعدة فى المؤسسة يقولوا عناونهم، وييجى أبوهم أو أى حد المؤسسة علشان يستلمهم".

المؤسسة ليست مغلقة تماما فقد كانت دولت تتمكن من التسرب لبضع ساعات إلى المنطقة المحيطة حيث تعرفت على شاب، اتفق معها على الزواج وأقنعها أن تدلى بعنوان أهلها لكى يتمكنوا من الاتصال بهم وإخراجها من الإصلاحية، ثم يتم الزواج بعد ذلك.

هذا الشاب كان يعمل بالسرقة، أحضر أباها لاستلامها ودفع له مبلغا من المال على سبيل المهر.

عاشت دولت سنتين (من ١٦-١٨عام) مع هذا الشاب وكانا متزوجين عرفيا، ويعيشان بمنطقة الوراق.

خلال فترة الزواج لم تكن صلة دولت بعلاقاتها القديمة بأقران الشارع منقطعة تماما. كانت كلما تغضب من زوجها تذهب إلى صديقاتها (أمام الجامع).

تحكى دولت:

"جوزى طيب وبيجيب لى اللى أنا عايزاه كله. بس كنت بأتضايق منه وكنا على طول نتخانق، وكنت لما بازعل بأمشى أروح (..) عند الجامع. وساعات أنزل عند واحدة صحبتي، وكانت بتمسك فيّه، بس أنا ما وافقتش أقعد معاها ومشيت. وأنا فى الطريق فضلت أفكر طب حأروح فين وهارجع للشارع تانى بعد ما بقى ليه جوز وبيت، أهو اللى بيحصل معاه أهون من قعدة الشارع، طب ما أنا بأتبهدل، غير الحكومة اللى كل شوية تنط".

وعندما عادت دولت إلى بيت زوجها اكتشفت أن له علاقات "ببنات مشبوهات". ووجدته يستضيف اثتين من هؤلاء البنات فى الشقة. إحداهما صديقتها وتشاجرت معه وفى هذه المرة قام بتقطيع الورقة العرفية، فقامت هى بدورها بتقطيع نسختها من الورقة العرفية وتركت المنزل.

وعندما تركت دولت زوجها ذهبت إلى (..) إحدى صديقاتها من منطقة الشارع، حيث تجلس أمام الجامع تمارس التسول أحياناً والدعارة مع سائقى التاكسى وشباب الشارع أحياناً أخرى.

تحكى دولت عن إقامتها أمام الجامع:

"أخدت بعضى وقعدت مع (..) فى (..)، وكنا كل شوية نتمسك، مرة عشان معانا برشام، ومرة إتمسكت تسول وأخدت فيها شهر وقعدت فى الإصلاحية المدة وخرجت بعد كده. كنا دايما نتخانق أنا و(..). وهي دايما لما تحب تتخانق تقلع هدومها وتبقى بالقميص الداخلى، وفى اليوم ده إتخانقت وراحت قالعة هدومها. شافنا واحد من أمناء الشرطة، قام مسكنا وأخدنا بالبوكس. وعملوا لنا قضية فعل فاضح فى الطريق العام، وأخدنا ستة أشهر قضيتهم فى سجن القناطر".

حين دخلت السجن كانت دولت فى بداية شهرها السادس من الحمل من زوجها السابق وبعد شهرين من فترة العقوبة بالسجن، نزل الجنين ناقصا وكان محتاجا إلى حضّانة، ونتيجة لعدم توافر النقود فقد توفى وتنفى دولت بشدة أنها تركته يموت كما تدعى عليها البنات.

بعد أن خرجت دولت من السجن عادت مرة أخرى إلى منطقة (..) بالشارع كانت هذه هى الفترة التى قابلها فيها فريق البحث لأول مرة، حيث كانت دائما تجلس بجوار رجل يدعى (..) يجلس بنصبة شاى بجوار الجامع وكان يعطف على دولت، وخلال حوار الباحثة معه فى أحد المرات حول دولت كان رأيه أنها "أصلها طيب" ويمكن تتصلح أحوالها إذا بعدت عن بقية بنات المجموعة في المنطقة.

فى هذه الفترة توطدت علاقة فريق البحث بالمركز بدولت، كانوا يزورونها باستمرار فى منطقة عملها، وكانت تأتى إلى المركز أحيانا.

كان وجود دولت فى الشارع ما بين علاقتها بالمركز بالجيزة وزيارة أمها أحيانا وكانت دائما تترك ملابس نظيفة لها عند أمها، وعندما تخرج مع أحد العرب أو أحد الشباب لممارسة الدعارة فإنها تأخذ ملابسها النظيفة من عند أمها، وبقية وقتها فى الشارع تلبس ملابس قديمة، "تصرصر" أى تتعاطى برشاماً ما، وأحيانا تشرب الخمور، وتمارس التسول أحيانا.

إن صورة وهيئة دولت المتسولة ومدمنة البرشام لا يمكن مقارنتها بصورتها وهيئتها عندما تخرج للعمل فى الدعارة أو هيئتها عندما تزور الأهل لبعض الوقت. فعلاقة دولت بالأهل، ومدى فهمهم لطبيعة عملها مسألة كانت دوما غامضة بالنسبة لفريق البحث، ولا ترغب دولت فى تفصيل هذه العلاقة.

صديقاتها عندما يتشاجرن معها يعايرنها بأن أباها يعلم بعملها فى الدعارة، وأنه يقوم بتشغيلها، أيضا فقد قالت صديقتها أن زوجها الأول -بالجواز العرفي- كان "يقوم بتسريحها" ويحصل منها على المال نظير عملها فى الدعارة .

دولت مثل الكثير من البنات فى حالتها لا يقدمن هذه الصورة عن الأب أو الزوج.. بل تقدم علاقتها بزوجها فى صورة علاقة رومانسية انتهت بسبب قيامه بعمل علاقة بالأخريات أما الأب، فلا تذكر عنه شيئا آخر بخلاف أنه كان يضربها عندما كانت صغيرة.

بالصدفة كشفت الباحثة أن الأب مدمن مخدرات، ولا يقوم بعمل ثابت، وأغلب الوقت يجلس على المقاهى وله سمعة سيئة بالحى الذى يقيم فيه كفر طهرمس.

ورغم صعوبة الحصول على دليل من أقوال دولت، فإنه من المتوقع أن دولت فى زياراتها من آن لآخر لأبيها، تعطيه جزءاً مما تكسبه من مال.

تعتمد دولت فى بقائها بالشارع على علاقتها باثنين من شباب الشارع صديقة متزوجة عرفيا وزوجها .فى بعض الأوقات كانت تقيم معهما وفى حجرة مفروشة، فى أغلب الأوقات كانت تقيم فى منطقة الجامع.

وتصف الباحثة الميدانية ما حدث فى بعض زياراتها كما يلي:

"ذهبت إلى (..)، ووجدت دولت تجلس فى الجنينة المواجهة للجامع هي و(..) وواحدة أخرى اسمها (..). سألت دولت لماذا لم تحضر إلى المركز ؟ فقالت إنها لم يكن معها نقود للمواصلات. وأخذت تشتكى من سرقة زميلتها (..) لنقودها بينما كانت نائمة. وأنا جالسة فى الحديقة حضر شاب لا يتعدى العشرين من عمره، ويبدو عليه النظافة فى ملبسه وهندامه. وعندما رأته دولت و(..) إشتكوا له من (..)، وسرقتها لنقود دولت. عندما سمع الشاب هذا الكلام، ذهب إلى (..) وزوجها وكان يسب ويشتم بشتائم سوقية جدا ويهددهم. وقد لاحظت مدى الإحترام والخوف الذى يعامل به الشباب والاولاد هذا الشاب. عندما سألت عن هذا الشاب، قالت لى: إنه (..) أحسن واحد فى المكان ده، وهو إللى بيحمينا. يقدر حد يعمل لنا حاجة وهو موجود. ده هو إللى منع السرقة (تقصد سرقة بعضهم البعض) هنا فى (..) لقد شاهدت (..) يتوعد لشخص فى المكان لو تعرض لدولت".

وعرف فيما بعد أن دولت تحب هذا الشخص، وإنها حامل منه، لكنه يرفض أن يتزوجها حتى عرفيا.

هذا الشاب أبوه يملك قهوة كبيرة فى (..)، ويبدو إنه على علاقة بشباب وشابات الشارع.

وفى حوار آخر قالت دولت إنها لا تحب "هذا الشخص" وأنها على علاقة بشاب آخر يدعى (..) ولكنه محبوس حاليا لمدة ثلاثة شهور بتهمة سرقة "كرتونة سجائر " من أحد أكشاك السجائر وأنه الأب الحقيقي للجنين.

علاقات دولت المتعددة والمتحولة مع شباب فى الشارع، يختلط فيها الحب بالحصول على الحماية من هؤلاء الشباب. هذه الحماية فى الغالب مختلطة بممارسة الجنس وترتبط أيضا بممارسة العنف حال تصرفها على نحو لا يرضيهم.

فى فترة حمل دولت كان المركز يقدم لها الرعاية الطبية اللازمة، وتم تدبير "فرشة شاى" لتجلس عليها دولت هى وإحدى زميلاتها. المشروع لم يستمر بسبب ولادتها.

وعندما ولدت فى مستشفى أم المصريين العام لم تسجل ابنها فى الصحة كما هو الإجراء المتبع.. وليس لديها أى فكرة عن تربية طفل. كانت تقوم بإرضاع الطفل بينما هى متعاطية البرشام وأصبح الطفل عبئا شديدا على عملها فى الدعارة.

وكانت دولت تترك الطفل أحيانا مع إحدى صديقاتها ليقضى الوقت، وفى مرة جاءت إلى المركز بدون الطفل وعندما سئلت عنه قالت إنها سلمته لسيدة طيبة تعمل فى قيادة تاكسى، وأن هذه السيدة تقوم بتربيته مع بقية أبنائها.

مشكلة دولت الأساسية تكمن فى أن الطفل "مكتفها" على حد قولها ، وأيضا فى أنها مضطرة دائما فى عملها فى الدعارة أن تعتمد على مجموعة من الشباب الذين يقومون بالاتفاق مع الزبائن، ويحصلون على العائد ويعطونها الفتات.

بعد أن خرج صديقها من السجن أصبح مصدر تهديد حقيقى لها، حيث علم باستمرار علاقتها بآخرين وبعملها فى الدعارة. وكثيرا ما كانت تأتى للمركز بالجيزة وهى تحت تأثير تعاطيها كمية كبيرة من البرشام وتحكى عن خوفها الشديد منه لأنه يرغب فى الانتقام منها لارتباطها بآخرين فى أثناء فترة وجوده فى السجن.

بدأت دولت تختفى لفترات طويلة، وعلم بالسؤال عنها أنها تذهب لوالدتها خوفا من صديقها ومن الحملات الأمنية. لقد تخلصت دولت من عبء هذا الصديق نتيجة وفاته متأثرا بجراحه نتيجة مشاجرة مع أحد البلطجية ولكن نتيجة لهذه الحادثة فقد ازدادت الحملات الأمنية في المنطقة بصورة جعلتها طاردة للعديد من الأطفال إلى مناطق أخرى أكثر أمناً.

فى زيارات الباحثة مكان تواجد دولت، أحيانا تجدها بطفلها وفى أحيان أخرى بدونه. ولقد حاولت الباحثة التعرف على الكيفية التى تتصرف بها مع الطفل، مرة تقول إنها تركته عند عمتها وأحيانا أخرى تقول إنها تركته لدى إحدى زميلاتها.

فى الفترات التى "لا تعمل بها" دولت فإنها تسهل وتتوسط لبنات أخرى للعمل فى الدعارة، مستغلة فترة وجودها الطويل فى الشارع ومعرفتها بعدد من مفاتيح "العلاقات" بعالم الدعارة من شباب بلطجية إلى سائقى تاكسى.

دولت سنها الآن تجاوز الـ٢١ عاما ولازالت تعيش هذه الحلقة المفرغة والهويّات الشخصية المتضاربة، والأحوال النفسية شديدة التغير .

أحيانا تقابلها الباحثة فى ملابس رثة، تمارس التسول، تحت تأثير المخدر، تنتابها نوبات هيستيرية من البكاء والضحك، تمارس عنفا شديدا فى علاقتها بزميلاتها أو حتى بطفلها. وفى أحيان أخرى ترتدى ملابس نظيفة وتحلم بزوج المستقبل فى الغالب أحد شباب الشارع وتشعر برضا عن النفس وبجاذبيتها التى تجعل البعض يتقدم إليها بعروض زواج.

إن الأموال التي تحصل عليها دولت من الدعارة، لا تقوم بادخارها، فى الغالب يتم إنفاقها على الملابس أو المخدرات أو يتم سرقتها منها رد الفعل للعجز عن توفير نقود يتمثل فى إنهيار سريع ونوم فى الشارع، وممارسة التسول بدلاً من الدعارة ، ثم مقابلة زملاء المهنة أو أحد الشباب القوادين فترجع للدعارة لبعض الوقت وهكذا تمر حياتها.